وقفة مع الحركة الاسلامية

الدكتور: يوسف القرضاوي

الأمة

Al Ummah

اسلامية . شهرية . جامعة

العدد الخامس والخمسون ـ السنة الخامسة ـ رجب ١٤٠٥هـ آذار (أبريل) ١٩٨٥م

سُبحانَ الَّذي أسرى بِعبدِهِ ليلًا مِنَ المسجِدِ
الحرامِ إلى المسجِدِ الأقصى الَّذي باركنا حولهُ
لِنُرِيَهُ مِن آياتِنا إنَّهُ هُوَ السَّميعُ البصيرُ (الإسراء ١)

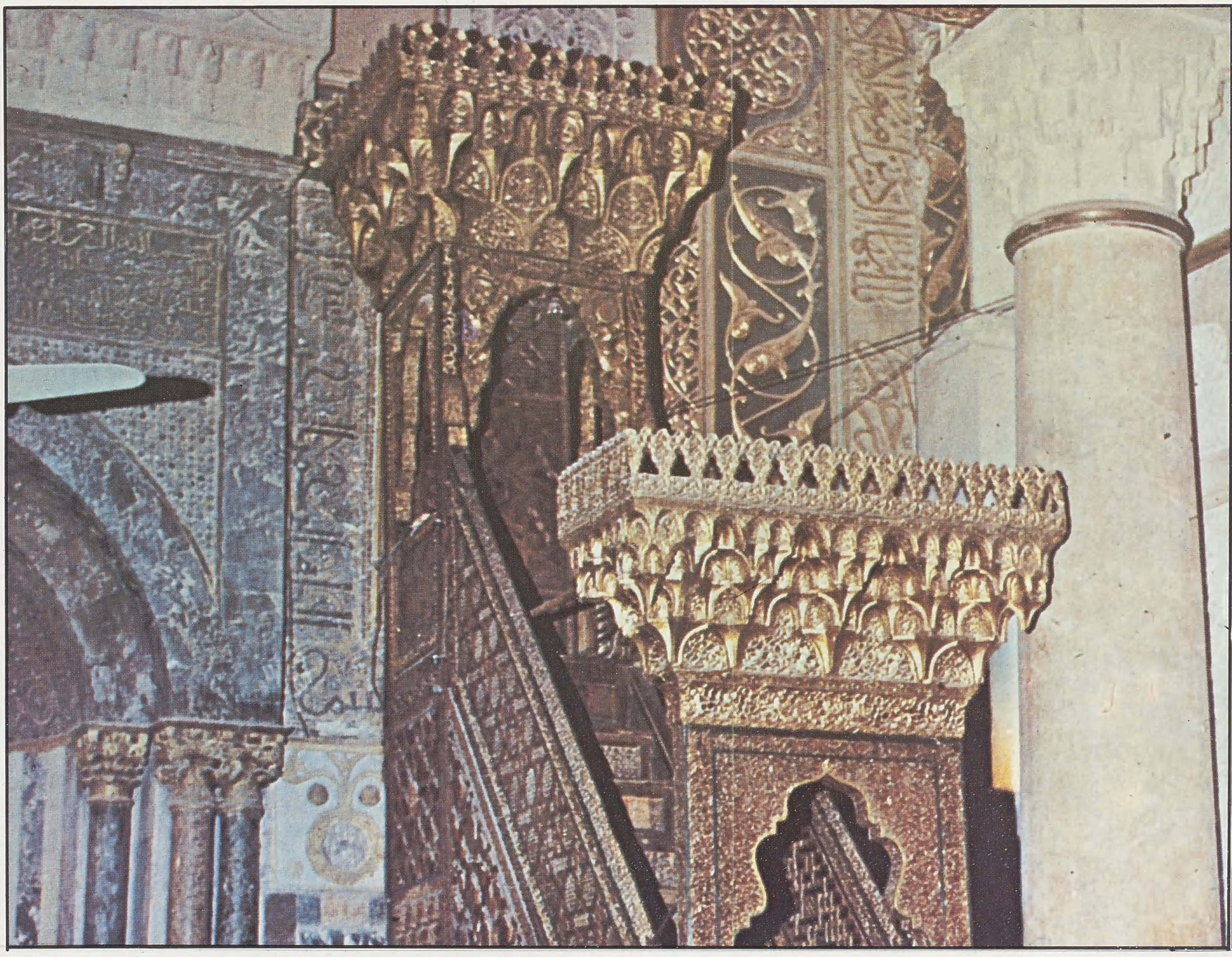

منبر صلاح الدين في المسجد الأقصى المبارك الذي أحرقه الصهيونيون في عام ١٩٦٩م

إحدى نوافذ المسجد

أروقة المسجد الأقصى

12665963 3

بسم الله الرحمن الرحيم

الأمة
Al Ummah
إسلامية شهرية جامعة

تصدر في غرة كل شهر عربي عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر

An Islamic Monthly published by the Presidency of Sharia Courts & Islamic Affairs, State of Qatar, at the beginning of every Hijri Month.

من الصدر

مرحلة التلاوم

■■ لا يعلم إلَّا الله إلى متى ستستمر مرحلة التلاوم التي تأكل طاقات العالم العربي والإسلامي ، وتمعن في تمزيق وحدته وتكريس خلافاته ، وكل منَّا يجد ما يقوله في الآخرين ويلقي بالتبعة عليهم على مختلف الأصعدة والمؤسسات الرسمية منها والشعبية .

والمسجد الذي يصوغ وحدة الأمة ويعيد تشكيلها ويمنحها القدرة على الصمود والنهوض معطلة رسالته في أكثر أنحاء العالم الإسلامي وفي إسرائيل أسير .

والطريق إلى تحرير المسجد الأقصى رهين بانطلاقة المساجد في العالم الإسلامي ، لأداء رسالتها في استرداد حقوق الأخوة والتأكيد على معاني الوحدة الجامعة للأمة والخضوع للقيم ذات المشروعية العليا في حياتها وتجديد الالتزام بأمر ربها الذي يحملها إلى ساحات الجهاد والاستشهاد ، وقد تكون حرية المساجد في العالم الإسلامي هي المعيار الصحيح للحكم على جدية التحرير وصدقه .

قال تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ﴾ (الإسراء : ١) .

إنها وشيجة الارتباط بالمسجد الأقصى التي بدأت من المسجد الحرام ، وإنه الرباط المسجديّ الذي قامت عليه حياة المسلمين ، ومن خلاله أحسّوا بحقوق الأخوة في الموالاة والنصرة والتحرير .. فالفصل بين المسجد الحرام قبلة المسلمين جميعهم والمسجد الأقصى تمزيق لهذه الوشيجة ، وتقطيع لرحلة النبوة وأرض النبوة ، وحيث كان العدول عن هذه الرابطة كانت الكارثة .

لقد وقع المسجد الأقصى في الأسر زمن الصليبيين عندما غاب الحس بالرابطة المسجدية عند المسلمين ، وقامت الدويلات واستيقظت الطائفيات فكان المؤشر الصحيح على صدق التحرير العودة إلى المسجد الذي بدأها نور الدين وتابعها صلاح الدين رحمهما الله وبناء جيل التحرير وكتائب التحرير .

يقول القاضي بهاء الدين المعروف بابن شداد عن صلاح الدين : إنه تاب عن المحرمات وترك الملذات ، ورأى أن الله سبحانه خلقه لأمر عظيم لا يتفق مع اللهو والترف ، وكان عنده من القدس أمر عظيم لا تحمله الجبال كان كالفاقدة لولدها .

إنها الأمثلة الرائعة والدروس الماثلة التي يقدمها المسجد اليوم سواء في الأرض المحتلة أو في جنوبي لبنان ، من الاحتفاظ بالمعاني الأصيلة للجهاد والاستشهاد في سبيل الله على درب الأقصى بعد أن تكرست في عالمنا صور التحريف والتزييف ، وأبيحت فلسفة الاستسلام وعلى الرغم مما يعاني دور المسجد من التهميش ورسالته من المحاصرة ، لأن ذلك كان ولا يزال من لوازم الهزيمة والتمهيد لها .

فالصمود والمقاومة في الأرض المحتلة كان دائماً حصنه المسجد . ومن هنا كان عدوان إسرائيل منصباً على المساجد وروادها وكان ذراعها تمتد بشكل أو بآخر لتعطيل رسالة المسجد خارج أرضها .

لقد انطلقت المقاومة في جنوبي لبنان من المساجد ، وأصابت إسرائيل بضربات موجعة اضطرتها إلى الانسحاب الأمر الذي يمكن أن يكون خير وسيلة لإيضاح اللغة التي يتحدد الحديث فيها اليوم ، وإن ذكرى الإسراء والمعراج في الوقت الذي تؤكد لنا فيه هذه الوشيجة بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى تدعنا ضحايا الأسى على واقع هذه الأمة التي أضاعت طريق النبوة ، ودخلت في تيه الشتات الذي لم يورثها إلَّا مزيداً من الإحباط والتلاوم . ■■

المشرف العام
عبد الرحمن بن عبد الله آل محمود
President
Abdulrahman Abdulla Al Mahmoud

رئيس التحرير
يوسف عبد الرحمن المظفر
Chief Editor
Yousuf Abdulrahman Al Muzaffar

مدير التحرير
عمر عبيد حسنه
Editonal Director
Ummar Ubaid Hasna

التحرير والإدارة
Editorial Offices & Administration

هاتف - (بدالة)	:	٤٦٦٢٢٢
رئيس التحرير	:	٤٤٧٠٢٢
مدير التحرير	:	٤٤١٨٣٠
القسم الفني	:	٤٤١٨٨٧
هيئة التحرير	:	٤٤٧٣٠٠
تلكس	:	٤٩٩٩ الأمة د هـ
برقياً	:	الأمة الدوحة
ص . ب	:	٨٩٣ الدوحة - قطر

Tel.: (PABX) 466222	DOHA
Chief Editor	447022
Editorial Director	441830
Editing Staff	441887
Editor Staff	447300
Telex:	4999 Al Ummah DH
Cables:	Al Ummah DOHA

Mailing Address:
P. O. Box 893 DOHA QATAR

ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه

طبعت بمطابع الدوحة الحديثة - قطر

صورة الغلاف

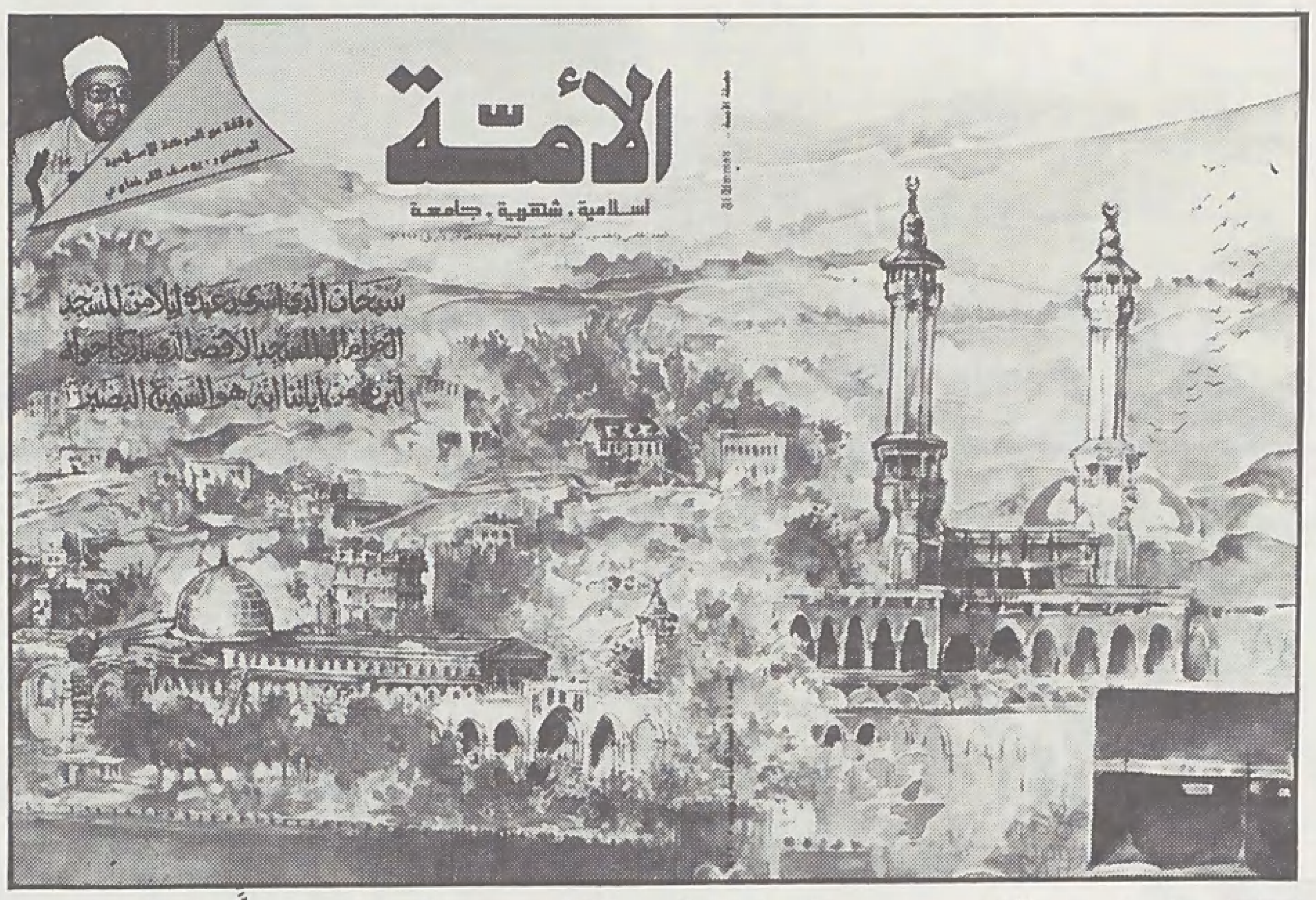

■■ تعرضت القدس عبر تاريخها إلى الكثير من الغزوات ، إلاّ أن أخطر هذه الغزوات : الغزوة اليهودية الاستيطانية التي لا تزال مستمرة حتى الآن ، وتهدف إلى إقامة دولة يهودية نقية ، عاصمتها الأبدية « القدس » وذلك من خلال تغيير طابعها الديني والتاريخي والحضاري ، وفي كل يوم تحمل الأنباء جديداً على طريق تهويدها والتمهيد لبناء « **الهيكل الثالث** » على أنقاض الأقصىٰ ، من متابعة الحفريات الأثرية !! إلى محاولات اقتحام الحرم القدسي وأداء الصلاة اليهودية فيه ... وتمر ذكرىٰ الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصىٰ ، وتغيب عن عالم المسلمين اليوم المعاني كلها التي حملتها الرحلة ، وكأننا لم ندرك بعد حقيقة الخطر ، ونستمر في سبات عميق ■■

□ **الغلاف بريشة : الفنان عصام عزوز** □

الإخراج الفني **مجدي نجيب**

الاشتراك السنوي Annual Subscription

للأفراد

- في قطر ٣٠ ريالاً قطرياً .
- في الدول العربية والآسيوية والافريقية : ٤٠ ريالاً قطرياً أو ١١ دولاراً امريكياً او ما يعادلها .
- في الأمريكيتين واوروبا واستراليا ١٢ دولاراً امريكياً أو ما يعادلها .

- Asia & Africa, for individuals U.S.$ 11, for Govt. & Private organizations U.S.$ 22.
- America, Europe & Australia for individuals U.S.$ 12, for Govt. & Private organizations U.S.$ 25.

للدوائر الحكومية والشركات والمؤسسات

- في قطر ٧٥ ريالاً قطرياً
- في الدول العربية والآسيوية والافريقية : ٨٠ ريالاً قطرياً او ٢٢ دولاراً امريكياً
- في الأمريكيتين واوروبا واستراليا : ٢٥ دولاراً امريكياً

■ ترسل الاشتراكات باسم مجلة الأمة ■

المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير

الإعلانات يتفق بشأنها مع الإدارة

وكلاء التوزيع

البلد	اسم الوكيل	وعنوانه
قطر	□ دار الثقافة	ص . ب ٣٢٣ الدوحة
الإمارات	□ مكتبة دار الأمان	ص . ب ٤٦٩٥ أبوظبي
«	□ المكتبة الحديثة	ص . ب ١٥٥٤ العين
«	□ مكتبة دبي للتوزيع	ص . ب ١٥٢٦ دبي
البحرين	□ جمعية الإصلاح الاجتماعي	ص . ب ٢٢٢٨٢ المحرق
السعودية	□ مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان	ص . ب ١٤٠٥ الرياض
«	□ مؤسسة الجريسي للتوزيع	ص . ب ٨٠٧٠ جدة
«	□ « « «	الدمام
عمان	□ المؤسسة العربية للتوزيع والنشر	ص . ب ١٠١١ مطرح سلطنة عمان
الكويت	□ دار القلم : للطباعة والنشر والتوزيع	ص . ب ٢٠١٤٦ الكويت
الأردن	□ وكالة التوزيع الأردنية	ص . ب ٣٧٥٠ عمان
«	□ مكتبة دار الأرقم	ص . ب ٩٢٦٢٨٧ عمان
تونس	□ الشركة التونسية للتوزيع	ص . ب ٤٤٠ تونس 5 ش قرطاج - تونس
الجزائر	□ المؤسسة الوطنية لتوزيع الصحافة	38sis شارع ديدوشي مراد - الجزائر
السودان	□ دار التوزيع	ص . ب ٣٥٨ الخرطوم
لبنان	□ مؤسسة الجزيرة للخدمات والتوزيع بيروت - لبنان	ص . ب ٧٣٨٥ بيروت
مصر	□ شركة توزيع الأخبار	ص . ب ٧ القاهرة
المغرب	□ سبريس	ص . ب ٨ — ٧٠ زنقة سجلماسة الدار البيضاء
اليمن	□ مؤسسة سبأ العامة للصحافة والأنباء	ص . ب ٢١٩٥ صنعاء

Distributing Agents

ماليزيا	MUSLIM YOUTH MOVEMENT OF MALAYSIA,	KUALALUMPUR 2207, MALAYSIA
باكستان	PARADISE BOOK STALL	SHAHRAH E-IRAQ KARACHI 3 PAKISTAN
انجلترا	THE MUSLIM INFORMATION SERVICE,	233 SEVEN SISTERS ROAD, LONDON N4 ENGLAND
	GULF MEDIA CENTRE	43/441 GLARGES STREET LONDON WIY 7PJ U.K.
فرنسا	GROUPMENT ISLAMIQUE EN FRANCE	121, BOULEVARD DE MENLLMONTANT 1, CITE DE L'AVENIR 75011 PARIS FRANCE
المانيا	ISLAMISCHE GEMEINSCHAFT IN	DEUTSCHLAND E.V. MANZER LANDSTR. 176 6000 FRANKFORT A. M. W. GERMANY
هولندا	NVR AL SONNAH IMPORT EN EXPORT	TOLISTRAAT 42 1073 SC AMESTERDAM - HOLLAND
بلجيكا	AL-IMENSPRL	B.D.M. LEMONNIER 196 1000 BRUXELLES, BELGIQUE.

ثمن النسخة

قطر	٣	ريالات
السعودية	٣	ريالات
الكويت	٢٠٠	فلس
البحرين	٢٠٠	فلس
الامارات	٣	دراهم
عمان	٢٠٠	بيسة
اليمن الشمالي	٢٠٠	فلس
اليمن الجنوبي	٢٠٠	فلس
العراق	٢٠٠	فلس
الأردن	٢٠٠	فلس
سوريا	٢٠٠	قرش
لبنان	٢٠٠	قرش
مصر	٢٠٠	مليم
السودان	٢٠٠	مليم
ليبيا	٢٠٠	درهم
الجزائر		ديناران
تونس	٢٠٠	مليم
المغرب		درهمان
دول آسيا وافريقيا		نصف دولار أمريكي

● في الأمريكيتين وأوروبا واستراليا دولار امريكي أو ما يعادله .

في هذا العدد

● كلمـــة الأمـــــــــة ٤

● (قضيـــة للمناقشة) :

أين الخلل ؟ وقفة مع الحركة الإسلامية الدكتور **يوسف القرضاوي** ٨

● حديقـــة الأمـــــــــة ١٤

● بطاقـــة مـــن قـــارىء ١٦

● نزّهوا حرية الرأي عن هذا العبث [٢] ....

.... الدكتور **محمد سعيد رمضان البوطي** ١٧

● في ذكرى الإسراء والمعراج (**شعر**) .... **عبد العزيز أحمد رضوان** ٢١

● علاقة الإنسان بالأشياء .... الدكتور **محمد أحمد العزب** ٢٢

● من سير الرجال : حسن البنا رحمه الله .... الدكتور **حسان حتحوت** ٢٦

● حول الالتزام الأدبي في منظوره الماركسي الدكتور **عماد الدين خليل** ٣٠

● رســالة إلى الأقصى (**شعر**) .... **محمد السيد الداودي** ٣٤

● تصريحـــات وأقـــوال ٣٥

● (اســـــــــتطلاع) :

سبتـــة : ثغر إسلاميّ عريق ٣٦

● (نـــدوات ومؤتمـــرات) :

سينـــاء هدف الطامعين .... **درويش مصطفى الفار** ٤٢

● المبنى الدائم لجامعة قطر بين الحفاظ على المقومات وتحقيق المعاصرة ٤٤

● الاستعمال غير الطبي للأدوية .... الدكتور **غازي محمد الحاجم** ٥٠

● مؤامـــرة على الأقصى ٥٣

● (**من عجـائب المخلوقـــات**) :

الطيور الجارحة : ملامحها وخصائصها التشريحية ٥٦

● أيـا طـــير (**شعـر**) .... **محمد الخالد البيطار** ٦١

● أدلة تحريم الربا في قروض الإنتاج والتجارة ....

.... الدكتور **رفيق المصري** ٦٢

● مكتبـــة الأمـــــــة ٦٨

● التعليم في ديار المسلمين في حوار مع **الدكتور حسين حامد** ٧٠

● (**الأســرة المسلمـة**) :

مناقشة مفتوحة حول الفتاة المسلمة والمجتمع الجامعي ٧٦

● بريـــد الأمـــــــــة ٨١

● بأقـــلام القـــــــــراء ٨٤

● شـــؤون المسلمــين في العـــالم ٨٨

● مع الصحافـــــة في العـــالم ٩٢

● **مسابقة العـدد الخامس والخمســين** ،

وحل مسابقة العدد الثالث والخمسين وأسماء الفائزين ٩٤

● (**خواطـــر وأفكـــار**) :

رسالة من الأندلس : غربـــــاء .... السيدة **أم عبد الرحمن** ٩٦

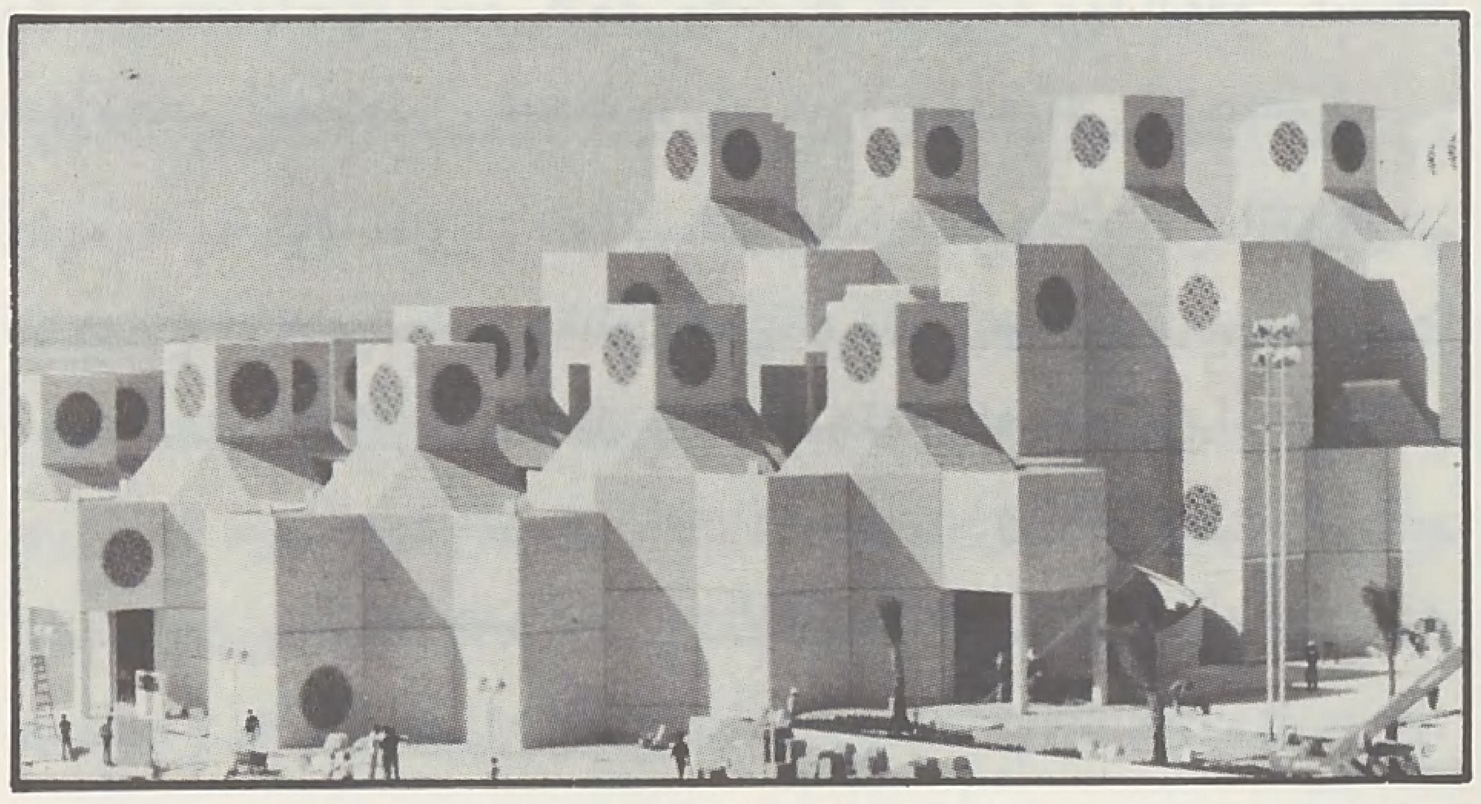

دور الجامعـــة في المجتمع الإســلامي .. بين الحفاظ على المقومات .. وتحقيق المعاصرة

■ كيف يمكن للجامعات في المجتمع الإسلامي أن تؤدي دورها في الحفاظ على المقومات ، بينما تقوم - في الوقت نفسه - بتحقيق المعاصرة ؟

إن الإجابة على هذا السؤال لا بد أن تكون شاملة وواضحة ، فالجامعات مسؤولة عن التعامل مع الأفكار والإنجازات من حولها ، وإعداد القيادات الفكرية ، وتحقيق الارتباط بالمجتمع ، استجابة وتأثيراً ، بحيث تنطلق مسيرة التقدم في إطار إسلامي كامل وفي المجالات كافة ...

وقد كانت هذه القضية هي المحور الرئيس في خطاب سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني - أمير دولة قطر والرئيس الأعلى لجامعة قطر - بمناسبة افتتاح المبنى الجديد الدائم للجامعـــة .... (ص : ٤٤) ■

سبتة ثغر إسلامي عـــريق (استـطلاع مصور)

■ في عام ١٥٧٤م ، زار الملك البرتغالي « دون سباستيان » مدينة سبتة ، لأنه كان يريد متابعة الحرب ضد المسلمين في شمالي أفريقيا ، بهدف توجيه ضربة جديدة إلى الإسلام وليقف بنفسه على الأوضاع في هذه الثغور ، وطلب من خاله « فيليب الثاني » ملك إسبانيا مساعدته ، فأمدّه بسبعة آلاف جندي من الإسبان ومن الفاتيكان والألمان إلى جانب وقوف بعض الخونة إلى جانبه من أمثال « عبد الله المتوكل » الطامع بحكم المغرب .. والتقى الجيشان : المغربي بقيادة مولاي عبد الملك ، المريض المحمول على محفّة وسط الجيش - والبرتغالي بقيادة « سباستيان » .. وفي الرابع من آب [أغسطس] ١٥٧٨م ، دارت معركة « وادي المخازن » حيث انتصرت القلة المؤمنة على الكثرة ، وكان من القتلى الملك البرتغالي نفسه ، ومعه « المتوكل » الخائن .... (ص : ٣٦) ■

أدلة تحريم الربا في قروض الإنتاج والتجارة

■ لما كانت الفائدة غير مشروعة ، فإن كل التطبيقات القائمة عليها تكون غير مشروعة .. ولو أيقن المسلمون بالحرمة ، وفهموا الدين حق الفهم ، وتعلّموا العلم ، وجاهدوا بالفكر والسعي والعمل ، وتركوا البطالة والبلادة والكسل ، لوصلوا إلى تطبيقات بديلة أقوى وأجدى .. أمّا الكسل والعجز فهما لا يحلان الحرام .. إننا لنحتاج إلى علم وعمل ويقين ، وأعني باليقين : الإيمان الذي يترسخ نتيجة التحقيق في فهم الدين ، وفهم العلوم ، فإذا ما كان فهمنا ضعيفاً كان إيماننا هشاً وسعينا وتوكلنا مدخولاً ، وساد جو ينبسط فيه الجهلة والأكّالون وينقبض العلماء العاملون المخلصون .. إننا نحتاج إلى أفكار جديدة ، ومؤسسات جديدة ، وبُنى مستقلة ، لا أن نأتي إلى إحدى مؤسساتهم الجاهزة ، فنستل منها على استحياء وخور وتردد عنصراً ونستبدل به آخر ، فنضطر بعد حين إلى الرجوع للأخذ به صراحة أو ضمناً .... (ص : ٦٢) ■

حتى يتوقف

□□ من الحقائق الأساسية التي يشهد لها التاريخ والواقع معاً أن الإسلام هو منهج الله تعالى للبشر جميعاً ، وأنه ليس حكراً على جنس أو لون أو قوم أو طبقة اجتماعية أو جماعة أو حزب أو فترة تاريخية دون سواها ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء : ١٠٧) وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾ (سبأ : ٢٨) ، وأنه أول من دعا إلى المواطنة العالمية ومارسها على مستوى التطبيق ، وأخوة العقيدة ، والدولة الإنسانية ، ووضع معايير التفاضل والكرامة ، وناطها بكسب الإنسان واختياره ليتحقق بذلك تكافؤ الفرص ، ويؤصِّل العدل ، وينتفي الظلم في الأرض ، ذلك أن الألوان والأجناس والأقوام وما إليها من المرتكزات الأخرى أمور قسرية خَلْقِيّة ، لا يد للإنسان فيها ، فكيف يمكن أن يكون من المقبول عقلاً أن تصبح معايير للفضل والكرامة على مستوى المواقع والمراتب في الدنيا ، أو على مستوى الثواب والعقاب في الآخرة ؟ قال تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات : ١٣) . □□

ولم تكن هذه الحقيقة التي تمثل روح الحضارة الإسلامية وخلودها محل نظر أو اجتهاد أو مساومة أو مهادنة منذ اللحظات الأولى لنزول الوحي ، والخطوات الأولى للمجتمع الإسلامي ، فالخطاب كان للناس جميعاً ، والاستجابة كانت من الناس جميعاً ، دون تمايز . ولأمر يريده الله تعالى ضم المجتمع الإسلامي الأول بلالاً الحبشي ، الأسود اللون ، وسلمان : الفارسي الجنس ، وصُهيباً ، الرومي الأصل إلى جانب أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم جميعاً ؛ وكان الفقير بجانب الغني في العبادة وفي المجلس الواحد لتأصيل هذه الحقيقة … وعبثاً يحاول زعماء قريش ورؤساؤها وأغنياؤها ممارسة الضغوط ، وليس أقلها الحط من قدر المجتمع الجديد والحكم عليه من خلال المعايير الجاهلية : ﴿ أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنْ بَيْنِنَا ﴾ (الأنعام : ٥٣) بنوع من الاستنكار والتوهين والتحقير ، فيجيء الجواب الحاسم الجازم ، ويقرِّر المقياس المنضبط ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾ (الأنعام : ٥٣) وتؤكد الآيات ذلك بشكل لا مجال معه للاجتهاد أو الاحتمال أو التأويل في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (الأنعام : ٥٢) إلى أن يقول جلّ وعلا : ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ (الأنعام : ٥٤) فالمعيار إيمان وكفر وليس غنىً وفقراً ، ووجاهة …

وجاء العطاء الحضاري والثقافي الإسلامي ثمرة لهذه الدعوة الإنسانية ، وهذه المعايير في الكرامة والتفاضل ، وشاركت فيه الأجناس والأقوام والألوان كلها إلى درجة أصبح معها نسيجاً متماسكاً ، لونه إسلامي ، يصعب معه التمييز والفصل في اللون أو القوم أو الجنس ، والمحاولات كلها التي بذلت في هذا السبيل لجعله قومياً أو طبقياً كان مصيرها الفشل ، فباب الإسلام مفتوح لكل قادم ، ومن الخطأ العقيدي والتاريخي والحضاري ربط الإسلام بجنس أو جماعة أو حزب أو قوم ، بل قد يكون هذا أخطر على الإسلام والمسلمين من أعدائهم : ولا شك عندنا أنها إحدى الحفر والشراك التي نصبها العدو ، ليُسقط فيها بعض المسلمين ، فيحط من قدرهم ويوقعهم في المحاصرة .

فإذا تقرر أن مقياس الفرز الذي يعتمده الإسلام إنما هو في الاستجابة لحقائق الدين أو عدم الاستجابة ، فالذين آمنوا هم الذين يتشكل منهم المجتمع المسلم ، ودار الإسلام ، والأمة المسلمة « أمة الاستجابة » والكفار هم الجهة التي لمّا تستجب بعد ، والذين يشكلون « أمة الدعوة » أي لا يزالون محلاً لنشر الإسلام ودعوتهم إليه .

وقد يكون الأمر المطروح على الساحة الإسلامية اليوم ـ ولا بد لنا من الاعتراف هنا بأنه لا يزال بحاجة إلى مزيد من النظر والاستدلال ـ والمطلوب داخل « أمة الاستجابة » نفسها والتي لا بد أن يكون وضعها سليماً ، ومجتمعها متيناً ، لتكون قادرة على النقل الثقافي والحضاري لـ « أمة الدعوة » وأداء رسالتها في الشهادة على الناس ـ هو : التذكير بضرورة استخدام المعايير التي وضعها الإسلام ، والانضباط مع هذه المعايير في تحديد مواقع الأفراد في المجتمع الإسلامي ، ومدى التعامل معهم ، والإمكانات والخصائص والصفات التي يمتلكونها حتى تؤهلهم لبعض المهام في الحياة الإسلامية ، ذلك أن الأعمال في الحياة متفاوتة ، وبالتالي فهي تتطلب مهارات وخصائص وصفات متفاوتة ، ولن نخرج

الخداع للذين آمنوا

■ كمال اتاتورك :
الاختفاء وراء الصورة الإسلامية .. ظاهرة لا تزال تتكرر في عالم المسلمين .. ■

من عهدة التكليف بأداء الفروض الكفائية ، وتحقيق الإتقان في العمل ، والاقتراب من الكمال في الأداء إلَّا بحسن الاختيار للمسؤول في كل موقع ضمن المجتمع الإسلامي نفسه من خلال خصائصه وصفاته وإمكاناته وخبراته وسلوكه وكسبه وماضيه ، وفي اعتقادنا أن ذلك لا يتعارض مع إيمان المؤمنين وتقوى المتقين ، ذلك أن الإيمان هو الشرط الضروري الذي يتم بعده الاختيار على الساحة الإسلامية ، وكثيرة هي المؤسسات الإسلامية والأعمال الإسلامية اليوم التي يقوم عليها رجال قد لا ينقصهم التوثب الروحي والإيمان والإخلاص والحماس وإنما الذي يعوزهم الإمكانات والخصائص والتخصصات والخبرات التي تجعلهم أهلاً لمثل هذه المهام ، فليس مجرد الإيمان يجعل الشخص مؤهلاً للمهمات والأعمال كلها ، قادراً على القيام بها وحسن أدائها ؛ فالإيمان ، كما قلنا ، شرط لا بد منه ، ثم لا بد بعد ذلك من البحث عن المؤهلات والقدرات الأخرى ، فمجتمع المدينة القدوة لم يكن مجتمع فوضى وعبث وضياع وتداخل في الأعمال وبعثرة للجهود ، كل إنسان فيه يدعي أنه يحسن الأعمال كلها ، ويرشَّح لكل شيء ، ذلك أن الذي يدعي معرفة الأشياء كلها لا يعرف شيئاً ، وإنما مجتمع المدينة القدوة كان مجتمعاً اتضحت فيه خصائص ومميزات أفراده من خلال التجربة الميدانية ، فكان

الرسول ﷺ على ساحة المؤمنين نفسها لا يسلم الراية إلَّا لمن يختاره من القادة ، ولا يختار القادة إلَّا من ذوي الكفاءات العالية والقدرات الخاصة ، والذي يصلح لقيادة الجيش قد لا يصلح لولاية الأمر وللتفاوض وحمل الرسائل للملوك ، ولم يقتصر هذا الاصطفاء على ساحة الحرب ، ففي مجال الولاية مُنِع أبو ذرّ منها : (عن أبي ذر رضي الله عنه ، قال : قلت : يا رسول الله ، ألا تستعملني ؟ قال : فضرب بيده على منكبي ثم قال : « يا أبا ذرّ إنك ضعيف ، وإنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزي وندامة ، إلَّا من أخذها بحقها ، وأدّى الذي عليه فيها ») [رواه مسلم وأحمد] .. ولأن أبا ذر ليس مؤهلاً لها ، لم يحط ذلك من قدره ، أو من إيمانه ، فالرسول ﷺ أخبره بأنه سَيُبْعَثُ أمةً وحده .

وفي مجال التخصصات العلمية من منّا لم يطلع على قول الرسول ﷺ في تحديد إمكانات أصحابه ومؤهلاتهم بقوله : « أقرؤكم فلان ... وأفقهكم فلان ... وأفرضكم فلان ... » ؟ وأبو بكر رضي الله عنه خليفة رسول الله ﷺ التزم معيار الاختيار للمهام على ضوء المؤهلات والبلاء في الإسلام ، فاختيار زيد بن ثابت رضي الله عنه لجمع القرآن إنما جاء للمعاني التي توفرت له دون غيره من قوة حافظته وجلده وعدم اتهامه في دينه ، واستمراره حَكَماً عند الاختلاف في القراءة على عهد عثمان رضي الله عنه . وكان سلوك الإنسان وماضيه دليلاً لأبي بكر رضي الله عنه على مؤهلاته (كتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد وعِياض بن غُنم رضي الله عنهم ، أن استنْفِرا من قاتل أهل الردَّة ، ومن ثبت على الإسلام بعد رسول الله ﷺ ، ولا يغزون معكم أحد ارتدّ حتى أرى رأيي : فلم يشهد الأيام مرتد) [الطبري : ٣/٣٤٧] .

كان سلوك الإنسان وماضيه هو دليله رضي الله عنه للتعامل والاختيار ، وقد يكون ممن تاب وحسنت توبته ، لكن ذلك يبقى بينه وبين الله تعالى . وهكذا سلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه المسلك نفسه في الاختيار ، وفقهه في هذا الباب دليل هادٍ . قال رضي الله عنه : (لا اجعل من قاتلَ رسولَ الله ﷺ كمن قاتل معه) (وفرض لأهل بدر - عصابة الإسلام الأولى - وفضَّلهم على غيرهم ، وفرض للمسلمين على اقدارهم وتقدمهم في الإسلام) ، [طبقات ابن سعد : ٣/٢٩٦] (فكان الرجل وبلاؤه في الإسلام ، والرجل وقدمه في الإسلام ، والرجل وغَناؤه في الإسلام) [الطبقات : ٢/٢٩٩] هذه الموازين كانت على الساحة الإسلامية ، والله تعالى يقول : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ﴾ (الحديد : ١٠)

حتى يتوقف

إنها المعالم والبدايات التي رسمها الرسول ﷺ ، والتي كانت تتناسب مع تركيب المجتمع الإسلامي الأول ووظائفه في ذلك الوقت ، والتزمها الأصحاب من بعده ﷺ والتي لم يستطع المسلمون بعد ذلك المواصلة فيها على المستويات والأصعدة كلها ، أو لعلَّهم في عصور الانحطاط أهملوا الالتزام بهذه المعايير والمواصفات فاختلط عندهم الحابل بالنابل .

ويأخذ الإنسان العجب عندما يطَّلع على ما ورثناه من علماء الحديث في هذا المجال الذي أُصِّل له حتى أصبح الجرح والتعديل علماً له قواعده وكتبه ؛ ولو قبلوا رواية كل راوٍ لمجرد إيمان الإنسان أو إخلاصه دون نظر إلى المؤهلات التي تمكنه من الرواية ، من التوثيق والحفظ والعدالة والضبط وعدم النسيان ، لاختلط الكثير من حديث رسول الله ﷺ بكلام الناس ؛ إن الموازين الدقيقة لعلم الجرح والتعديل ، والمقاييس المنضبطة التي على ضوئها يكون القبول والرد للراوي وروايته ، يمكن أن تكون معالم هادية للأمة المسلمة اليوم التي افتقدت المعايير حتى عَمِيَتْ عليها الأمور ، وعجزت عن إيكال الأمور إلى أهلها ؛ إنه الاختلال الذي يكون في آخر الزمن بين يدي الساعة وإحدى أماراتها حيث يوَسَّد الأمر لغير أهله ، لقد أصبحنا كلّنا أهلاً لكل أمر ...

وهنا لا بد من إيضاح قضية قد تختلط فيها الأفهام وتتداخل الأمور ، وهي أن جرح راوٍ عند علماء الحديث لا يعني دائماً الطعن في دينه ، فالطعن في دينه لا يؤهله ولا يجعله محلاً للنظر أصلاً ، وإنما هي صفات وإمكانات يُنظر فيها بعد توفر شرط الإيمان ، فكثيرون من علماء الحديث كانوا مع اعتقادهم بصلاح فلان يردون روايته لعدم ضبطه أو لنسيانه ، وحسبنا قول بعضهم : نُقَبِّلُ يده لصلاحه ولا نقبل حديثه لوهمه أو نسيانه أو عدم ضبطه ... إن هذه القضية اختلطت عند المسلمين وتداخلت إلى درجة أصبح يصعب معها التميز والاختيار ، وكثيراً ما تعاني الأعمال الإسلامية من وجود أهل الثقة والإخلاص وافتقاد أهل الخبرة والاختصاص والصواب ، بدافع أن المرشح ذو دين وإخلاص ، علماً بأن قضية الإخلاص قضية مُغَيَّبة مردها إلى الله تعالى ، لا تنضبط وليس بمقدور الإنسان الاطلاع عليها والتحقق منها ، لأنها من المعاني الباطنة غير المنضبطة على رأي الفقهاء ، لذلك لا يمكن اعتمادها مقياساً ، وإنما يقوَّم الإنسان بعمله الظاهر وكسبه المنظور .

إن هذا الاختلال في المعايير ، وهذا التداخل في الأمور على الساحة الإسلامية سمح لألوان من المخادعة والمخادعين الذين يتدثرون بثياب الوعاظ والدعاة والقادة المؤمنين المنقذين بالتسلل إلى الصفوف فزادها ذلك ارتكاساً وإحباطاً ، وأوجد خروقاً في الصف الإسلامي لا يزال ينوء بحملها ... فكثيرون أولئك الذين يدخلون علينا باسم الصلاح والتقوى والإيمان والغيرة المفاجئة على القضية الإسلامية ، والمصلحة الإسلامية ، وتحقيق المعاني الإسلامية الغائبة ، إنه إيمان المناسبات الذي تكرر كثيراً في حياة المسلمين ولا يزال ؛ عندما يكون طرح شعار الإيمان والإسلام مناسباً للابتزاز السياسي ، واقتناص شعور المسلمين البسطاء لمرحلة تقتضيها الظروف والأحوال ، فيبدأ التمسح بالدين ، والتقرب من المتدينين لمرحلة انتخابية أو سياسية ، أو بين يدي معركة عسكرية ، أو لدعم كيان أو نظام يوشك على الانهيار ، ثم لا يلبث الإسلام والمسلمون أن يكونوا أول الضحايا ... إن هذه الحالات تتكرر اليوم على أكثر من موقع على الساحة الإسلامية ، وفي إطار بعض جوانب العمل الإسلامي الذي يفترض فيه أن يكون أكثر كسباً ويقظة وانضباطاً مع المعايير الإسلامية ؛ لقد افتقد كثير من المسلمين المعيار السليم للأشياء فزلَّت أقدامهم ، وضلَّ سعيهم ، وضاعت عليهم الجهات ، وكثرت الانكسارات على الطريق الإسلامي ، وغابت فراسة المؤمن الذي ينظر بنور الله عزَّ وجل وفرقان المتقي ، وتكرر رفع شعار : « من خدعنا بالله خُدعنا به » ، وغاب شعار : « لا يُلدغ المؤمن من جحر مرتين » .

وقد تكون المشكلة كامنة في الصورة التي انتهت إليها الذهنية الإسلامية اليوم من بلاء النسيان ، ذلك أن الأفراد كالأمم ، لهم ماضٍ يشكل تاريخهم ، وهذا التاريخ يشهد لهم أو عليهم ، فإلى أي مدىً نستطيع أو نمتلك إسلامياً أن نلغي أو أن نهمل تاريخ الإنسان الطويل ، ونمحو صفحة سوابقه ، ونتجاهل سلوكياته ولا نعتبرها دليلاً لحاضره واستقراءً لمستقبله ؟ إن تاريخ الإنسان هو المفتاح الأساسي الذي يشكل المدخل السليم لفهم شخصيته ، وتحديد ملامح سلوكه وتصرفه المستقبلي إلى حدٍ بعيد ، وإذا أردنا اليوم أن نحدد موقع أية أمة على السلم الحضاري الإنساني ، ونستقرىء قدرتها على النهوض فدليلنا إلى ذلك تاريخها الذي ترتكز إليه ، وعقيدتها التي تعتنقها ، ومدى صلاحية هذه العقيدة للحياة الإنسانية ، ونصيبها من التطبيق والممارسة في التاريخ والواقع معاً ؛ والمفارقة العجيبة أننا نحن المسلمين نصر على أن ماضي الأمة هو دليلنا على صناعة مستقبلها إلى درجة سمحت لخصوم الإسلام بوصفنا بـ « التاريخيين » الذين حصروا أنفسهم بالماضي فقط ، ومع ذلك فإننا أول ضحايا السقوط في الشراك والفخاخ المنصوبة لنا من الذين يخادعوننا باسم الدين ويلبسون مسوحه ، وما أسهل أن ننسى ماضيهم ومواقفهم ، وتختلط عندنا الأوراق بسهولة ، ونوظف بعض الآيات والأحاديث لتسويغ واقعنا المتردي : بقولنا « عفا الله عما سلف » و « الإسلام يجبُّ ما قبله » متناسين أن ذلك إنما يكون في مجال الثواب والعقاب ، وأن قبول توبة العاصي موقوف على أداء حقوق العباد ، إذ لا يمكن أن يرتكب الإنسان الجرائم والمعاصي ، ويعتدي على الناس ، ثم يتخذ من التوبة وإعلان التمسك بأهداب الدين ملجأ يفر إليه من آثار عدوانه ؛ وقد يقفز فوراً إلى مكان القيادة ؛ ومن هنا كان تفريق الفقهاء بين حقوق الله وحقوق العباد ، ولعل من ذلك ما أعلنه رسول الله ﷺ عن بعض المجرمين الذين لم يقبل إعلانهم للإسلام إلغاء جرائمهم : (اقتلوهم ولو تمسكوا بأستار الكعبة) وأبو بكر رضي الله عنه عندما نهى عن الاستعانة بمن سبق له

الخداع للذين آمنوا

ان ارتد في جهاد عدوٍ كان يعلم بأن الإسلام يجبّ ما قبله من الذنوب والآثام إن حسن الإسلام ، لكن ذلك لم يغيب أو يلغي سلوكه الذي يعتبر دليلاً لكيفية التعامل معه ... فكيف والحالة هذه يمكننا نحن أن نلغي تاريخ الإنسان وسلوكه الماضي لمجرد موقف أو مظهر قد لا نكون قادرين تماماً على إدراك دوافعه ... إن جراحات المسلمين ممن خادعوهم باسم الدين ، ومن ثم كانوا أدوات لتكريس الإلحاد ، وجسوراً لمرور العمالة السياسية والفكرية إلى العالم الإسلامي لا تزال نازفة ، فظاهرة « كمال اتاتورك » الذي تمسَّح بالإسلام والغيرة على المسلمين ، وحمل المصحف وطاف بالجنود مشجعاً إيَّاهم على الوقوف بجانبه ليصل إلى مأربه ، حتى وصل إلى درجة استعاد به بعض شعرائنا سيرة سيف الله خالد بن الوليد رضي الله عنه ، بقوله :

« يا خالد الترك جدِّد خالد العرب »

فكان في الحقيقة السيف الذي سلّط أول ما سلّط على الرقبة المسلمة وما اكثر الذين لبسوا ويلبسون ثياب « أتاتورك » في العالم الإسلامي حيث لا تزال تتكرر في عالمنا هذه الظواهر بصور وأشكال متعددة ، ولسنا الآن بسبيل الاستقصاء لذلك ، وليس بعيداً عن ذهننا كيف ان « نابليون » الذي غزا مصر أعلن إعجابه بالإسلام ، وغيَّر اسمه ، وخادع بعض المسلمين ، وكيف أن كثيراً من الماركسيين اليوم في العالم الإسلامي بعد أن اكتشفوا أن بوابته موصدة امام أفكارهم راحوا يفتشون عن المداخل التي تمكنهم من الوصول إلى الشخصية الإسلامية من خلال بعض مبادىء الإسلام نفسه ، ولا مانع في سبيل ذلك عند بعضهم من الظهور بالمظهر الإسلامي إذا كان الدور الذي نيط به يتطلب ذلك !! فإلى متى يبقى المسلم سهل المأخذ ؟!

ومع الأسف لم تنج بعض جوانب العمل الإسلامي من هذا التسلل الذي يتم غالباً ضمن الأنفاق المظلمة والممارسات السرية ؛ وفي رأينا أن الذهنية الإسلامية بشكل عام لم تحاول بعد الدخول إلى دراسة الدوافع والأسباب التي تكمن وراء سلوك معين ، وتستهدي بالتاريخ والماضي السلوكي للأشخاص ، ذلك أن تحديد الدوافع ، وتفسير الظواهر السلوكية يفيدها كثيراً في تحديد المواقف والتعرف على كيفية التعامل ، فلا نخدع ، لأن الجحور والفخاخ المنصوبة للمسلمين عميقة القاع .

إن تحديد المواقف وتحليل الشخصيات على ضوء ماضيها وسلوكها أصبح علماً له مرتكزاته ونتائجه التي لا تكاد تخطىء ، وإن كانت لا تصل إلى درجة الصرامة الرياضية ، لكنها على كل حال مأمن أقرب إلى الصواب وابعد عن الخطأ ، وقد يفيدنا كثيراً اليوم منهج علماء الحديث الذي يقدم الشك على اليقين أداء للأمانة الإسلامية .

لقد اصبح لكل إنسان عند الأمم المتقدمة ملف ، هو أشبه بـ « صحيفة السوابق » التي تحتفظ بها سلطات الأمن ، ليكون دليلاً لتوجهاته ، واستقراءً لمستقبله والتنبؤ بمواقفه وتصرفاته مسبقاً ، فيكون الحذر ، ويكون التعامل السليم ... وظواهر المخادعة باسم القيم والمبادىء موجودة في كل زمان ومكان ، لكن مخاطرها تتعاظم عندما يضعف المجتمع ، ويفتقد معاييره التي تشكل الأسلحة الحقيقية لحمايته ، فالمجتمع الإسلامي الأول لم يخل من ظاهرة النفاق ووجود المنافقين الذين عاشوا ضمن الصف الإسلامي ، ورفعوا شعائر الإسلام حتى إن زعيمهم « عبد الله بن أُبي بن سلول » - الذي كان يُصنع له الخرز ليتوج قبل الإسلام زعيماً على المدينة التحق بالركب الإسلامي الذي اصبح قدراً لا يمكن الخروج عليه - كان يصلي في الصف الأول ، ويحسن الاستماع إلى الرسول ﷺ وهو يخطب ، حتى وصل به الأمر إلى تعنيف كل من لا يحسن السماع ، لكنه في الحقيقة هو الذي تولى كِبْر الإفك وبدأ بالتخريب من بيت الرسول ﷺ ؛ وأثار الاضطراب والعصبية الجاهلية في غزوة بني المصطلق ، وانعطف من قِبَلُ بكثير من الناس ونكص على عقبيه يوم أُحد ؛ ولم يتورع المنافقون عن بناء مسجد الضرار ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (التوبة : ١٠٧) لكن قوة المجتمع الإسلامي وسلامة معاييره حالت دون سقوطه في حفر المنافقين ؛ لقد بيَّن الله تعالى من الخصائص والصفات والأعمال والسلوكيات التي لو وعيناها لجعلتنا في مأمن من النفاق والمنافقين ، لكن بشرط أن نستعملها كمقاييس تشكل أسلحة الحماية - كما أسلفنا - للأمة . فعلى الرغم من ظهور المنافقين بالصورة الإسلامية ، وشدة حماسهم لها في بعض الأحيان ، إلَّا أن ذلك لم يغير من تعامل المجتمع الإسلامي معهم ، ولم يوكل الرسول ﷺ لهم اية مهمة ذات شأن ، على الرغم من ديمومة معاملتهم معاملة إسلامية ، وقبل وفاته ﷺ ائتمن على أسمائهم حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ليبقى صمام أمن لمجتمع المسلمين ، فلا يتسللون إلى المواقع الإسلامية الفاعلة المؤثرة .

فهل يعي المسلمون اليوم ، فيأخذوا حذرهم ، وتبدأ في حياتهم مرحلة استعمال المعايير الإسلامية في تقويم الأشخاص وحسن التعامل معهم في ضوء ذلك سواء على الساحة الإسلامية - وهي الأهم - أو على الساحة العالمية بشكل عام ، بشرط أن يتوقف شد هذه المعايير باتجاه المواقف الشخصية والحزبية لتبقى معايير موضوعية موصلة إلى نتائج موضوعية صادقة ؟! وهل يعتصم المسلمون بهذه المعايير في الحكم على الأشخاص وكيفية التعامل معهم ؟! وهل يلتزمون منهج عمر بن الخطاب رضي الله عنه بضرورة الاختبار السلوكي التعاملي للإنسان وعدم الاكتفاء بمظاهر العبادة وأردية التقوى ؟ فتكون الحصانة وتتحقق الضمانة من المخاطر التي ما تزال تنهك المسيرة الإسلامية .. والله الهادي إلى سواء السبيل .

قضية للمناقشة

أين الخلل؟

الحلقة الثانية

وقفة مع الحركة الإسلامية

الجزء الأول

بقلم : د. يوسف القرضاوي

■■ كان الأملُ معقوداً على « الحركة الإسلامية » أن تقود سفينة الأمة الإسلامية إلى الغاية المرجوة على الطريق الصحيح ، الموصل إلى شاطىء الأمان ، ومعها (البوصلة) الهادية من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ و (الخريطة) المفصلة من شريعة الإسلام وتراثه الخالد . ولا أعني بـ (الحركة الإسلامية) حركة معينة تكاد تستأثر بهذا الوصف ، مثل حركة (الإخوان المسلمين) أم الحركات الإسلامية الحديثة وكبراها ، كما سماها الدكتور إسحاق موسى الحسيني في كتابه الذي كتبه عنها منذ أكثر من ثلث قرن ، إنما أعني بالحركة الإسلامية بالخصوص : مجموع العمل الإسلامي الجماعي الشعبي المحتسب ، المنبثق عن ضمير الأمة ، والمعبر بصدق عن شخصيتها وآلامها وآمالها ، وعقائدها وأفكارها ، وقيمها الثابتة ، وطموحاتها المتجددة وسعيها إلى الوحدة تحت راية العقيدة منذ هدمت قلعة (الخلافة) ■■

ويدخل في هذا الإطار كل الجماعات العاملة لتجديد الدين ، وتحكيم شريعته وإحياء الأمة به ، والعودة به إلى مكانه الطبيعي والتاريخي في قيادة المجتمع وتطبيقه في مجالات الحياة كلها : **اعتقاداً وتعبداً ، وخُلُقاً وسلوكاً ، وفكراً وشعوراً ، وتشريعاً وتوجيهاً ، وقضاءً وتنفيذاً** .

ولكن الحركة الإسلامية لم تستطع أن تصل بالسفينة إلى الشاطىء المأمول والمأمون ، وتحقق كل الآمال الكبيرة المعقودة عليها ، التي رجاها الناس منها ، ورجتها هي من نفسها .

وكثر الكلام حول هذا الإخفاق وأسبابه ، من أبناء الحركة ، ومن خصومها : **أهي أسباب من خارج الحركة ، كالذي يصيب السفينة في عرض البحر من أعاصير أو صخور أو تيارات ، أو قراصنة مسلحين ، أو غواصات معادية** ، أو غير ذلك من العوارض التي تفوق قدرتها وتعترض سيرها ، وتجعلها تُغَيِّر طريقها ، وقد تُحدِث فيها من الأضرار ما لم يكن في الحسبان ، وقد تودي بها وبربانها وملاحيها وركابها ـ كلهم أو بعضهم ـ إذا لم يقدر الله لها النجاة ؟

ام هي أسباب ذاتية من داخل الحركة نفسها ، على معنى أن العيب في السفينة ذاتها ، حيث لم تُعدّ إعداداً كافياً لملاقاة الأنواء والعواصف عند اللزوم ؟ أو العيب في الربان أو الملاحين الذين مالوا بها في طريق الصخور أو التيارات الخطرة ، ولم يقدروا هذه الاحتمالات حق قدرها ؟

لعلَّ الإنصاف ودراسة الواقع عن كثب يقولان : **إن الأمرين معاً قد وُجدا : الأسباب الخارجية ، والأسباب الداخلية** .

ولا يجوز لنا إذا أرَّخنا للحركة أو نقدناها ان نهمل أحدهما أو نضخمه على حساب الآخر ، ونحن في هذه القضية ـ كما في غيرها ـ نقع بين طرفي الإفراط والتفريط .

فمنّا من ينكر أي تأثير خارجي ، ويرى ان هذه تخيلات وأوهام ، كتخيلات العرب قديماً للغول والعنقاء ! حتى قال لي صديق يوماً : **ليس هناك شيء اسمه (الصليبية)**

■ ميزة هذه المناقشة أنها تفسح المجال لوجهات النظر المتنوعة، حتى المتعارضة منها أحياناً، ليتحقق للمسلمين بشكل عام، وللعاملين في الحقل الإسلامي بشكل خاص رؤية خصبة لجميع جوانب الأزمة التي يعاني منها الواقع الإسلامي.. وليبصروا ما يدور بعقل النخبة، أو من يسمون بالقيادة الفكرية، من طرائق للعلاج.

ونعود إلى التذكير بأن لامجال للتخوف على القضية الإسلامية من الحوار وبيان العلل والأمراض التي يعاني منها الجيل المسلم بحجة أن ذلك يسهل على الأعداء مهمتهم في حربهم للإسلام والمسلمين، وإنما التخوف من إلغاء الحوار واستبقاء الأمراض التي تمكن للعدو منا على كل حال ... ولو أخذ المسلمون هذا في اعتبارهم تاريخياً لتعطلت كل حسبة، وانطفأت كل فاعلية، وغابت كل رقابة، ولانقلب العمل الإسلامي إلى لون من الكهانة وضرب من التعصب يساهم في الابقاء على الأخطاء، وحماية الانحراف.. والله تعالى يقول: ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ** ...﴾ (التوبة: ٧١) ■

[التحرير]

■ إن من غير العدل أن نحمِّل الحركة الإسلامية مسؤولية كل ما عليه مسلمو اليوم من ضياع وتمزق وتخلف هي حصيلة عصور الجمود وعهود الاستعمار والحكم العلماني.

■ أوّل ما يشكو منه ذوو البصائر داخل الحركة الإسلامية بمعناها الواسع أن النقد الذاتي فيها ضعيف وإن لم يكن غائباً في بعض الأحيان.

التي تصورونها، إنما هناك مصالح فقط توجه الناس. وهو قول يكذبه ما لا يحصى من الوقائع والوثائق.

وفي مقابل هؤلاء من يحصر الأسباب كلها في التدخلات الخارجية وتأثيرها على السلطات الحاكمة في الداخل.

ويبالغ هذا الصنف أحياناً في تضخيم دور هذه القوى الخارجية حتى تكاد تحسبها القدر الأعلى الذي له الخلق والأمر، وأن كل القادة والسياسيين الذين نراهم يحكمون ويأمرون إنما هم (عرائس) تحركها أصابع خفية بخيوط غير منظورة، أو هم بعبارة أخرى: أحجار على رقعة الشطرنج.

وفي النهاية: لا عيب في الحركة ولا عليها، وليس عليها أن تحاسب نفسها أو تراجع خططها وسياساتها.

والاعتدال بين الفريقين هنا هو الأولى، بل هو الموقف الصحيح الذي يوجبه العلم والعدل.

مدى مسؤولية الحركة

وأعتقد أن من غير العدل أن نحمل الحركة الإسلامية مسؤولية كل ما عليه مسلمو اليوم من ضياع وتمزق وتخلف، هي حصيلة عصور الجمود، وعهود الاستعمار، وعهود الحكم العلماني بعد الاستقلال.

الحركة الإسلامية عليها - ولا شك - قدر من المسؤولية يوازي ما لديها من أسباب وإمكانات مادية ومعنوية هيأها الله لها، استخدمت بعضها، وأهملت بعضاً آخر، وأساءت استعمال بعض ثالث.

ولكن الحركة الإسلامية لها بعض من العذر - قد يقل وقد يكثر - فيما قصرت فيه أو قصرت عنه، وأخفقت في تحقيقه.

الحركة الإسلامية ليست هي العامل الوحيد، ولا العامل الأقوى المؤثر في سير الأحداث في الأمة الإسلامية، إنها تيار من تيارات، وحركة من حركات.

وهي حركة تقاومها قوى الطغيان الخائفة من الإسلام في الداخل، وقوى الاستعمار الكارهة للإسلام في الخارج، وهي نتيجة لذلك لا تكاد تخرج من محنة إلَّا دخلت في محنة، وقبل أن تندمل جراحها تصاب بجراح جديدة.

على انه لا ينبغي أن نجعل النجاح والإخفاق هما مقياس الصواب والخطأ، ومعيار الحق والباطل، فمن نجح فهو مصيب، ومن أخفق فهو مخطىء؛ فهذا مقياس مردود، يرده الدين والمنطق والتاريخ والواقع، **فالحركة الإسلامية قبل كل شيء هي دعوة للناس أن يقوّموا العوج، ويصلحوا الفساد، ويتداركوا ما ضاع.**

وصاحب الدعوة قد ينجح، وقد يخفق، فقد يجد الاستجابة، وقد لا يجد إلَّا الرفض، وهذا نبي الله نوح عليه السلام يبذل أقصى ما عنده في دعوة قومه،

وقفة مع الحركة الإسلامية

بمختلف الأساليب ، وفي مختلف الأوقات ، فلا يجد إلَّا الصدود والإعراض حتى لدى أقرب الناس إليه ؛ زوجه وابنه :

﴿ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَاراً . فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَاراً . وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً ﴾ (**نوح : ٥ ـ ٧**) .

والمؤمنون الذين ذكرهم الله في سورة البروج قد ضحّوا بأنفسهم في سبيل الله ، ولم يحققوا في حياتهم نجاحاً لدعوتهم .

كذلك ذكر القرآن أن من رسل الله عليهم السلام من لقوا حتفهم ؛ بالشهادة على أيدي أعدائهم :

﴿ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ ﴾ (**البقرة : ٨٧**) .

وليس معنى هذا أن الحركة الإسلامية مبرأة من كل مأخذ ، أو أنها فوق النقد والنصح ، كما يتوهم بعض المخلصين من أتباع الحركات ، حيث يخلط بين الحركة الإسلامية والإسلام ذاته ؛ **فنقد الحركة يعني لديه نقد الإسلام ؛ كما يصنع هذا بالفعل بعض العلمانيين الذين ينقدون الحركة ، فينقدون الإسلام وأحكامه وشرائعه** .

إن الحركة الإسلامية ليست إلَّا حركة بشر يجتهدون لنصرة الإسلام وتحقيق رسالته في الحياة ، ويتخذون من الوسائل كل ما يرون أنه أقرب إلى تحقيق أهدافهم في خدمة دينهم ، ولم يدَّعوا أن اجتهادهم هذا وحي لا يقبل المناقشة ، كما لم يزعموا أن أحداً منهم يؤخذ منه ولا يرد عليه .

ولهذا كان علينا أن نبحث داخل جسم الحركة عن الأسباب الذاتية التي عاقتها عن بلوغ غاياتها في إقامة المجتمع الإسلامي المنشود ، واستئناف الحياة الإسلامية القائمة على عقيدة الإسلام وشريعته ؛ وأجتزىء هنا بجملة من الأسباب البارزة .

■ ينبغي للحركة الإسلامية أن تقف مع نفسها للتقويم والمراجعة ، وأن تشجع أبناءها على تقديم النصح وإن كان مرّاً والنقد وإن كان موجعاً .

■ نقد الفكر ـ سواء أكان علمياً أو حركياً ـ لا يعني بحال النيل من مكانة صاحبه علمياً أو دينياً أو خلقياً .

■ المودودي رحمه الله رحَّب بنقد أبي الحسن الندوي في بعض ما كتبه ولم يضق به ذرعاً كما ضاق أتباعه بعد ذلك .

أولًا ـ ضعف النقد الذاتي :

أول ما يشكو منه ذوو البصائر داخل الحركة الإسلامية بمعناها الواسع أن النقد الذاتي فيها ضعيف إن لم يكن غائباً في بعض الأحيان .

والنقد الذاتي بتعبيرنا الإسلامي هو : محاسبة النفس . وهو شأن « **النفس اللّوامة** » التي نوه بها القرآن ؛ وجاء في الحديث : « **الكيِّس من دان نفسه** »[1] أي : حاسبها .

وقال **عمـــر** رضي الله عنه :

(**حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا ، وزِنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم**) .

وقال بعض السَّلف : المؤمن أشد حساباً لنفسه من سلطان غاشم ، ومن شريك شحيح .

وكما أن على الفرد أن يحاسب نفسه على تفريطه في جنب الله ، أو تقصيره في حقوق الناس ، محاولاً أن يجعل يومه خيراً من أمسه ، وغده خيراً من يومه ، فإن على الجماعة أن تحاسب نفسها كذلك .

والله قد عصم هذه الأمة أن تجتمع على ضلالة ، ولكنه لم يعصم أي جماعة منها أن تخطىء أو تضل ، وخصوصاً في القضايا الاجتهادية التي تتعدد فيها وجهات النظر ، وتعتبر المواقف فيها قابلة للصواب والخطأ .

والخطأ إذا كان عن اجتهاد فصاحبه مأجور عليه ، فرداً كان أو جماعة . ولكن الاجتهاد في مجال العمل كالاجتهاد في مجال الفتوى ، يتغير بتغير الزمان والمكان والحال .

والخطأ يمكن أن ينشأ عن الضعف البشري ، وهو لا ينافي الإيمان أو التقوى ، لأنه من لوازم البشرية ، وكل بني آدم خطَّاء ، وقد زلقت إليه أقدام من هم أكمل منّا

إيماناً ، وأرجح عند الله ميزاناً . وهم أصحاب رسول الله ﷺ ، **وهو ما سجله عليهم القرآن الكريم في غزوة أحد بقوله تعالى** :

﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (**آل عمران : ١٦٥**) وقد علّق القرآن على بعض مظاهر الضعف التي بدت منهم فقال :

﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ (**آل عمران : ١٥٢**) .

وقد قال بعض الصَّحابة : ما كنت أعرف أن فينا من يريد الدنيا حتى نزلت هذه الآية .

وينبغي للحركة الإسلامية أن تقف بين الحين والحين مع نفسها للتقويم والمراجعة ، وأن تشجع أبناءها على تقديم النصح وإن كان مرّاً ، والنقد وإن كان موجعاً ، كما كان عمر رضي الله عنه يقول : رحم الله امرءاً أهدى إليّ عيوب نفسي .

والحركة الإسلامية ليست ملك نفسها ؛ إنما هي ملك الأمة الإسلامية كلها ، وملك الأجيال الإسلامية القادمة أيضاً ، فمن حقها أن تعرف ما في هذه الحركة من مواضع القوة ، وما يؤخذ عليها من نقاط الضعف لتأخذ منها العبرة .

وبعض المخلصين من أتباع الحركة الإسلامية يخافون من فتح باب النقد الذاتي أن يلجه، من يحسنه ومن لا يحسنه ، فقد يفسد أكثر مما يصلح .

وهذا هو العذر نفسه الذي جعل بعض العلماء قديماً يتواصون بسد باب الاجتهاد حتى لا يدخل منه الأدعياء والمتطفلون ، فيقولوا على الله ما لا يعلمون ، ويفتوا بغير علم ، فَيَضِلُّوا وَيُضِلُّوا .

والواجب هنا وهناك أن يُفتح الباب لأهله القادرين عليه ، ولا يبقى في النهاية إلّا النافع ، ولا يصح إلّا الصحيح :

﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾ (**الرعد : ١٧**) .

ويخافون كذلك أن يصوّر النقد لأفكار بعض قادة الحركات الإسلامية بصورة الاتهام لهم ، أو الوقوف مع خصومهم ضدهم ، فمن نقد رأياً لمثل : حسن البنّا ، أو أبي الأعلى المودودي ، أو سيد قطب ، أو مصطفى السباعي ، أو غيرهم من القادة الفكريين والحركيين ، فكأنّه يوجه اتهاماً إلى هؤلاء ، أو يطعن في إمامتهم وبطولتهم .

مع أن نقد الفكر ـ سواء أكان علمياً أم حركياً ـ لا يعني بحال النيل من مكانة صاحبه علمياً أو دينياً أو خُلُقياً .

على أن فكر هؤلاء لم يعد ملكاً لهم ، بل هو ملك الأجيال المسلمة ، فمن حقها ـ بل من واجبها ـ أن تعرف ما فيه من مواطن الإجماع أو الخلاف ، والقرب من الصواب أو البعد عنه .

وأصحاب هذه الأفكار والمناهج لم يزعموا يوماً لأنفسهم العصمة ، ولم يضفوا على آرائهم واجتهاداتهم أي لون من القداسة ؛ بل أكّد حس البنا في (أصوله العشرين) أن كل واحد يؤخذ من كلامه ويترك إلّا النبي ﷺ .

وسيد قطب غيَّرَ من مواقفه الفكرية خلال مراحل حياته الحافلة ، وانتقل من مجرّد أديب ناقد مبهور ببلاغة القرآن [مرحلة التصوير الفني ومشاهد القيامة في القرآن] ، **إلى كاتب إسلامي يدعو إلى عدالة الإسلام ونظامه للحياة** [مرحلة العدالة الاجتماعية والسلام العالمي في الإسلام] ، **ثم إلى داعية حركي له أفكاره الخاصة في منهج التغيير والنظرة إلى المجتمع ، والدعوة إلى العقيدة بدل الدعوة إلى النظام** [مرحلة « المعالم » والطبعة الثانية من « الظلال »] . **وقد ذكر هو ذلك عن نفسه لبعض تلاميذه ، فقال له أحدهم : إذنْ أنت لك مذهبان : قديم وجديد كالشافعي . فقال له : نعم ، ولكن الشافعي غَيَّرَ في الفروع ، وأنا غَيَّرت في الأصول**(٢) ! .

ومن يدري لعل البحث الناقد يجد أن مذهبه القديم ـ في بعض القضايا على الأقل ـ أدنى إلى الصواب من مذهبه الجديد !! .

والمودودي رحب بنقد السيد أبي الحسن الندوي في بعض ما كتبه ، ولم يضق به ذرعاً ، كما ضاق أتباعه بذلك .

ويخافون كذلك أن يستغل خصوم الحركة هذا النقد الذاتي للتشويش على الحركة ورجالها ، فهم يجمعون نقاط الضعف ، ويعرضونها من جهة نظرهم ، مكبرة مضخمة ، غير منسوبة إلى محيطها وظروفها ودوافعها .

وقد لمست بنفسي هذا في بعض ما كتبته في كتابي « **الحل الإسلامي** » عن عوائق الحركة الإسلامية من داخلها ، فأخذها بعض ذوي النزعة اليسارية ، فقدم فيها وأخر ، وحذف واختصر ، وقدمها على طريقة الشاعر السكير الذي قال :

ما قال ربك : ويل للألى سكروا
بل قال ربك : ويل للمصلينا !

ورغم هذا لا يجوز أن يكون مثل هذا

الاستغلال أو التحريف مانعاً من النقد العلمي المخلص ، فإن كلمة الحق لا ينبغي أن تختفي خشية من كلمة الباطل ، وقد حَرَّف الناس كلمات الله عن مواضعها ، ولكنها بقيت مضيئة هادية ، وكلامنا نحن البشر ليس أولى بالحفظ من كلام الله .

ثانياً - الانقسام والاختلاف :

ومن آفات الحركة الإسلامية المعاصرة هذا الانقسام أو التمزق الذي نشهده بين فصائلها وجماعاتها المتعددة ، فكل جماعة منها ترى نفسها وحدها (**جماعة المسلمين**) لا جماعة من المسلمين ، وأن معها الحق كله ، وليس بعدها إلّا الضلال ، وأن دخول الجنة والنجاة من النار حكر على من اتبعها ، وأنها وحدها (**الفرقة الناجية**) ومن عداها من الهالكين !

ومن لم يقل ذلك منهم بلسان المقال ، قاله بلسان الحال ، وكأن عدوى التمزق في محيط الأمة انتقلت إلى محيط الحركة ؛ وهو ما يشكو منه المخلصون الغيورون على نجاح العمل الإسلامي ، وعلى استقامة طريقه ، وهي شكوى ستطول إذا ظل هذا الموقف الفكري لهذه الجماعات على هذا النحو الذي يقطع الطريق على أي تقارب حقيقي يؤلف بينها .

وانا أقول : **تقارب** ، ولا أقول : **وحدة** . لأني لا أنكر تعدد الجماعات العاملة للإسلام ، ولا أطمع أن ينضوي الجميع في جماعة واحدة ، يضمها تنظيم واحد ، تحت قيادة واحدة ، فهذا حلم جميل ، ولكن دون تحقيقه صعوبات لا يسهل تذليلها ، إلّا أن ينقلب البشر إلى ملائكة أولي أجنحة .

ولا مانع من التعدد إذا كان تعدد تنوع وتخصص ، لا تعدد تضاد وتناقض .

فجماعة تتخصص في تحرير العقيدة من الخرافة والشرك . وتصحح عقائد المسلمين وفق الكتاب والسنة .

وأخرى تتخصص في تصحيح العبادات ، وتطهيرها من البدع والشوائب ، وتفقيه الناس في دينهم .

وثالثة تُعنى بمشكلات الأسرة المسلمة ، والدعوة إلى الحجاب الشرعي ، ومقاومة التبرج والانحلال .

ورابعة تُعنى بالعمل السياسي ، وخوض معارك الانتخابات والوقوف في وجه الأحزاب العلمانية .

وخامسة تهتم بالعمل التربوي أو العمل الاجتماعي وتبذل فيه جهدها ووقتها .

وسادسة تعمل في هذه الميادين كلها ، أو في مجموعة منها ، حسبما يتيسر لها .

يمكن أن تعمل بعض الجماعات مع الجماهير ، وبعضها الآخر مع المثقفين .

يخاطب الأولون العواطف ، ويستثيرون مشاعر الإيمان ، على حين يخاطب الآخرون العقول والأفكار ، **وبخاصة عقول أولئك المغزوين للثقافة الغربية بشقيها : الليبرالي والاشتراكي** .

وهكذا تتنوع الجماعات ، ويتنوع عملها وفق اهتمامها وما ندبت نفسها لخدمته ، ومن تفرغ لشيء أحسنه[٣] .

هذا شيء حسن ونافع ، على شرط أن يحسن الجميع الظن بعضهم ببعض ، وأن يتسامحوا في مواضع الخلاف ، وأن يتعاونوا ويتناصحوا فيما بينهم بالمعروف ، وأن يقفوا صفاً واحداً في القضايا الكبرى : قضايا الوجود الإسلامي والمصير الإسلامي . وأن يحاربوا في جبهة واحدة العدو المشرك ، مثل : اليهودية والصليبية والشيوعية والعلمانية ، وأن يذكروا قول الله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾ (**الصف** : ٣) .

ومن الواجب على قادة الحركة الإسلامية اليوم أن يحاولوا التقريب والتوفيق بين الجماعات الإسلامية العاملة للإسلام ، والتي يتحمس لكل منها جماعات من الشباب المثقف في البلاد العربية[٤] وأخص بالذكر هنا :

* **جماعة الإخوان المسلمين** .
* **جماعة السلفيين** .
* **جماعة الجهاد** .
* **حزب التحرير الإسلامي** .

■ **من آفات الحركة الإسلامية المعاصرة هذا الانقسام والتمزق الذي نشهده بين فصائلها وجماعاتها المتعددة .. فكل جماعة منها ترى نفسها وحدها « جماعة المسلمين » .**

■ **دعوتنا إلى العمل الجماعي المنظم لا تعني أن نلغي اعتبار من يعملون خارج الأطر الجماعية من الشخصيات النظيفة المخلصة لدعوة الإسلام .**

* **جماعة التبليغ .**

فينبغي أن يدعى المفكرون والمنظرون لهذه الجماعات إلى ندوات أو حلقات دراسية ، مهمتها : إبراز مواضع الاتفاق التي يجب التعاون فيها ، وتقريب شقة الخلاف في مواضع الاختلاف التي يسع كل مخالف فيها صاحبه ، وتخفيف حدة الجدل في الجزئيات التي لا يطمع عاقل في إنهائها ، وتحسين الظن بالآخرين فيما لا يوافقون فيه من الرأي أو العمل ... والخروج من هذه الدراسة بورقة عمل أو وثيقة شرف ، يمكن أن يلتقي الجميع عليها ، ويقفوا صفاً واحداً في المعركة الواحدة ضد أعداء الإسلام وما أكثر عددهم ، واقوى عُددهم ، وما أعظم كيدهم !

ومن الخطأ - في رأيي - محاولة تضخيم الفروق ، وتوسيع الهوة بين هذه الجماعات ، وكلها تعمل في الدعوة إلى الله ، بل الواجب تضييق الفجوة وإزالة الجفوة ، ما وُجد إلى ذلك سبيل .

واعتقد أن (الأصول العشرين) التي وضعها الإمام حسن البنا رحمه الله ، وجعلها أساساً لوحدة الفهم عند العاملين للإسلام ، والتي كان قد قدمها في الأصل لاتحاد الجماعات الدينية في مصر ، لتلتقي عليها ، بدل الفرقة وتبادل الاتهامات ... والتي صاغها صياغة فيها كثير من الحكمة والاعتدال ... هذه الأصول يمكن أن تكون مرتكزاً للقاء فكري مشترك بين الجماعات المذكورة إذا صدقت النيات . هذا إلى جوار (قاعدة المنار الذهبية) الشهيرة التي تقول :

نتعاون فيما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه .

ولم أر مثل البنا رحمه الله في حرصه على التاليف بين الجماعات العاملة للإسلام ، وإلحاحه على ذلك في شتى المناسبات ، واتخاذه كذلك أرفق الأساليب للوصول إلى القلوب ، يقول في (**رسالة المؤتمر السادس**) :

[... **وأما موقفنا من الهيئات الإسلامية جميعاً على اختلاف نزعاتها ، فموقف حب وإخاء وتعاون وولاء ، نحبها ونعاونها ، ونحاول جاهدين أن نقرب وجهات النظر ونوفق بين مختلف الفكر توفيقاً ينتصر به الحق في ظل التعاون والحب . ولا يباعد بيننا وبينها رأي فقهي أو خلاف مذهبي ، فدين الله يسر ، ولن يشاد الدين أحد إلَّا غلبه . ولقد وفقنا الله إلى خطة مثلى ، إذ نتحرىٰ الحق في أسلوب لين ، يستهوي القلوب ، وتطمئن إليه العقول ، ونعتقد انه سياتي اليوم الذي تزول فيه الأسماء والألقاب والفوارق الشكلية ، والحواجز النظرية ، وتحل محلها وحدة عملية ، تجمع صفوف الكتيبة المحمدية ، حيث لا يكون هناك إلَّا إخوة مسلمون ، للدين عاملون ، وفي سبيل الله مجاهدون** :

﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (المائدة : ٥٦) .

ولا ينبغي للحركة الإسلامية أن تهمل الشخصيات القوية العاملة في ميدان الدعوة إلى الإسلام . فهي - وإن كانت تعمل منفردة - لها تأثيرها في محيطها وتلامذتها ، ولكل منهم مدرسته ومريدوه .

ولا ريب أن منهم الصادقين المخلصين الذين يستطيعون أن يحركوا الرأي العام ، ويوجهوه ، إن صح منهم العزم ، وصدق الاتجاه .

ودعوتنا إلى العمل الجماعي المنظم المخطط لا تعني أن نلغي اعتبار من يعملون خارج الأطر الجماعية ؛ فقد يكون لأحدهم من الأعذار أو الموانع المادية أو المعنوية ما يعوقه عن العمل الجماعي النظامي ؛ وإن كان الواجب عليه أن يكون بفكره وقلبه وجهده عوناً لكل عمل جماعي ملتزم بشريعة الإسلام ، ولو لم يكن عضواً رسمياً فيه .

ومثل ذلك بعض الشخصيات النظيفة المخلصة لدعوة الإسلام ، التي تعمل في بعض المجالات الرسمية ، كوزارات الأوقاف والشؤون الدينية ، والمجامع والجامعات الإسلامية ونحوها . فلا يحسن تجاهلها لمجرد ارتباطها الحكومي ، فقد تستطيع بما لديها من أجهزة ومؤسسات تقديم خدمات جليلة للعمل الإسلامي .

الحـــواشي :

(١) رواه أحمد والترمذي وحسنه ، وابن ماجه ، والحاكم وصححه ، وخالفه الذهبي .

(٢) ذكر ذلك الدكتور محمد المهدي البدري في مقال له بمجلة (الدعوة) نقلاً عن بعض ثقات تلاميذه داخل المعتقل .

(٣) وإن من أسباب الفرقة أحياناً ، الحرص البالغ على الوحدة : وحدة العاملين للإسلام ، أو ما سمي بـ (**حركة إسلامية عالمية واحدة**) ، فمن أدّاه اجتهاده إلى أسلوب مغاير في العمل ، أو الحركة ، اتهم بالانشقاق ، أو بالخروج على الصف ، أو تمزيق الوحدة ، أو غير ذلك من التهم التي لا يترتب عليها إلَّا المزيد من الفرقة في الصفوف ، وتباعد القلوب ، وبهذا تكون المبالغة في الحرص على الوحدة سبباً إلى الفرقة .

وأولى من ذلك **الاعتراف بتعدد الاجتهادات ، وتنوع الأساليب بناء على تعدد زوايا الرؤية ، والاختلاف في ترتيب الأهداف ، وفاعلية الوسائل ، وتقدير الأولويات ، ومدىٰ المُعِينات والعوائق** إلى غير ذلك ، مما يتغير فيه الاجتهاد ، أو الفتوىٰ ، بتغير الزمان والمكان ، والحال والملابسات ؛ ولكل مجتهد نصيب ، ولكل امرىء ما نوىٰ .

(٤) وفي غير البلاد العربية توجد : « الجماعة الإسلامية » في باكستان والهند ، و « حزب السلامة وجماعة النوريين » في تركيا ، و « جماعة الشباب المسلم والحزب الإسلامي » في ماليزيا وغيرها .

من نور كتاب الله

﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَى ٱلَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (الإسراء : ١)

﴿ من المسجد الحرام ﴾ يعني : مكة المكرمة . ﴿ إلى المسجد الأقصى ﴾ يعني : بيت المقدس ، وقيل له الأقصى ، لبعد المسافة التي بينه وبين المسجد الحرام . ﴿ الذي باركنا حوله ﴾ أي : بأن أجرى حوله الأنهار وأنبت الثمار . وقيل : لأنه مقر الأنبياء ومهبط الملائكة . [تفسير الطبري : ١٥/٤-٥] .

البارح والسانح

البارح : ما مرّ من الطير والوحش من يمينك إلى يسارك ، والعرب تتطير به لأنه لا يمكّنك من أن ترميه حتى تنحرف .

والسَّانح : ما مرَّ بين يديك من جهة ياسرك إلى يمينك ، والعرب تتيمن به لأنه أمكنُ للرمي والصيد . . .

وفي المثل : « من لي بالسانح بعد البارح ؟ » يضرب للرجل يسيء إليه الرجل ، فيقال له : إنه سوف يحسن إليك ؛ فيضرب هذا المثل ، ويقول : من لي بالسانح بعد البارح ؟ وأصله أن رجلاً مرت به ظباء بارحة ، فقيل له : سوف تسنح لك . فقال : من لي بالسانح بعد البارح ؟ . .

[لسان العرب]

آداب الغنىٰ

نفي التكبر ، ودوام الشكر ، والتوصل إلى أعمال البر ، والبشاشة بالفقير والإقبال عليه ، ورد السلام على كل أحد مع لطافة الكلمة وطيب المؤانسة ، والمساعدة على الخيرات . . .

[إحياء علوم الدين]

آداب الفقر

لزوم القناعة ، وكتمان الفاقة ، وترك الامتهان ، واتقاء الطمع ، وإيثار الصيانة ، وإظهار الكفاية لأهل المروءة ، وإجلال الأغنياء وترك الكبر عليهم مع نفي التذلل ، والتمسك بالدين عند مشاهدتهم .

[إحياء علوم الدين]

البلاغة

قال أعرابي : البلاغة : التقرب من البعيد ، والتباعد من الكلفة ، والدلالة بقليل على كثير .

وقال عبد الحميد بن يحيىٰ : البلاغة تقرير المعنى في الأفهام من أقرب وجوه الكلام .

وقال ابن المعتز : البلاغة : البلوغ إلى المعنى ولم يطل سَفَر الكلام .

وقال العتَّابي : البلاغة : مد الكلام بمعانيه إذا قَصر ، وحُسن التأليف إذا طال .

وقيل لليوناني : ما البلاغة ؟ قال : تصحيح الأقسام واختيار الكلام .

وقيل للرومي : ما البلاغة ؟ قال : حسن الاقتضاب عند البداهة ، والغزارة يومَ الإطالة .

وقيل للهندي : ما البلاغة ؟ قال : وضوح الدلالة ، وانتهاز الفرصة ، وحسن الإشارة .

وقيل للفارسي : ما البلاغة ؟ قال : معرفة الفصل من الوصل .

وقال علي بن عيسى الرماني : البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ .

[زهر الآداب]

للعلم أربعة ...

قال دغفل بن حنظلة : إن للعلم أربعة : آفة ، ونكداً ، وإضاعة ، واستجاعة ... فآفته : النسيان . ونكده : الكذب . وإضاعته : وضعه في غير موضعه . واستجاعته : أنك لا تشبع منه .

وإنما عاب الاستجاعة لسوء تدبير أكثر العلماء ، ولخرق سياسة أكثر الرواة ، لأن الرواة إذا شغلوا عقولهم بالازدياد والجمع عن تحفظ ما قد حصّلوه ، وتدبر ما قد دوّنوه ، كان ذلك الازدياد داعياً إلى النقصان ، وذلك الربح سبباً للخسران . . . وجاء في الحديث : « منهومان لا يشبعان : منهوم في العلم ، ومنهوم في المال » .

[البيان والتبيين]

يا وليد إنك ميِّت

الوليد بن عبد الملك ، أبو العباس ، من ملوك الدولة الأموية في الشام ، ولي بعد وفاة أبيه سنة (٨٦) للهجرة فوجه القواد لفتح البلاد ، وكان من رجاله موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد ، وامتدت في زمنه حدود الدولة إلى بلاد الهند ، فتركستان ، فأطراف الصين شرقاً ، فبلغت مسافتها مسيرة ستة أشهر بين الشرق والغرب والجنوب والشمال ، وكان ولوعاً بالبناء والعمران ، فكتب إلى والي المدينة يأمره بتسهيل الثنايا وحفر الآبار ، وأن يعمل فَوَّارةً ، فعملها وأجرىٰ ماءها ، وكتب إلى البلدان جميعها بإصلاح الطرق وحفر الآبار . منع المجذومين من مخالطة الناس وأجرىٰ لهم الأرزاق ، وهو أول من أحدث المستشفيات في الإسلام ، جعل لكل أعمىٰ قائداً يتقاضى نفقاته من بيت المال ، وأقام لكل مُقْعَدٍ خادماً . . . رتب للفقراء أموالاً وأرزاقاً ، وأقام بيوتاً ومنازل يأوي إليها الغرباء . . . هدم مسجد المدينة والبيوت المحيطة به ثم بناه بناءً جديداً ؛ صفَّح الكعبة والميزاب والأساطين في مكة ، وبنى المسجد الأقصى في القدس ، وبنى مسجد دمشق الكبير المعروف بالجامع الأموي ، بدأ فيه سنة (٨٨) للهجرة وأتمه أخوه سليمان . . . كانت وفاته بـ « دير مران » من غوطة دمشق ودفن بدمشق ، مدة خلافته تسع سنين وثمانية أشهر ، كان نَقْشُ خاتمه : يا وليد إنَّك ميِّت . . .

[الأعلام للزركلي]

ما أدركنا يوماً من أيامهم

رُوي عن ابن المبارك أنه قال : خرج الحارث بن هشام من مكة ، فجزع أهلها جزعاً شديداً ، فلم يبق أحد يُطعم الطعام إلاَّ خرج معه يشيِّعه ، حتى إذا كان بأعلىٰ البطحاء ، أو حيث شاء الله من ذلك ، وقف ، ووقف الناس ، فقال :

يا أيها الناس ، إني والله ما خرجت رغبة بنفسي عن أنفسكم ولا اختيار بلد على بلدكم ، ولكن كان هذا الأمر ـ الإسلام ـ فخرجت فيه رجال من قريش ، والله ما كانوا من ذوي أنسابها ولا في بيوتها ، فأصبحنا والله ولو أن جبال مكة ذهباً أنفقناها في سبيل الله ما أدركنا يوماً من أيامهم ، والله لئن فاتونا في الدنيا لنلتمس أن نشاركهم في الآخرة ، فاتقىٰ الله امرؤ ؛ فتوجه إلى الشام واتبعه ثقله ، فيقال : إنه قُتل يوم اليرموك رحمه الله . . .

[كتاب التوابين لابن قدامة المقدسي]

أقرَّ الله عينه

قال الإمام أبو طالب ، المفضَّل بن سلمة الكوفي :

قولهم : أقرَّ الله عينه ؛ قال الأصمعي : المعنى : أبرد الله دمعته ، لأن دمعة السرور باردة ، ودمعة الحزن حارة ؛ وأقرَّ : مشتق من القَرور ، وهو الماء البارد .

وقال غيره : معنى « أقرَّ الله عينك » أي : صادفت ما يرضيك ، فتقر عينك من النظر إليه .

وقال أبو عمرو : معنى « أقر الله عينه » : أنام الله عينه ، والمعنى : صادف سروراً أذهب سهره فنام .

وقال عمرو بن كلثوم :

بيوم كريهة ضرباً وطعناً ... أقرَّ به مواليك العيونا

أي : نامت عيونهم لما ظفروا بما أرادوا منه .

[غاية الأرب في معاني ما يجري على ألسن العامة في محاورتهم وأمثالهم من كلام العرب]

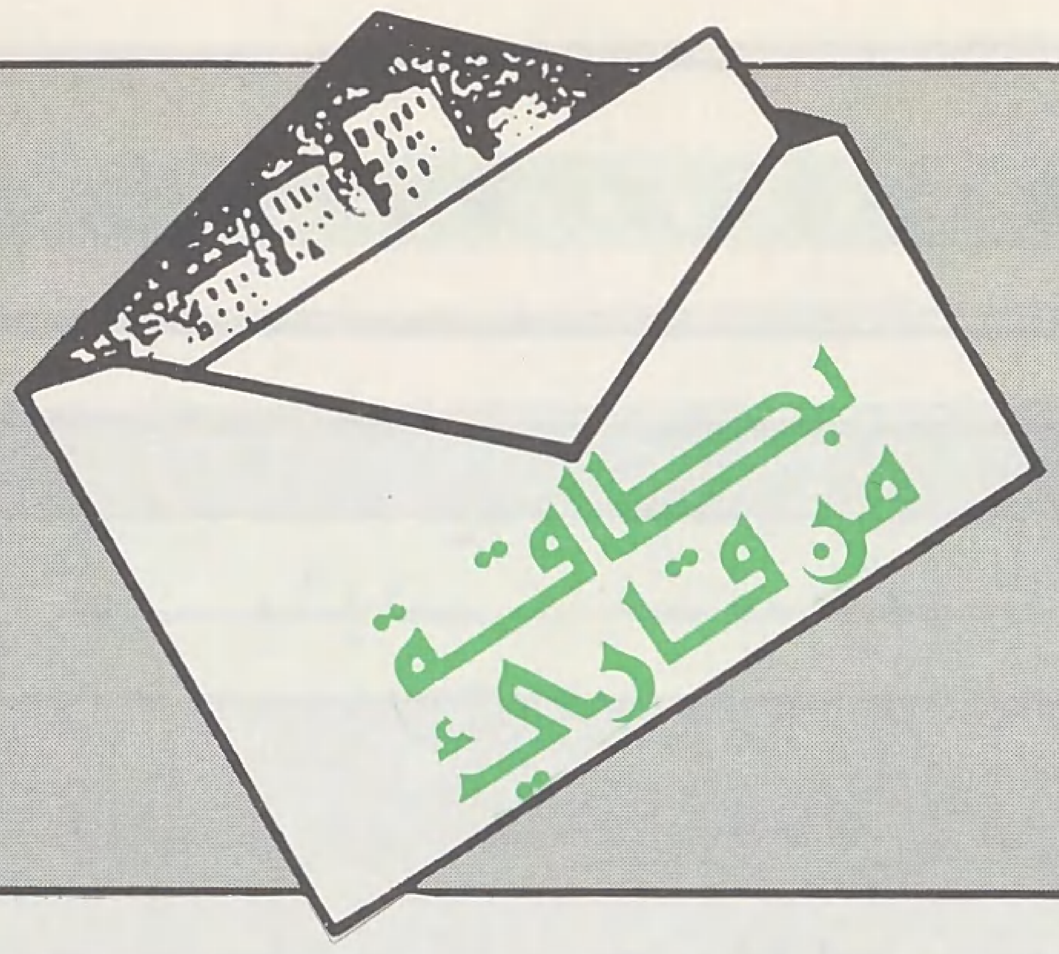

□ هذه البطاقات عبارة عن أفكار وتصريحات وأقوال ذات مساحات محددة يلتقطها بعض الإخوة من القراء بما يتمتعون به من حواس ذكيَّة . ومن ثَمَّ يقدمونها من خلال هذه الصفحة ..

وهي محتجزة لتقديم كل نافع ومفيد من هذه العصارات المكثفة ، التي يُشار فيها إلى مكمن خطر .. أو يُكشف فيها قناع عن وجه عدو للأمة ومقوِّماتها .. أو يبصِّر برؤية ويسدد طريقاً ويقوِّم منهجاً . تحت عنوان خير الكلام ما قلَّ ودل □

من يجني الثمار ؟!

□□ في عام ١٩٥٦م شعرت الولايات المتحدة الأمريكية بحاجتها الماسة إلى تعويض الكفاءات العلمية الناقصة لديها كي تلحق بالسباق العلمي المتاجج بينها وبين الاتحاد السوفييتي ، حيث بلغ عدد المهندسين المتخرجين من جامعاتها في ذلك الحين (٣٥,٠٠٠) مهندس في مختلف فروع الهندسة ، مقابل (٨٠,٠٠٠) مهندس في الاتحاد السوفييتي ، وقبل ان تتفاقم المشكلة ، كانت الولايات المتحدة قد اجتذبت - حسب خطة تنمو سريعة - ما ينقصها من كفاءات علمية : (٤٣,٠٠٠) مهندس وعالم فيما بين سنوات ١٩٤٩ - ١٩٦١م ..

وفي عام ١٩٦٥م - وُجد ان من بين (٤١,٠٠٠) طبيب - كانوا يعملون في المستشفيات الأمريكية ، (١١,٠٠٠) حصلوا على شهاداتهم من جامعات غير امريكية ، واتضح ان هؤلاء الاختصاصيين ياتون من الاقطار المختلفة التي نسميها النامية ، والتي تعتبر من افقر البلدان بالمهندسين والأطباء ..

وفي احد الأقطار العربية ، بلغت نسبة الاختصاصيين العلميين الذين احجموا عن العودة إلى البلاد بين عامي ١٩٥٨م - ١٩٧٠م (٢ر٨١٪) من إجمالي عدد طلاّب البعثات الحكومية .. □□

[الدعــوة] [العدد ٩٧٩]

القارىء : سهيل راجح - السعودية

لعبـــة الأبحـــاث !

□□ الجهات والدول الكبرىٰ هي التي تمتلك أسرار ثروات الدول الفقيرة ، ومع أن في الفضاء الآن أكثر من (٤٥٠٠) قمر صناعي يعمل معظمها في الأغراض العسكرية ، فإن اقماراً كثيرة تعمل لأغراض اقتصادية صرفة ، مهمتها إجراء عمليات مسح شاملة للثروات الطبيعية في البر والبحر ، ومن ثم وضعها تحت تصرف دولها ، ودون علم سلطات دول العالم الثالث ، وتعقد صفقات مجحفة للتنقيب عن المعادن تحت حجة إجراء المسح ، وتحديد مواقع التنقيب في حين أن معظم المعلومات متوافرة ، والمواقع محددة مسبقاً .. □□

عن [البيان] الظبيانية - من القارىء : مهدي عبد الحميد - الدوحة

واقعنـــا الفـــكري !

□□ ... مـا دام الفكر الـغـربي هـو الـوسيلة التي يحـاول بهـا ابنـاؤنـا أن يفهمـوا واقعنــا الفكـري والاجتمـاعـي والـعقيـدي ، سيبقى فـهمهـم قـاصـراً وإدراكهم لـلأمـور عـاجزاً وسيظلون ادوات سهلـة للانقيـاد بيد من يـوجهون حـركة الفكـر في الـدول النـامية ومنهـا الـوطـن الـعـربي .. □□

[الدستـــور] الأردنية

القارىء : محمد ذنيبات - عمّان

خرافـــة ماركـــس !

□□ يقول العلماء المتخصصون : إن فكرة « كارل ماركس » عن المادة وقوانينها إن هي إلاّ شطحة إلحادية من شطحات العقل المريض ، فالمادة التي اعتقد « ماركس » انها كل شيء محسوس تتحول إلى طاقة ، والطاقة شيء غير محسوس . ففي عام ١٩٦٣م اجتمع (٢٩) عالماً سوفييتياً ، وانتهوا إلى ان ما قاله « ماركس » عن المادة وقوانينها كله خرافة .. □□

[الاقتصـــاد الإسلامي]

القارىء : فيصل تليلاني - الجزائر

درس التَّــــاريخ !

□□ ربما لا يحتل اسم في تاريخ الحرب العالمية الثانية وما بعدها ، مكانة بارزة وراسخة مثل « يالطا » .. والاسم اصبح صفة تطلق على المساومات والاتفاقات التي تتم بين الكبار على حساب الصغار ، كما اصبح رمزاً لتقسيم العالم ، إلى مناطق نفوذ ، وإلى تكتلات ، خارج اي اعتبار إلاّ لمصلحة الاقوياء - الدول الكبرىٰ والعظمىٰ - على حساب الدول الأضعف والأصغر ..

وقد احتفلت الدول الكبرىٰ - الشهر الماضي - بمرور أربعين عاماً على مؤتمر « يالطا » عندما اجتمع أقطاب الحلفاء (في ذلك الوقت) جوزيف ستالين وفرانكلين روزفلت وونستون تشرشل ، ليخططوا شكل القارة الأوروبية الجديدة بعد أن تتم هزيمة المانيا النازية ..

لقد قيل وقتها ، ولسنوات طويلة بعدها : إن المؤتمر أدّىٰ وسيؤدي إلى السلام الدائم .. ولكن بعد اربعين سنة يمر هذا السلام بأحرج أوقاته .. واتضح أن « يالطا » التي قامت على التقسيم كانت كارثة ، وحتى الآن لم تتعلم أي من الدول - التي تعطي لنفسها صفة العظمة - درس التاريخ ... □□

[الحــوادث] [العدد ١٤٧٧] — القارئـة : نادرة خليفة - القاهرة

نزهة في حرية الرأي ٢

عن هذا العبث بالعلم واللغة والدين

بقلم : د . محمد سعيد رمضان البوطي

■■ ... وهكذا ، فقد سعىٰ هذا الرجل ، من خلال مفاهيمه القرآنية ، إلى سدّ ينابيع الحقائق الإسلامية من أيسر وسيلة وبأقل جهد ، ودون أن يتحمل في سبيل ذلك منّة أي برهان علمي أو دلالة لغوية !..

فمحمد ﷺ كان ـ بناء على قراره ـ مجرد رسول نبي ، ولم يكن قائداً ولا رئيس دولة ، لا بالمعنى الحديث ولا القديم ، ألم يأمره القرآن أن يقول للناس : ﴿ ... وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ ﴾ ؟ إذنْ هو ليس ملكاً ولا رئيس أمّة أو دولة !.. والفرق بين فتح اللام وكسرها تافه لا يدخل في الحسبان !..

والخلافة مجرد فكرة سياسية أبدعتها أدمغة الصحابة من بعده ، أما هو فلم يخطط لها ولم يتحدث عنها ولم تخطر منه على بال !.. ■■

والشريعة ؟.. كيف حل مشكلتها وحرر الناس من تبعاتها ؟

لقد كان سبيله المفضل إلى ذلك القول بان مجالس الشورىٰ غدت بعد رسول الله هي الوريث والمرجع في كل شيء .. ومجالس الشورىٰ عليها أن تتبع المصلحة التي تراها ، فإن تعارضت المصلحة مع نص القرآن أو السنّة ، قدّمت المصلحة عليه !..

ولكن ما الدليل على ذلك ؟ ومن الذي قال : إن المصلحة التي يراها أهل الشورىٰ تقدم على النص الوارد في كتاب الله ؟

هنا ، غاص صاحب « المفاهيم القرآنية » إلى لجة التاريخ الإسلامي ، ومضى ينبش وينقّب .. ثم عاد إلينا وقد عثر على شيء !..

لقد عثر على رجل اسمه « سليمان الطوفي » وأكد لنا أنه كان يقول بأن المصلحة هي مدار النصوص وأساسها ، وما النصوص إلّا باحثة عنها وخادمة لها .. وإذنْ فحيثما تعارض النص الذي هو الفرع مع المصلحة التي هي الأصل ، قُدّم الأصل وإن اقتضى ذلك إهمال الفرع .

وما دام أن صاحب « المفاهيم القرآنية » قد عثر بعد البحث والتنقيب على من شذ عن إجماع المسلمين وتفرد بالذهاب إلى ما لم يقل به أحد من المسلمين في أي من العصور السابقة ، إذن فليكنْ هذا الرأي الشاذ هو الحق الذي ينبغي المصير إليه ، وبذلك يتخلص الناس من قيود الشريعة وأحكامها ، ويتحقق لهم في بيداء ما يسمونه « المصلحة » خير معتصم وملاذ !

الطوفي ... من هو ؟

ولنبدأ إذنْ بتعريف القارىء بهذا (الطوفي) الذي وجد فيه الكاتب ضالته المنشودة بعد أن لم يجدها عند غيره لا ممن سبقه ولا ممن أتوا بعده .

هو سليمان بن عبد القوي الطوفي ، ولد عام ٦٥٦ هجرية في إحدىٰ قرىٰ بغداد ، وهو في أصل مذهبه حنبلي ، ومعدود من أهل السنة والجماعة . ولكنه تشيّع بعد ذلك ، ثم غالى في تشيّعه حتى انحرف إلى الرفض ، كما نصّ على ذلك ابن رجب في طبقاته[1] بل لقد اشتهر عنه الوقوع في أبي بكر رضي الله عنه وعائشة رضي الله عنها ، وفي غيرهما من جملة الصحابة رضوان الله عليهم ، وظهر له في ذلك أشعار بخط يده ، من ذلك قوله في قصيدة يمدح فيها علياً رضي الله عنه وينتقص من مكانة أبي بكر رضي الله عنه بطريقة عجيبة :

كم بين من شُك في خلافته ... وبين من قيل إنه الله

وقد رُفع أمره إلى القاضي سعد الدين الحارثي ، وقامت عليه البيّنة ، فعاقبه بالسجن مدة من الزمن ، ولما أطلق سراحه توجه إلى

قوص ، وأقام هناك نزيلاً عند بعض النصارىٰ[٢] .

وقد اشمأزَّ وتبرّأ من غلوّه وفحش كلامه في حق الصحابة ، حتى الشيعة أنفسهم ، فقد ترجم له **الشيخ عبد الحسين شرف الدين العاملي** في كتابه « **أعيان الشيعة** » مستنكراً تطرفه وغلوّه . وقال عنه في مقال نشر في مجلة العرفان : « ... **وسليمان الطوفي من الغلاة الذين لا تزال خصومنا تحملنا أوزارهم** »[٣] .

على أن الرجل ، باتفاق من عرفوه أو ترجموا له ، كان مضطرب الفكر والسلوك ، فلم يستقر على اعتقاد ولا على منهج ، بل كان يتطوح في كثير من المعتقدات والمذاهب والمسائل ، بين وساوس وأوهام مختلفة تأخذه وتردّه . وحسبك مصداقاً لذلك قوله عن نفسه :

أشْعريٌ حنبليٌ ظـاهِرِي   رافضيٌ ، هذه إحدىٰ العبر

اضطـــــراب وتنـــاقض :

تلك هي ترجمـــة « **الطوفي** » باختصار .. ولكنا مع ذلك لا نجعل من هذه الترجمة وحدها ، مهما دلت على اضطرابه وانحرافه ، سبب إعراض عن كلامه الذي ذكره عن المصلحة وعلاقتها بالنصوص . بل نعرض كلامه في ذلك على موازين المنطق ومقتضيات المنهج العلمي المجرد ، بقطع النظر عن سائر انحرافاته الأخرىٰ .

ولكنا عندما نفعل ذلك ، لا نجد برهاناً ، بل صورة تجسِّد تناقضه واضطرابه في البحث والفكر ، كحديثه العجيب هذا عن المصلحة والنصوص .

ألَّف « **الطوفي** » كتاباً في شرح الأربعين حديثاً ، وأفاض في الكلام عند شرحه لحديث « **لا ضرر ولا ضرار** » وبيَّن أنه يدل على رعاية المصالح إثباتاً والاهتمام بالمفاسد نفياً وإلغاءً ، وأكَّد أن سائر نصوص الشريعة دالَّة على ذلك .. ثم ما لبث أن استخلص من هذه الحقيقة ، أن المصلحة هي أقوى أدلة الشرع كلها ، فهي مقدمة بل قاضية عليها . واستدلَّ على ذلك فقال :

« **إنَّ رعاية المصلحة أقوىٰ من الإجماع ، ويلزم من ذلك أنها اقوىٰ ادلة الشرع ، لأن الأقوىٰ من الأقوىٰ أقوىٰ** » !..

ثم أراد أن يزيد كلامه العجيب هذا وضوحاً وتأكيداً فقرر أن ثمة حقيقتين اثنتين لا مناص من الإذعان لهما ، وهما عمدة الدليل القطعي على أنَّ المصلحة مقدمة على أدلة الشرع كلّها وفي مقدمتها : النص والإجماع ، وذكر هاتين الحقيقتين فقال :

« **أحداهما : أن منكري الإجماع قالوا برعاية المصالح ، فهي إذن محل وفاق ، والإجماع محل خلاف ؛ والتمسك بما اتُّفق عليه اولى من التمسك بما اختلف فيه !..**

الثانيـــة : أن النصوص مختلفة متعارضة فهي سبب الخلاف في الأحكام المذموم شرعاً ، ورعاية المصالح أمر حقيقي في نفسه ولا يُختلف فيه ، فهو سبب الاتفاق المطلوب شرعاً ، فكان اتباعه أولى »[٤] .

فتأمَّل هذا الكلام ، هل سمعت قط كلاماً مثله ؟!.. وهل تجده إلَّا مظهراً لأعجب أشكال التناقض والاضطراب ؟

* يستخلص رعاية الشريعة للمصالح من نصوص القرآن والسنة ، ثم يجعل دليل المصلحة مع ذلك مستقلاً عنهما بل قسيماً لهما ، بل ندّاً للنص والإجماع ، يُشطب بها عليهما حيثما قضى بذلك الوهم والخيال !..

وقد علم كل طالب علم أن دليل المصلحة معنىً كُلِّيٌّ استخلص من تتبع جزئيات الأحكام المستندة إلى النصوص ؛ والكلي لا يمكن أن يوجد إلَّا في جزئياته كما هو معروف ، وإلَّا لم يكن كلياً لها .. ولذا فقد كان لا بد لاعتبار حقيقة المصلحة في أمر ما ، من الاعتماد على دلالة نص من النصوص الشرعية ، أو بألَّا يوجد ما قد يخالفها من ذلك على الأقل .

غير أن « **الطوفي** » يقدِّس النص ريثما تستقر به حجية المصلحة ، فإذا رأىٰ أنها قد استقلت واستقرت ، لم يبال عندئذ أن يلغي بها النصوص ويسقطها عن النظر والاعتبار !..

* ويستدل على كون المصلحة مقدمة على الإجماع بمغالطات مكشوفة تشبه أن تكون متعمدة ، وإلَّا فهي إذنْ دليل على جهل فاضح وغباء فادح .

فهو في الوقت الذي يقلل فيه من أهمية الإجماع في جنب المصلحة المجردة ، يستدلّ على ذلك بالإجماع نفسه !.. فهو يقول من خلال استدلاله العجيب هذا : **الإجماع اضعف حجة من رعاية المصلحة ، لأن رعاية المصلحة مجمع عليها ، والإجماع غير مجمع عليه** !! فهل يقول هذا الكلام عاقل ؟

ثم إن الرجل يصل إلى قمة الهوس والخلط ـ إن أردنا أن نحسن الظن به ولا ننسبه إلى تعمد الكيد لكتاب الله وسنة رسوله ـ عندما يدَّعي بأن النصوص مختلفة متعارضة ، بينما رعاية المصلحة حقيقة ثابتة لا اختلاف فيها ولا تناقض !.. ودليله على تناقض النصوص وتعارضها الخلاف الذي وقع بين الصحابة والأئمة في الأحكام ، بسبب النصوص .

فكيف ينعت نصوص القرآن بالتناقض من يكون موقناً بأنَّه وحي من عند الله عز وجل ؟ لو صحّ أن في نصوص القرآن تعارضاً

● لو صحَّ أن في نصوص القرآن تعارضاً وتخالفاً لكان ذلك أكبر دليل على أنها ليست من عند الله . ●

وتخالفاً لكان ذلك أكبر دليل على أنها ليست من عند الله . ولذا نبَّه الله عباده إلى أن تناسق القرآن وتوافق نصوصه في الدلالة والأحكام من أكبر الأدلة على أنَّه من عند الله عز وجل فقال لهم :

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً ﴾ (النساء : ٨٢) .

غير أن « **الطوفي** » لا يرى أن الواقع كذلك ، بل يجزم أنَّ فيه تعارضاً واختلافاً كثيراً !.. أما رعاية المصالح فحقيقة واضحة لم يختلف فيها الناس قط !.. **ترى من أيِّ عَالَمٍ ينطق هذا الرجل** ؟.. إذا لم يختلف الناس في رعاية المصالح ، فلماذا لم تتحد مذاهبهم وشرائعهم ؟ ولماذا كانوا ولا يزالون يتفرقون باسم المصالح في أودية متباعدة وأنظمة متخاصمة ؟ وهل أكرم الله عباده بهذا الدين إلَّا إنقاذاً للناس من الضياع في متاهات المصالح الوهمية ، وجمعاً لهم على صراط المصلحة الواحدة الحقيقية ؟

وهل من عاقل لا يعلم أن اختلاف الصحابة والأئمة في الاجتهاد لا يعني اختلاف النصوص في مدلولاتها ، ولكنه يعني أنَّ واحداً غير معين قد وافق الحقيقة وأخطأها الآخرون . وقد رفعت الشريعة عنهم تبعة هذا الخطأ على لسان النبي ﷺ عندما قال : « **إذا اجتهد الحاكم فاصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد** » .

أي إن الخلاف لم ينبع من قوله ﷺ : « **ألاَ لا يصلينَّ أحدكم العصر إلَّا في بني قريظة** » ولكنه نبع من اختلاف فهم بعض الصحابة له . ولذلك أخَّرها بعضهم تنفيذاً لحرفية الأمر ، ولم يبالِ في سبيل ذلك بخروجها من الوقت ، وصلَّاها بعضهم في الطريق تفادياً للوقوع في خطيئتي تأخير الصلاة عن وقتها والتأخر عن الوصول إلى بني قريظة في الوقت المحدد ، ولم ينتقد رسول الله ﷺ أياً من الفريقين .

وإنما شأن « **الطوفي** » في هذا كشأن من رأى ثلاثة في الصحراء ، اجتهدوا في معرفة جهة القبلة فصلَّى كل واحد منهم إلى الجهة التي هداه اجتهاده إليها ، فاستدل من عملهم بأن القبلة موزعة في ثلاث جهات ، وأنها متعارضة المكان تسبب للمسلمين الخلاف !!..

فهذا هو « **الطوفي** » وتلك هي عقليته وطريقته في المحاكمة وفهم أمور الشريعة وقواعدها .

شبهـــــات ... وردّهـــا :

غير أن هذا الذي كتب يهذي في مفاهيمه القرآنية ، وقع من هذا الشذوذ على كنز ثمين ، ووجد في « **الطوفي** » ضالته الضائعة .. فلقد كان شيئاً رائعاً بالنسبة إليه أن يعثر على شاهد يدعم رأيه في نسخ النصوص التشريعية بما تراه مجالس الشورى وتقترحه من أنظمة وأحكام .. وما أبدع أن يكون هذا الشاهد ممن يمكن أن يترجم له بأنه « **من علماء** » القرن السابع الهجري !.. ولعلَّ هذا الكاتب يقول في سرّه : ومهما يكن من شذوذ هذا الرجل ، ومهما قيل عن اضطرابه الفكري والسلوكي ، فكم هم أُولئك الذين يعرفون له هذا التخبط والشذوذ في سواد الناس وجماهير القراء ؟ أغلب الظن أنهم لا يعرفون عنه وعن ترجمته شيئاً ، ولسوف يحسبونه إماماً من أئمة الإرشاد والتشريع !..

على أن الكاتب لا يقف عند حد الاستشهاد **بالطوفي** ، بل يتجاوز ذلك إلى القول بأن تطور الأحوال والظروف أثبت أن الخلط الذي ذهب إليه **الطوفي هو الحق الذي لا محيد عنه** !.. وضرب لنا مثلاً لصحة ما يقول ، بالأحكام المترتبة على الحروب ، من قسمة الفيء والأنفال والسبي واسترقاق الأسرى ونحو ذلك .. فلقد وردت نصوص بأحكام محددة لهذه المسائل وغيرها ، مما يتعلق بآثار الحرب ، في ظروف معينة لم تعد قائمة في هذا العصر ، ومن ثم لم يعد من سبيل إلى تطبيق تلك الأحكام في ظل العصور الحديثة والأوضاع الراهنة .

ولست أدري ماذا أقول لهذا الرجل وأمثاله ، ممن يرون أن الخوض في مسائل الشريعة وأصولها ، ساحة مفتوحة لكل راتع ، وألعوبة تسلية بين يدي كل لاعب ، خلافاً لسائر الميادين الفكرية والعلمية الأخرى ، فلا يحق أن يخوض فيها أو يدنو إليها إلَّا أولو الدراية والاختصاص !..

انظر عن يمينك ويسارك ، تجد أنه ما من رجل عرف كيف يحمل بيده قلماً ، أو ارتاض على كتابة مقالين في صحيفة ، أو أعوزه أن يصنَّف في جماعة الأدباء والمفكرين ، إلَّا ويتخذ من الخوض في مسائل الشريعة الإسلامية ، ناقداً ومعلماً ومجتهداً ، سلّماً إلى ما يبغيه !.. ومن هذا الذي سيمسك بخناقه أو يضرب على يده إن هو عبث أو أساء وزيَّف ؟

لو جلس هذا الكاتب المتبجح ، في إحدى حلقات التعليم ، أو أصغى إلى شيء من فقه الشريعة وأصولها ، لعلم أن سائر الأحكام المتعلقة بالحرب ابتداءً أو انتهاءً ، داخلة فيما يسمى باحكام الإمامة أو السياسة الشرعية ، بدءاً من إعلان الحرب وإنهائها .. إلى أحكام الصلح والهدنة والاستئمان .. إلى سلسلة

نزّهوا حرية الرأي
عن هذا العبث بالعلم واللغة والدين

تلك الأحكام المترتبة على الحرب من أسر وقتل واسترقاق ومنّ وفداء وإتلاف لممتلكات العدوّ أو امتلاك لها ..

ومعنى كونها داخلة في أحكام الإمامة والسياسة الشرعية ، أن الخطوط العريضة لهذه المسائل إنما ثبتت بأحكام تبليغية لا تقبل التبديل والتغيير ، أما الوجوه المتعددة المختلفة للتنفيذ والمحصورة ضمن هذه الخطوط العريضة ، فأمرها عائد إلى إمام المسلمين ، يختار منها ما يرىٰ أنه الأوفق والأجدىٰ لمصلحة المسلمين .

فمشروعية الأسر أثناء الحرب ، حكم تبليغي ثابت ، والوجوه التنفيذية التي تتدرج في داخله هي : القتل ، والمنّ ، والافتداء بالمال ، والاسترقاق . والمصير إلى أحد هذه الوجوه منوط بما يراه إمام المسلمين طبقاً لما تقتضيه مصلحة المسلمين والظرف الذي يمرون به .

وإذا كان الاسترقاق واحداً من هذه الوجوه ، فإنَّ ذلك لا يعني أنه حكم دوري تنفيذي مستمر على اختلاف الأوضاع والظروف كما قد يتصور بعض الجهال ؛ وإنما هو صلاحية احتياطية يعطيها الشارع لرئيس الدولة ، يجدها أمامه عند اللزوم ؛ ومهما كان احتمال الحاجة إلى استعمال هذه الصلاحية ضئيلاً ، فإن من مقتضى صلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان ، وإمكان استجابتها لكل الظروف الطارئة أن يكون فيها حكم احتياطي يعطي صلاحية التحرك المناسب لرئيس الدولة ، إذا ما فوجىء الناس بمثل تلك الظروف لسبب من الأسباب .

وكذلك توزيع الغنائم والأسلاب ، فما كان منها داخلاً في العقارات والأموال غير المنقولة ، فإن جمهور الفقهاء متفقون على أنها تبقى تحت يد الدولة ، وعليها أن توظفها في أيدي الناس على أجر أو خراج تأخذه منهم ؛ ودليل ذلك نص قرآني طويل ومعروف في سورة الحشر ، وهو الذي اعتمد عليه عمر رضي الله عنه في حبس سواد العراق عن التوزيع كما هو معروف ومشهور . وأمّا ما كان من الأموال المنقولة فالحكم التبليغي العام في ذلك أن هذه الأموال ينبغي أن يكون مردّها إلى الجند وأن تقسم بين المقاتلين ، أما الوجوه التنفيذية المندرجة في هذا الحكم ، فداخلة في السياسة الشرعية وأحكام الإمامة ، فإن شاء رئيس الدولة وزعها عليهم دون انتظار ، وإن شاء أدخلها في الميزانية المالية الخاصة بمرتباتهم وأجراها عليهم تدريجياً أو بشكل علاوات على أن يختار من ذلك ما تقضي به المصلحة ، ويَضَع في عين الاعتبار تفاوت الجند في القوة والبلاء .

ومن الثابت بداهة أن تطبيق ما تدعو إليه المصلحة من هذه الوجوه في نطاق أحكام الإمامة ، إنّما هو سيرٌ وراء دلالة النصوص والتزام أمين ودقيق لتعاليم النبي ﷺ وهديه .

فاعجب لهذا الذي ينسج من جهالته بالفقه وأصوله أوهاماً ، ثم يجعل هذه الأوهام حيثيات يسوغ لنفسه بها الحكم على النصوص الشرعية بالطيّ والبعد عن الاعتبار ، ثم اتخاذ المصلحة التي يراها الناس بأفكارهم ورعوناتهم وأهوائهم وريثاً لها وبديلاً عنها !..

لا تبدِّلوا نعمة الله كفراً :

وبعد ؛ فهل لي أن أتوجه إلى أولئك الذين أفاض الله عليهم من إكرامه ، وفجّر لهم من أرضهم كنوزاً وأمدَّهم بالكثير من خيراتها الظاهرة والباطنة ، لأناشدهم باسم هذا المنعم المتفضل ألَّا يبدِّلوا نعمة الله كفراً ، ولا يجعلوا من أرضهم مرتعاً لمرتزقة الجحود بدين الله والعبث بشريعته وهديه ، وألَّا ينفقوا عليهم من الأموال التي استخلفهم الله فيها ، لقاء ما يكتبونه كذباً وافتئاتاً على دين الله .

وإنهم اليوم ليتكاثرون على أرضهم وفي بلادهم ، مقبلين من كل حدب وصوب ، طبق خطَّة مدبرة ، يتقنَّعون بالهوية الإسلامية كلما اقتضى الأمر ، ليجعلوا من بلادهم مرتعاً لنشاطهم وليتخذوا من أموالهم عوناً لنشر سمومهم .

ولقد أطلقت صيحة تحذير على أسماع هؤلاء الإخوة قبل هذا اليوم ، وقبل أن يبزغ قرن هذه الفتنة المخيفة من أطراف الخليج .. وقلت آنذاك : **إنَّ سياط التاديب الإلهي لا حدَّ لآثارها المرعبة وأخطارها المحدقة !..**

واليوم أعود فأقولها من جديد : **أيها الناس لا تمكِّنوا أحداً من أن يجعل من نعم الله التي وضعها بين أيديكم أداة لمحاربة دينه والمكر بشريعته ، فإنكم إن تهاونتم في ذلك ، سلب الله منكم نعمه هذه بأسرع حين ومن أيسر طريق ..**

الا وإنَّ نعمكم هذه إن ذهبت فإنها لن تعود !...

وصدق الله القائل :

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (النحل : ١١٢) .

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة : ٢/٣٦٦ و ٣٦٧ .

(٢) شذرات الذهب لابن العماد : ٦/٢٣٩ .

(٣) انظر اعيان الشيعة ٣٥/٢٣٠ فما بعد . وانظر كتاب ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية لكاتب هذا المقال : ص ٢٠٢ فما بعد .

(٤) شرح الاربعين حديثاً للطوفي ص ١٧ . ملحق كتاب : المصلحة في الشريعة الإسلامية للدكتور مصطفى زيد .

في ذكرى الإسراء والمعراج

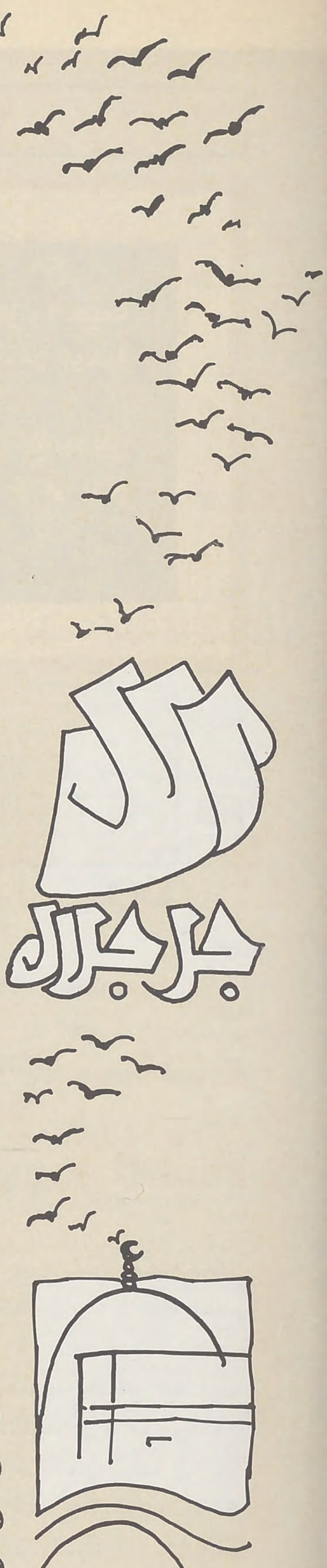

أعيدي على الأسْماعِ ما يَبْهَرُ الدَّهْرا ... فقدْ زِدْتِ إذْ أَسْرىٰ بِكِ المُصْطَفىٰ قَدْرا
أَرينا نَبِيَّ الأنْبِياءِ (مُحَمَّداً) ... يُذَلِّلُ رَغْمَ الشِّدَّةِ المسلكَ الوَعْرا
يُنَدِّدُ بالأصْنامِ لَيْسَ لَها غِنىً ... وَلا تَجْلِبُ الحُسْنىٰ وَلا تَدْفَعُ الضُّرّا
وَيَتْلُو كِتابَ اللّهِ فالكَوْنُ خاشِعٌ ... وَكُلُّ عُيونِ الكُفْرِ قَدْ بُهِتَتْ حَيْرىٰ
تَنادَوْا : أذيقوهُ الهَوانَ وَصَحْبَهُ ... فَإنَّهمو بالذُّلِّ يا قَوْمَنا أَحْرىٰ
ثَباتاً على الإسْلامِ .. ماتوا فِداءَهُ ... وَعاشوا على الآلامِ وَاسْتَعْذَبوا المُرّا
أَيا لَيْلَةً فيها عِظاتٌ وَعِبْرَةٌ ... وَثَغْرُ الهُدىٰ بالنُّورِ يَبْسِمُ مُفْتَرّا
رأىٰ فيكِ خَيْرُ الخَلْقِ آياً عَظيمَةً ... تُطَمْئِنُهُ قَلْباً وَتُزْجي لَهُ البُشْرىٰ
تُريهِ الَّذي يَرْبو مِنَ السُّحْتِ مالُهُ ... يَخوضُ دَماً خَوْضاً وَيَسْبَحُهُ قَسْرا
تُريهِ الَّذي دَعَّ اليَتيمَ يَعيشُ في ... جَهَنَّمَ مُرْتاعاً وَيَقْضِمُها جَمْرا
وَمَنْ خافَ جَبّارَ السَّمٰواتِ وَاتَّقىٰ ... فَإنَّ لَهُ أَنْ لا يَجوعَ وَلا يَعْرىٰ
وَمَنْ يَبْغِ في الدُّنْيا الفَسادَ فَإنَّهُ ... إلى الدَّرْكِ الأدْنىٰ مِنَ النّارِ قَدْ خَرّا
وَمَنْ بَدَّدوا في الموبِقاتِ حَياتَهُمْ ... فَقَدْ خَسِروا الدُّنْيا وما غَنِموا الأُخْرىٰ
وَعاقِبَةُ التَّقْوىٰ خُلودٌ وَعِزَّةٌ ... وَمَنْ حُرِمَ التَّقْوىٰ فَقَدْ حُرِمَ الخَيْرا
أَيا لَيْلَةً غَرّاءَ أَشْرَقَ بَدْرُها ... وَسُبْحانَ مَنْ أَسْرىٰ وَمَنْ أَطْلَعَ البَدْرا
أَرينا السَّماواتِ التي نَحْوَها ارْتَقىٰ ... إلى سِدْرَةٍ .. رَبُّ الوُجودِ بها أَدْرىٰ
أَحاطَتْ بِهِ الهالاتُ يَغْشىٰ ضِياءَها ... وَيَسْمو إلى العَلْياءِ .. يَسْتَقْبِلُ البِشْرا
وَيَحْظىٰ بِلُقْيا اللّهِ جَلَّ جَلالُهُ ... وَتَغْمُرُهُ النَّجْوىٰ .. وتجلو لَهُ السِّتْرا
أَلا قُلْ لِقَوْمٍ يُنْكِرونَ عُروجَهُ ... بِجِسْمٍ وَرُوحٍ : سائِلوا الآيَةَ الكُبْرىٰ
فَما هِيَ إلاّ فَوْقَ عَقْلٍ مُحَدَّدٍ ... يَضيقُ مَداهُ أَنْ يُحيطَ بِها سِرّا
وَإلاّ فَهَلْ يَدْري لَنا العَقْلُ أَنْفُساً ... لَنا بَيْنَ جَنْبَيْنا ؟ وَهَلْ يَسْبِرُ الغَوْرا ؟
وَكَيْفَ نُماري في إحاطَةِ رَبِّنا ... وَقُدْرَتِهِ ؟ يا لَلْجَهولِ إذا اغْتَرّا
وَلَسْنا ذَوي بَأْسٍ لِدَحْرِ ذُبابَةٍ ... تُنازِلُنا عَدْواً وَتَقْتُلُنا جَهْرا
وَيُهْلِكُنا (الميكروبُ) وَهْوَ مُحَقَّرٌ ... وَلَسْنا نَراهُ وَهْوَ في دَمِنا اسْتَشْرىٰ
وفي غَمْرَةٍ قُمْنا نُحارِبُ رَبَّنا ... وَنَنْساقُ في هذا العِنادِ لَهُ كِبْرا
فَيارَبِّ .. والإسْراءُ مِنْ آيِكَ التي ... بِها تَخْرِقُ الأسْبابَ أو تُعْجِزُ الفِكْرا
أَلا فاهْدِ أَقْواماً وَأَلِّفْ قُلوبَهُمْ ... وَأَخْرِجْ مِنَ الأصْلابِ مَنْ يَسْمَعُ الأَمْرا
وَهَذِّبْ لَهُمْ روحاً .. وَنَوِّرْ لَهُم حِجىً ... لِيَسْموا إلى الإيمان .. واشْرَحْ لَهُمْ صَدْرا
وَمَهْما تَجافَتْنا الحَياةُ .. فَكُنْ لَنا ... مَلاذاً .. وَهَبْ يا رَبِّ مِنْكَ لَنا نَصْرا

شعر : عبد العزيز أحمد رضوان

بقلم : الدكتور محمد أحمد العزب

■■ قد يخيل إلى بعض الناس أن عدوان الإنسان على الأشياء لا يصادم طبيعة المنطق ولا طبيعة الدين ، لأنه عدوان على كائن جمادي لا يحس من جهة ، ولأننا من جهة أخرى نُهينا ـ من الوجهة الدينية ـ عن إيقاع العذاب فقط بالأحياء وليس بالأشياء .

وهو تصور ساذج ، لأن الإسلام حين حدد علاقة الإنسان بإطاره المادي الذي هو الكون ، أقامها على جسور من الحب والتعاطف الجم ، حتى لا يدمر أحدهما الآخر في فورة غضب ، أو في لوثة عدم المبالاة !! ■■

علاقة الإنسان بالأشياء

من الوجهة الإسلامية

[١]

شتان بين امتلاك للأشياء نظيف أو غليظ

فنحن مطالبون بامتلاك الآفاق والأعماق ، ولكنه هذا النوع من الامتلاك النظيف ، الذي يرى في الزهرة جمالاً ينبغي أن لا يدمّر ، وفي الغيمة جمالاً ينبغي أن لا يصادر ، وفي الغدير الصغير جمالاً ينبغي أن لا يرنّق !!

أما هذا النوع من الامتلاك الغليظ ، الذي يفترض ـ بعشوائية فادحة ـ أن من حقه أن يدمر كل ما يلقاه : في الحدائق ، وفي الشواطىء ، وفي المركبات ، وفي الميادين ، وفي الشوارع ، وفي المستشفيات ، وفي النوادي ، وفي واجهات البيوت ، ... فإنه مرفوض من الوجهة الاقتصادية ، ومرفوض من الوجهة الاجتماعية ، ومرفوض من الوجهة الجمالية .. **اي انه مرفوض من الوجهة الإسلامية التي هي الإطار الطبيعي لكل هذه الوجهات !!**

فالذين يتصورون أن من حقهم أن يقتلوا الأشجار والأزهار ، وأن يحطموا المقاعد والنوافذ ، وأن يلوثوا الشوارع والحوائط ، وأن يرنّقوا الغدير والجدول ، ليسوا على سواء مع فطرة الله في الخلق ، ولا مع الإسلام الذي يضع الجمال شرطاً في كل عبادة ، ومضموناً لكل بناء !!

تأمل الأشياء وما وراء الأشياء يقود إلى الإحساس بالجمال والفكرة

إن الجمال في الكون معراج إلى تأمل الأشياء وما وراء الأشياء ، ودائماً يحفز القرآن الكريم على حتمية أن نجول بأبصارنا وأفكارنا في منادح الكون ، أرضه وسمائه ، ليقفنا في النهاية أمام هذا الحسّ الإنساني الشفيف الذي يجهش في إخبات حقيقي : ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ ﴾

وما دام كل شيء مخلوقاً هكذا لحكمة مقصودة ، فكيف يباح لنا الاعتداء الغاشم عليه بلا تبرير ؟

ولماذا لا نتوجه بالتفكير فيما يربط بيننا وبين الأشياء من منافع متبادلة ؟

إن البيت هو الذي يُجنّنا إذا جَنّ المساء !! إن الشارع هو الذي نتبادل فيه أساسيات العيش والحياة !! إن السوق هو مجال الإنماء والإثراء ؟ إن الجامعة هي مناط الفكر الحضاري ؛ **أليست الحياة كلها قائمة إذنْ على هذا التبادل النظيف بين الإنسان والأشياء ؟** وهل يستطيع الإنسان أن يأبق من الأرض ، أو يهرب من تحت السماء ؟ **فلماذا نعاند هذا الجدل**

الطبيعي ، ونتخفى وراء عدوانية غير مفهومة ، ونمزق إطارنا بلا هوادة وبلا تعقل ؟

عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال :

« اتَّقوا اللاَّعنيْن . قالوا : وما اللاّعنان ؟ قال : الذي يَتَخَلّى في طريق الناس أو ظلهم !! » .

وعن جابر رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ نهى أن يُبَالَ في الماء الراكد !!

وعن أبي بَرْزَةَ قال : قلت : يا نبي الله ، علمني شيئاً انتفع به . قال : « اعزل الأذى عن طريق المسلمين » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال :

« لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة ، في شجرة قطعها من ظهر الطريق ، كانت تؤذي الناس » .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فاستطاع ألاّ تقوم حتى يغرسها فليغرسها ، فله بذلك اجر » .

هنا يتراوح الحديث عن الأشياء بين السلب والإيجاب ، فلا ينبغي أن يتخلى (أي يُحْدِث) أحد في طريق الناس ، أو ظلهم .. لأن تلك جهالة إنسانية وجمالية معاً ، فالطريقُ للسعي والكدح ، والظلُّ للجِمامِ والراحة ، وليسا لهذا النَّتْن الذي يقرز ويُشيع البُؤسَ في عافية الناس !!

ولا ينبغي أن يُبال في الماء أساساً ، وفي الماء الراكد على التخصيص ، لأنك قد تضطر إلى الاغتسال أو الاغتراف من هذا الماء الذي رنَّقته بما أحدثته فيه !!

ولا ينبغي أن ندع سانحة لغرس شجرة تطرح ثمرة أو ظلاً ، ولا سانحة لقطع شجرة تطرح عقبة في طريق الناس ، أو حتى أذى .. لأن في الغِراسِ الأول توسيعاً لقاعدة الخير في الأشياء ، ولأن في القطع الثاني تقْليصاً لظل الشر في الأرض .

التعامل مع الأشياء للانتفاع بها يستوجب الشكر لا التبديد

وكما يكون تعامل الإنسان مع الأشياء تعامل جمال وفكر ، يكون كذلك تعامل منفعة جزيلة تستأهل الشكر لا التبديد ، فالماء الذي نريقه على الأرض بلا حساب ، والطاقة التي نهدرها لسبب ولغير سبب ، والطعام الفائض الذي نسقطه في القمامات بغلاظة فاحشة ، والمال الذي نحرقه في المخدِّر والمفتر والمسكر في مباراة فاجعة ... كل أولئك يَشِي بأننا نعيش في عزلة قابضة عن طبيعة الحسّ الإسلامي المثقف ، الذي يرىٰ في هذه الأشياء الجليلة مدخلاً إلى إيمان حقيقي بما هي هبة السماء إلى الأرض ، فكيف نبددها بكل هذا الغباء الغليظ ؟

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ . أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ . لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ . إِنَّا لَمُغْرَمُونَ . بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ . أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ . أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ . لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ . أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ . أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ . نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعاً لِلْمُقْوِين . فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ (الواقعة : ٦٣ ـ ٧٤) .

■ عمل الإسلام على تأصيل علاقة الإنسان بالأشياء ـ حتى التي يملكها ـ على منطق الارتفاع بحس الملكية عن مراوغة الامتلاء والغرور ، وأكّد في وعيه أن منطق الملكية في الإسلام موشوج بذروة التسليم بأنها موهوبة لا مسكوبة . ■

[٢]

الأشياء نعمة ممنوحة لا نقمة متسلطة

ولقد أصَّل الإسلام في هذا الصدد لمنطق منهج سلوكي شامل ، ربما يبرز نوعيَّة العلاقة بين الإنسان وكل الأشياء ـ من الوجهة الإسلامية ـ ذات ملامح متفرِّدة ، فإذا قامت مثل هذه العلاقات ـ في غير الإسلام ـ على مجرد التلازم الوجودي بين الإنسان وإطاره المادي الذي هو الأشياء ، فإنها تنهض في الإسلام على أساس من التعاطف الحميم الذي يرىٰ في الأشياء نعمة ممنوحة لا نقمة متسلطة .. حتى في الظواهر الطبيعية الفاجعة ينقِّب الحسّ الإسلامي عن مواطن الجمال والجلال في هذه الظواهر ، ولا يدع الإنسان المسلم يحدِّق في وجهها القبيح إلَّا بعد أن يمنحه اقتداراً ما على تأمل وجهها الجميل ، حتى تتعادل أبعاد الظاهرة فلا تظل شرّاً مطلقاً ، وإنما تستحيل ـ في بعض جوانبها ـ إلى خير محقق ، أو حتى مأمول .

وليست هذه الوضعية المسلمة بعارية عن الحكمة ، ولكنها مليئة بقيم الجدوىٰ وصواب العلاقات ، لأن الإنسان حين يقيم علاقته مع الكون على أساس من الحب والتعاطف والجدوىٰ وتبادل الإِسْرَارِ الحميم ، تصبح الحياة الإنسانية في الكون مليئة بالأمن والتفاؤل وحسّ التجاوب الحي .. أما إذا أقامها على أساس من التوجس والقهر وتربّص العلاقات ، فإنها تصبح نوعاً من العذاب المدمِّر ، ونوعاً آخر من كراهية الأشياء والأحياء ، ونوعاً ثالثاً من تأويل كل ما يحدث ـ وحدوثه حتم ـ على أنه مؤامرة كونية ضدّ وجود الإنسان في الوجود !! ومن هنا بطّن الإسلام حركة هذه

علاقة الإنسان بالأشياء
من الوجهة الإسلامية

الظاهرة بنوع من التفاؤل وحسّ الإخبات والتهليل :

(كان **عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما** إذا سمع الرعد ترك الحديث فقال : **سبحان الذي ﴿ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ﴾**) .

وعن **كعب** أنه قال : من قال ذلك ثلاثاً عوفي من ذلك الرعد ، وفي **الترمذي** عن **عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله ﷺ** كان إذا سمع صوت الرعد والصواعق -قال : « **اللهم لا تقتلنا بغضبك ، ولا تهلكنا بعذابك ، وعافنا قبل ذلك** » .

تمرد الأشياء وضبط قوانينها

إن الحس الإسلامي هنا يسلحك إزاء تمرد الأشياء بضبط قوانينها الشاملة أي بحتمية التواصل مع قانونها الأول ، فإذا أنت فعلت ، فلا عليك أن تملأ جفنيك بالأمان وتنام ...

ليس هنا ترك للإنسان في مواجهة عارية مع الطبيعة الفظَّة ربما تملأ عليه حياته بقلق الخوف ، وتوقع الفاجع .. وإنما هنا عودة بكل الظاهرة - الإنسانية والطبيعية - إلى مصدرها الإلٰهي ، وتحكيم مطلق العدل في مطلق الوجود ، والاطمئنان الآني وغير المحدود إلى حتمية القرار في حضن اللِّياذ بالأعلى .. كذلك تضمين لأرهف ما في الوجود من إحساسات (وهو التسبيح بالحمد) في قلب أرهب ما في الوجود من ظواهر (وهو دمدمة الرعد) حتى لا ينخلع الناس ، ولا يعادوا إطارهم الكوني .. وحتى يروا في الدمدمة أطياف التناغم ، هنا كذلك عودة بكل الظاهرة إلى مصدرها الإلٰهي .. وليس التخبط بها في مفارق الأشياء والنظائر !!

حركة الحياة وتواصل العطاء في المنح والمنع

ولا تفتأ الوجهة الإسلامية تذكر الناس بأن الشر والخير في مفهومهم القاصر نسبيان تماماً ، حتى لا تصاب حركتهم الحياتية بالتخثُّر المتخم أو بالإحباط الرهيب .. إنهم يلهثون على طريق الطلب وتمني أن تجيء الأشياء ، فإذا جاءت واستمرت فربما فزعوا إلى الطريق النقيض وتمنّوا أن تغيض ... من هنا يلفتهم الإسلام إلى القصد في كل من الاتجاهين ، وإلى التسليم بأن ما يسوؤهم قد يسعد سواهم :

(في الصحيحين ، عن «**أنس**» قال : دخل رجل المسجد يوم جمعة **ورسول الله ﷺ** قائم يخطب الناس ، فقال : **يا رسول الله** ، هلكت الأموال وانقطعت السبل ، فادع الله يغيثنا ، فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال : « **اللهم اغثنا ، اللهم اغثنا** » .

قال «**أنس**» : والله ما نرىٰ في السماء من سحاب ولا قَزَعَة ، وما بيننا وبين سلع من بنيان ولا دار ، فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس ، فلمَّا توسطت السماء انتشرت ، ثم أمطرت ، فلا والله ما رأينا الشمس ستاً ، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله ﷺ قائم يخطب ، فاستقبله قائماً ، فقال : يا رسول الله ، هلكت الأموال ، وانقطعت السبل ، فادع الله يمسكها عنَّا ، فرفع **رسول الله ﷺ** يديه ثم قال :

« **اللهم حوالينا ولا علينا** ، اللهم على الآكام ، والظِّراب ، وبطون الأودية ، ومنابت الشجر » ، قال : فأقلعت وخرجنا نمشي في الشمس) .

هنا - فوق تعرية تردّد الطبائع الإنسانية بين الإلحاف في طلب الطلب ثم الإلحاف في طلب الحَجْب - إطلال الإنسان الرباني على تواصل العطاء الفوْقيّ ، فهو

■ أقام الإسلام العلاقة العاقلة بين الكائن والكون حتى لا يدمر كل منهما الآخر ، ولا يقنط أحدهما من صاحبه . ■

■ أطلق الإسلام للإنسان كل طاقاته في تسخير الكون ، بشرط أن يتم ذلك كله في إطار المشروعية النظيفة وتحقيق الغاية الإنسانية من كل فعل مادي . ■

لا يرفض هدايا السماء ولا يمكن له أن يرفضها ، حتى وهي توشك أن تعطّل دورة الحياة في بعضٍ من الأشياء ، ولكنه يدعو أن تسدد في اتجاه الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر .. وهذه قمة الحسّ المسؤول عن كل التاريخ وليس عن فقرة أو عدة فقرات من كتابه ، لأن حكمة الأشياء أشمل من أن تكون حكمة شيء واحد .

لقد كان النبي ﷺ حريصاً على أن يؤكد في أخلاد المسلمين أن آيات الله في الطبيعة لا تسير وفق مشيئة جيل أو قبيل ، وإنما هي محكومة بمنطق أعرض وأشمل ، فقد أرجو الشيء الذي يلح في رجاء دفعه سواي ، وقد يصيبني مطلق الشر مما يصيب الأغيار بمطلق الخير ... وتأسيساً على هذه المُسَلّمة ينبغي أن يظل المسلم في إطار محدوديته صامداً على مشارف إيمانه ، فإذا هبَّت نسائم الخير فليحمد الله ، وإذا جاءه غير ذلك فليستعذ بالله ثم يكدح ...

(قال أبو هريرة ، سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« الريح من روح الله تعالى ، تاتي بالرحمة وتاتي بالعذاب ، فإذا رايتموها فلا تسبّوها ، واسالوا الله من خيرها ، واستعيذوا بالله من شرها » .

تسخير الأشياء وتسبيحها خالقها

وإذنْ فعلاقة الإنسان بالأشياء والأحياء تبدأ بشكر النعمة وتسبيح المنعم : ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ** ﴾ .. وتنتهي إلى تأسيس جدل حقيقي بين الإنسان والأشياء ، توشك أن تكون علاقة حيّ بحي ، وعاقل بعاقل ، وكائن مملوء بالوعي بكائن مملوء بالوعي ، فهما - نعني الإنسان والأشياء - يتناجيان تحت سماء حبّ أكيد :

(**روى النسائي** : كان رسول الله ﷺ إذا خطب يستند إلى جذع نخلة من سواري المسجد ، فلما صنع المنبر واستوى عليه ، اضطربت تلك السارية تحن كحنين الناقة ، حتى سمعها أهل المسجد ، حتى نزل إليها رسول الله ﷺ فاعتنقها) .

(وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال : **أصابنا ونحن مع رسول الله ﷺ مطر ، فحسر رسول الله ﷺ ثوبه حتى أصابه المطر ، فقلنا : يا رسول الله لم صنعت هذا ؟ قال : « لأنه حديث عهد بربّه »**) .

ومتى تم للمسلم هذا الحس الكوني ، فهو مؤهل لحفاوة الأشياء به .. إن المكان ليحتفي بإنسانه النظيف ، وإن الزمان ليحتفي هو الآخر بإنسانه الفاضل ، لأنهما بإنسانهما الفاضل النظيف ، سيصيران محراب عبادة لا مباءة تهتك ، ومجالي إبداع لا سراديب مؤامرة ، وطريق عروج إلى الله لا مهاوي انحدار إلى الشيطان !!

وحين يصبح الإنسان مؤهلاً لحفاوة الكون به ، يصبح الكون في اللحظة نفسها مؤهلاً هو الآخر لحفاوة بلا حدود

عن علي بن أبي طالب قال : كنت مع رسول الله ﷺ بمكة ، فخرجنا في بعض نواحيها ، فما استقبله شجر ولا جبل إلّا وهو يقول : **السلام عليك يا رسول الله** .

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« إن بمكة حجراً كان يسلّم عليّ لَيَالِيَ بُعثت ، إني لأعرفه الآن » .

ومن هذا المنطلق - منطلق تجاوب الكون والإنسان - عمل الإسلام على تأصيل علاقة الإنسان بالأشياء - حتى التي يملكها - على منطق الارتفاع بحسّ الملكية عن مراغة الامتلاء المغرور ، أو الأثرة الفاجعة ، أو الاستعلاء المريض .. وأكد في وعيه دائماً ، أن منطق الملكية في الإسلام موشوج بذروة التسليم بأنها موهوبة لا مكسوبة ، وبأنها تمت وفق مشيئة عليا ، وفي حراسة قوة عليا ، وما لم تستطرد على هذا المنهج الإلهي فهي مرهونة بالزوال وحتمية الصيرورة :

﴿ **وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ** ﴾ (**الكهف : ٣٩**) .

وإذن فنحن في علاقتنا بالأشياء نتردد بين أشياء نحتازها وبين أشياء تحتازنا كذلك !!

هناك أشياء لا نملكها ولا تملكنا

ولكن هناك نوعية من الأشياء التي لا نملكها ولا تملكنا - إذ هي فوق الملك والاحتياز - ولكنها تفرض علينا أن نتناولها بحسّ عبادي ، ونقف منها موقف الخاشع الضارع لا موقف المسيطر المالك ، تلك هي ما حدده الإسلام من قبلة ومناسك ومساجد وأماكن مقدسة ، فنحن في هذه الأطر لا نملك إلّا حتمية الخشوع وتقديس المقدسات !!

هل يعني ذلك - من الوجهة الإسلامية - أننا عبّاد أمكنة وأزمنة ؟ لا يستطيع - حتى مكابر - أن يزعم مثل هذه الفرضية المنكرة ، لأن صيحة الإسلام الأولى كانت هي التوحيد في مواجهة التوثين ، والتعقيل في مواجهة الخرافة ، والتنزيه لطاقات الروح والبدن عن أن تخرّ ساجدة لغير خالق الإنسان والأشياء !!

كل ما هنالك أن الإسلام أقام هذه العلاقة العاقلة بين الكائن والكون ، حتى لا يدمر كلاهما الآخر ، ولا يقنط أحدهما من صاحبه ، ولا يفسر جانب حركة جانب على أنها عدوان مبيّت ، أو افتيات مقصود !!

وبعد ذلك يطلق الإسلام للإنسان كل طاقاته في تفجير الأرض عن كنوزها الهائلة ، ربما وفق إيقاع شرط واحد : أن يتم كل أولئك في إطار المشروعية النظيفة ، وامتلاك غاية إنسانية في كل فعل مادي !!

هذه ملامح من علاقة الإنسان بالأشياء من الوجهة الإسلامية ، وهي تشكل منهجاً مغايراً تمام المغايرة لسائر مناهج العلاقات في سائر المواضعات ، وقمين بنا - نحن المسلمين - أن نرابط على حدود إسلامنا هذه ، فلا نذوب في جدب الإحساس باليباب !!

■■ كنت أطالع منذ أسابيع مجلة « وول ستريت جورنال » فاستوقف بصري مقال عنوانه : « استراتيجية لاحتواء حرب الإسلام المقدسة » ، يعقب فيه كاتبه « ألموس برلميوتر » على الملامح العنيفة الجديدة التي بدت في لبنان ومنها نسف السفارة الأمريكية ، ويحاول أن يقنع الرأي العام الأمريكي والحكومة الأمريكية أن الأمر أوسع من أن يكون معركة محلية في جنوبي لبنان تخوضها طائفة شيعية محدودة ، وإنما هي هجمة إسلامية عامة على الغرب والنصرانية والرأسمالية والصهيونية والشيوعية كلها في آن واحد ، ويستشهد بقول ينسبه إلى حسن البنَّا « والد التطرف ومؤسسه » كما يسميه ، يقول فيه : إن الشيوعية والاشتراكية والرأسمالية كلها إفراز عرق واحد هو النصرانية .

ولم أشعر في كلام الرجل بجديد مفاجىء بالنسبة لما أطالعه في الصحافة الغربية ، ولكن الذي لفت نظري هو أن يزج باسم « حسن البنا » في هذا المقال الذي استعدىٰ فيه الحكومة الأمريكية وطالبها بأن تستعدي كذلك الحكومات العربية والإسلامية التي تربطها بها الصداقة أو المَعونة على عزل العناصر الإسلامية واستئصالها ، مؤكداً أن ذلك له الأفضلية في سياسة أمريكا على صراعها المزمن ضد الشيوعية . ■■

من سِيَر الرِّجال :

حسن البنَّا رحمه الله

ذكرىٰ ووفاء

ولما كان « حسن البنا » قد فارق الدنيا منذ ست وثلاثين سنة قتيلاً ـ نرجوا له رتبة الشهداء ـ إذ قتلته الحكومة القائمة آنذاك داخل سيارة تاكسي في القاهرة ، ولما كان الإعلام المحلي والعالمي ـ تؤازرهما قوىٰ رسمية بالغة البطش والتنكيل ـ قد خططا بدهاء ومكر لتشويه صورة الرجل وصورة الدعوة التي وقف لها حياته ، ولما كان الجيل الجديد ـ لذلك ـ لا يكاد يعرف عن الرجل شيئاً إلَّا من المصادر الكارهة له ، ولما كان الجيل الذي عاصره ويعي في ذاكرته تلك المرحلة من التاريخ جيلاً شرع الموت يَنْقُصُهُ من أطرافه فما يلبث أن يرحل ، ولما كنت خلال دراستي في الجامعة قد تهيأ لي أن أعرف الرجل معرفة دراية ودراسة وتمحيص ، فقد وقر في ذهني انني أؤدي أمانة وشهادة إن عرضت لمحات من سيرة الرجل تدل على شخصيته ولو في هذه الصفحات القلائل ، فإن اتفق أن وجد فيها شبابنا شيئاً مفيداً فلا أطمع فوق ذلك في شيء .

بداية دعوته

نشأ « حسن البنا » في حجر الإسلام فحمل اسمه وحمل همه جميعاً واتخذ قراره أن تكون حياته لله . فلما تخرَّج من دار العلوم عيّن مدرساً بمدرسة الإسماعيلية الابتدائية .. فماذا وجد في الاسماعيلية ؟

وجد لوناً من التطرف الديني يتكتل فيه الناس خلف زعامات متنافرة متقاتلة ، ويسود بينهم فسادُ ذات البين على موضوعات لا يخدم الخوض فيها الإسلام بشيء بل يفرق شمل المسلمين في غير طائل .. كان من الأسئلة المطروحة مثلاً سؤال : « أين أبو النبي .. في الجنة أم في النار ؟ » ، يتناوله المتحمسون من الجانبين فيتبادلون فيه السباب والاتهام .. وانغلق المتدينون على هذه الخلافات فاحتار ما يفعل ؟ فهداه ذكاؤه إلى طريقة مبتكرة .. اختار أكثر المقاهي ازدحاماً في الحي الوطني من المدينة حتى إذا امتلأ في المساء نادىٰ على الزبائن ليستمعوا له فحدَّثهم حديثاً إسلامياً شائقاً في دقائق معدودة ، وهكذا كل يوم حتى ذاع صيته في الناس وازدحموا في المقهى كل يوم لسماعه ، ورحب صاحب المقهى بذلك فأعدَّ له منصة يلقي من فوقها موعظته اليومية .. حتى جاء يوم فاطال الحديث ، وتناول قطعة من الجمر المشتعل المعد لتدخين « الأرجيلة » قذف به على الناس فانزعجوا وتفرقوا ، فإذا به يذكرهم بعذاب الآخرة ومسؤولية الإنسان عما قدمت يداه في دنياه .. حدثهم ساعتين فكأن على رؤوسهم الطير ، ثم انصرف وتركهم ساهمين واجمين ، إلَّا ستة منهم تبعوه في طريقه لبيته ، وقالوا مسؤوليتنا في رقبتك فقد أيقظت فينا شعوراً لن يخمد من بعد ولسنا كما ترىٰ في مثل علمك . كانت هذه هي المجموعة الأولى التي سمت نفسها

بقلم : الدكتور حسان حتحوت

■ حسن البنا رحمه الله : سنقاتل الناس بالحب ■

« الإخوان المسلمون » ، والتي أصلحت بأيديها مصلى خرباً مهجوراً ليكون مقرها للتعلم والعبادة ، وازداد الإخوان حتى سمع بهم الزعماء الدينيون فحضروا ذات مساء وبريق المعركة في أعينهم ، وبدأ حسن البنّا درسه بتلقي الأسئلة فكان السؤال العتيد عن مكان والد النبي ﷺ من الجنّة أو النار ، فإذا الرجل يلقي درساً مستفيضاً عن الإسلام وما هو وما هي هموم المسلم واهتماماته خاصة في تلك الفترة التي علا فيها في البلد صوت الإلحاد ، خاصة في مدينة الاسماعيلية التي قامت فيها شركة قناة السويس دولة داخل الدولة وصرحاً استعمارياً ينهب خيرات مصر التي حفرت القناة بألوف الأرواح من أبنائها .. وللمرة الأولى تنفتح أعين تلك الجماهير على حقيقة رسالة الإسلام وعلى شمولها .. ودبت في الاسماعيلية روح جديدة ، وتعامل الناس بمحبة تذكر بأخوة المؤمنين في صدر الإسلام ، ولا يتسع المقام لسرد الأمثلة ومنها أمثلة في غاية الروعة .

ولم يمض كبير وقت حتى كانت منطقة البغايا في المدينة قد اشتريت (وكان البغاء وقتئذٍ مصرحاً به رسمياً) وهدمت وقامت مكانها دار الإخوان مزودة بمدرسة ومشغل للسيدات وتابت الخاطئات وتزوجن جميعاً .. أما شركة القناة فقد اكتشفت الأمر عن طريق ما لمسته في أخلاق عمالها وما جدَّ عليهم من عزّة واستقامة وإباء . وأدركت الخطر الكامن فحاولت أن تعالجه بالمال ولكن هيهات ، فلم يكن أمامها إلَّا أن تضغط على الحكومة ، فيصدر الأمر بنقل « حسن البنا » من الإسماعيلية في أقصى الوجه القبلي إلى « قنا » في أقصى الصعيد .

تهمـــة التعصُّـب

فماذا عن « قنـا » ؟ البداية حفل كبير زاخر على رأسه علماء المسلمين وقسس الأقباط .. ومحبة ونشاط وإخاء يسري كمسرى الكهرباء ، وتنبت الشُعَبُ في ربوع المنطقة حتى تبلغ الخمسين فإذا الحكومة تدرك مغبّة الرجل في منفاه فتنقله إلى القاهرة حيث يفتتح المركز العام ولا يبرد للرجل عزم أو تفتر له همَّة .

وعلى ذكر قسس الأقباط فإن الكثيرين يحاولون أن يلصقوا بالرجل ودعوته تهمة التعصب ضد النصارى أو التفرقة بين عنصري الأمة ، ويشهد الله ومن حضر من الصادقين أن العكس هو الصحيح .. فلم يكن الرجل داعية بغض ولا تفرقة ، وكان يبرهن أن الدعوة لتطبيق الشريعة الإسلامية لا يمكن أن تكون للأقباط لأنها ستطبق علينا وعليهم على السواء ، وأنها لا تصادر على الإطلاق نصرانية النصراني فإنما هي مجموعة من القوانين لا يوجد في النصرانية بديل لها ، ولا نقيض لأحكامها ، وأنه لو وجدت في الإنجيل قوانين فلتسر قوانين الإنجيل على النصارى ولا يجد الإسلام غضاضة في ذلك ، وأنه ما دام رأي الأغلبية لا يتنافى مع دين الأقلية فليس هناك ظالم ولا مظلوم .

> ■ بعض المتصدرين للدعوة الإسلامية الآن عصبيون لم يهضموا بعد أدب الاختلاف ويضيقون صدراً بالرأي المخالف مسبغين عليه السباب بل التكفير أحياناً . ■

وقد وجدت دعوة الرجل صداها وتصديقها لدى ذوي الفهم من المسلمين والأقباط .. ويكفي أن أذكر الذين يزعمون أن الرجل كان عدو النصارى بأن الأستاذ « لويس فانوس » من زعماء الأقباط - وهو في ذمة ربه الآن - كان من الزبائن المستديمين لدرس الثلاثاء الذي يلقيه « حسن البنا » وكانت بينهما صداقة وطيدة ، وأن « حسن البنا » عندما تقدم مرشحاً لانتخابات « البرلمان » كان وكيله الذي يمثله في مقر إحدى اللجان الانتخابية رجلاً قبطياً ، وأن حسن البنا لما اغتيل ومنعت الحكومة أن يشيع في جنازة ، لم يمش وراء نعشه إلَّا رجلان هما والده ومكرم عبيد الزعيم السياسي النصراني ، وأذكر أننا كنا ونحن طلاب نزور جمعيات الشباب المسيحية لنتحدث عن موقف الإسلام من النصرانية فنخرج وقد شعرنا أنهم أقرب الناس مودة ، وأذكر بالذات مقالاً لي نشرته في صحيفة الإخوان وجعلت عنوانه « أخي جرجس » ، ورد عليه القمص « سرجيوس » في الصحيفة آنذاك محيياً ومثنياً .

نقاتل النّاس بالحب

لعلَّ مما يزعجنا الآن أن نلحظ أن بعض المتصدرين للدعوة للإسلام

حسن البنّا رحمه الله

عصبيون لم يهضموا بعد أدب الاختلاف ، ويضيقون صدراً بالرأي المخالف مسبغين عليه التقريع بل السباب بل التكفير أحياناً في غير كفر - والعياذ بالله - وأضرب مثلاً مقابلاً حين جاء إلى الأستاذ « البنا » أحد زملائه خريجي دار العلوم هو الأستاذ « س . سعد » ، وهو من أورع الناس وأتقاهم ولكنه غضب كل الغضب لأن الإخوان قد أنشأت فرقاً للجوالة والكشافة (تلبس البنطلون القصير) .. قال الأستاذ « س . سعد » : « يا حسن أفندي » فأجاب « نعم سيدي » . قال : « إني أكرهك » ، فابتسم حسن البنا وقال في هدوء وبشاشة : « وإني والله أحبّك » . فقال الرجل : « ولكني أكرهك في الله » ، وبالبشاشة نفسها والهدوء أجاب حسن البنا مخلصاً « هذا يزيدني حباً فيك » . ولم يكن ذلك مصانعة وإنما كان الرجل يقتات على المحبة .. وكان من الاصطلاحات الشائعة جداً على السنة أتباعه « المهم : الحب في الله » .. وكان يردد في دروسه « سنقاتل الناس بالحب » بل كانت البيعة التي صاغها لهم أن يعاهدوا الله على « الاستقامة ، والمحبة ، والثبات على الدعوة » . كان يرى تعدد الآراء إثراءً لأي مجتمع ، وكان يضرب المثل بكبار الصحابة من حول الرسول ﷺ يكون لأبي بكر رأي ولعمر رأي ولعلي رأي دون أن يؤدي الاختلاف إلى تلك الحالقة التي تحلق الدين لا الشعر ، ومن تعاليم الأستاذ « البنّا » التي طالما رددها بلا ملل قولته المشهورة التي لا تزال حية إلى اليوم « ننفذ معاً ما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه » ، ولا نزال إلى الآن أفراداً وجماعات ودولاً في حاجة لهذا الهدي . وكان في الأربعينيات عضواً نشطاً في جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية من سنة وشيعة ، مؤمناً بأن الأرضية الإسلامية المشتركة تتسع بل تحتاج لتضافر الجهود كلها ويبقى كل على معتقده ، وها نحن هؤلاء اليوم نكاد نعيش حالة أشبه بانشطار الذرة ، نفترق على الفروع قبل أن نلتقي على الأصول ، وتصرفنا مسائل المظاهر والكماليات عن التنبه لخططٍ تدبر لاستئصال شأفة الإسلام من الأرض لم يعد أمرها سراً ولا إشاعة ، ونلتقط في شغف ونهم هذه الطعوم التي تلقي بها في طريقنا أجهزة مخابرات دائبة على تشجيع كل جهد مقروء أو مسموع مخلص أو غير مخلص يكون من ورائه أن يظل بأس المسلمين بينهم وألّا يكونوا يداً على من عداهم .

أسلوبه في الدعوة

منذ عرفت الأستاذ « حسن البنّا » لم أعرف رجلاً مثله .. وإن كنت أعرف الكثيرين من أفاضل الرجال الذين تفصح أخلاقهم الكريمة وإخلاصهم وحسن شمائلهم عن أنهم قبس من أخلاقه وأثر لتربيته .

كان يتحدث وأمامه الألوف ، فيهم حامل « الدكتوراه » وفيهم فلاح الحقل فكل يفهم وكل يقتنع وكل يستمتع وكل يتمنى ألّا يفرغ الأستاذ من درسه ولو استمر ساعات . كل هذا والرجل على طبيعته ، فهو لا ترتفع حرارته بحماس الخطباء ، ولا تلتوي قسمات وجهه ونبرات صوته كما يفعل بعض الوعاظ وكأنهم إلى المطربين أقرب ، ولا يتخذ هذا السمت الاستعلائي الذي يشعر جمهوره بأنه العالم الكبير الخطير الذي ينهل مطر علمه ليحيي فيهم الموات ويبل الجفاف ، وفي غير كبر ولا غرور كان الرجل يفتح في سهولة ويسر مغاليق العقول والقلوب ويحفز مستمعيه لا إلى الطرب ولكن إلى العمل ..

التربية من خلال التعامل

لأول مرة نرى جدالاً بين بائع ومشتر لأن المشتري مصرّ أن يدفع أكثر (كما يشتري من الدكاكين الأخرى) والبائع يريد أن يأخذ أقل (لأنَّ البضاعة بضاعته وهو حر فيما يقدره لنفسه من ربح) ، وتضاء القرى المظلمة بقناديل تتناوب البيوت تعميرها بالزيت (ولو وضعنا اليوم قناديل لسرقها أصحاب النصيب) ، وتنتشر في البلاد المستوصفات التي تستأدى من المريض قروشاً ويتناوب العمل فيها أطباء كبار وأساتذة يتبرعون بحصة من وقتهم ، وتقام الشركات الصناعية وعمالها من

■ لا أرى الإخلاص والكفاءة أن ينغلق الناس على مواقفهم فلا يرون عيوبهم وبهذا يمهدون لأنفسهم أو لغيرهم الوقوع فيها مرة أخرى . ■

■ كان حسن البنّا رحمه الله يرى أن تعدد الآراء إثراء لأي مجتمع وكانت قولته المشهورة : ننفّذ معاً ما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه . ■

حملة الأسهم فيها فلهم صالح مادي في نجاحها بجانب الوازع الأخلاقي ، ويبيع العامل الفقير دراجته التي يذهب عليها لعمله فيمشي ساعات كل يوم ويتبرع بثمن الدراجة من أجل الدار (وعندما يكتشف إخوانه الأمر يشترون له دراجة) ، وينتصر الإيمان على الإلحاد في الجامعة والمجتمع ، بعد أن كان من يصلي في الجامعة يتخذ من دون الناس حجاباً أو ينتحي مكاناً قصياً ، وتقوم فصول محو الأمية بالعمل التطوعي ، ويمر الشباب بالأمور الصغيرة مرور الكرام (حاضرنا مرة حسن البنّا في كلية الطب فسأله طالب خفيف الدم : السينما حلال أم حرام .. وببساطة أجاب الرجل : السينماالحلال حلال والسينما الحرام حرام ، ثم تابع حديثه في ما هو أهم من ذلك من أمور) .

ولأول مرة يدرك الشباب أن إجلاء المستعمر عن مصر فريضة دينية ، وأن مقاومة الصهيونية التي استهدفت فلسطين فريضة إسلامية . وشتان بين عهد لم يكن بين المصريين من يعرف شيئاً عن فلسطين إلّا الأقلون ، وبين عهد تالٍ عرف الناس فيه مدى ما يراد بهم وبالإسلام .

أما مسألة فلسطين فلها بُعْدٌ آخر .. لأنها كانت السبب المباشر في إصدار حكم الإعدام على جماعة الإخوان . فلقد ذكرنا آنفاً أن « شركة قناة السويس » قد انتبهت في وقت مبكر إلى آثار « حسن البنّا » ..

جهاد بالسياسة والقتال

ويمر أكثر من عقد من الزمان ويتقدم « حسن البنّا » للترشيح لمجلس النواب (المرة الأولى) فيستدعيه رئيس الوزراء ـ مصطفى النحاس ـ ويسأله في دهشة : « إنت مين يابني وازّاي معرفكش .. انت مين الّلي الانجليز بيقولوا دا ميدخلش مجلس النواب حتى لو استدعى الأمر ان ما يكونش فيه مجلس نواب ؟! » .

وكانت الحرب العالمية على أشدها والجيوش البريطانية تملأ مصر ، ورأى « حسن البنا » أن يستجيب للنحاس باشا حين طلب ألّا يحرجه مع الانجليز .. أما الطامة الكبرى فكانت في حرب فلسطين ١٩٤٨م ـ وكانت جماعة الإخوان قد أرسلت متطوعيها إلى هناك ـ فالطريقة التي حاربوا بها بينت أن العقيدة الإسلامية قادرة على تحويل البشر من صنف إلى صنف مختلف . كان الجيش يهاجم الموقع مرات بلا جدوى رغم دعم الطيران والمدفعية ، ولكن الأمر مختلف مع متطوعي الإخوان .. واذكر مرة أمراً يومياً للواء « المواوي » القائد العام المصري في فلسطين ، قرأته بنفسي في جريدة الأهرام : فحواه أن الجيش هاجم موقعاً عدة مرات بلا نتيجة ، ولكن كتيبة من الإخوان قوامها أربعون رجلاً احتلت الموقع ، وقررت القيادة تسمية الموقع « تبة الإخوان المسلمين » .. فماذا لو تحول المصريون إلى هذا الأنموذج ؟! كان رأي الملك والحكومة والأحزاب والمستعمر رأياً واحداً في هذا الأمر .. وهو كذلك رأي الصهيونية وأصدقائها ، ويقابل السفراء الثلاثة (انجلترا وفرنسا وأمريكا) الملك بطلبهم ، وتحلّ الإخوان ، ويعود المتطوعون مقبوضاً عليهم وبزيهم العسكري إلى معتقلات «الهَاكِسْتِب» و «الطور» .. وتلاحق تلك اللعنة الإخوان ولا تزال ، وستظل كذلك طالما ظل هناك من يخشى الإسلام ويحذره من المسلمين أو من غير المسلمين .

هفوات وأخطاء يتسقطها العدو

طالما فكرت في خط سير التاريخ ، وطالما تمنيت لو اجتنبت الإخوان أموراً فعلتها أو فعلت أموراً اجتنبتها (ولا أرى من الإخلاص أو الكفاءة أن ينغلق الناس على مواقفهم فلا يرون عيوبهم وبهذا يمهدون لأنفسهم أو لغيرهم الوقوع فيها مرة أخرى) .. ولكني كنت دائماً أسائل نفسي : هل لو تغير السلوك كانت النتيجة ستتغير ؟! فأراني مقتنعاً أن « لا » . ولو لم تحدث تلك الظروف لاختلقت ظروف غيرها لتكون ذريعة إلى النتيجة نفسها .

أزمة المحبة

إنني إذ أُطَوِّفُ ببعض ذكريات الماضي لا أفعل ذلك من منطلق التعصب للرجل ولا للجماعة .. ولكنني أَحْرَصُ على المستقبل مني على الحرص على الماضي . وتعنيني في المستقبل الإنسانية كلها ، وأكاد أحصر أزمات بلادنا فقيرة وغنية وأزمات البلاد الأخرى متقدمة أو متخلفة ويمينية أو يسارية في أسباب جذرية ألخصها في الانصراف عن الهدي الإلهي وفي أزمة المحبة بين الإنسان والإنسان بل بين المواطن والمواطن .

و « حسن البنّا » كما عرفته عاش داعية للإسلام وداعية للمحبة . أما محبة الناس له فلم أجد لها نظيراً مدى ما عشت من سنوات ، ولست بالناسي ولا المستثني .. وأما قدرته هو على المحبة فأمثلتها لا تحصى ، بحسبي أن أذكر منها واحداً حين ضُرب بالرصاص هو وصهره الأستاذ عبد الكريم منصور في سيارة « التاكسي » .. ورغم أنه كان المصاب بالإصابة البليغة والقاتلة فما كان يفوته أبداً كلما اقترب منه المسعفون أو الأطباء إلّا أن يصرفهم قائلاً : « شوفوا الأستاذ عبد الكريم » وفي مثل هذا الموقف العصيب محك صادق للمحبة والإيثار .

إن سيرة الأستاذ « البنّا » أجدر بكتاب منها بمقال .. ولكنه جهد المقل ، وحق الشباب أن يسمعوا برجل ضرب الإعلام عليه نطاقاً من التعتيم لا يكاد ينفرج إلّا لمزيد من الدس والتسميم والتشويه . عليه رحمة الله ورضوانه .

حول الالتزام الأدبي

بقلم :

د . عماد الدين خليل

أدب البروليتاريا

يقول المؤلفان الماركسيان « أوفسيانكوف » و « سميرنوفا » :

« **علّمنا لينين أن نرى خلف الصراع الفلسفي والجمالي والفني انعكاساً لصراع مختلف الطبقات والفئات الاجتماعية ...**

وبعد ان وجه ضربات قوية إلى نظرية (الفن الخالص) الرجعية ، حدّد الواجبات الجديدة امام فن البروليتاريا الثورية معلناً ان مؤيدي ما يسمى بالفن (الحرّ) هم في الحقيقة مرتبطون بمصالح الطبقات المستغلة ويخدمونها . أما الفن الحرّ فسوف يخدم مصالح البروليتاريا وكل الكادحين ، وسوف يكون ادباً شعبياً بكل ما في هذا الوصف من صدق ... »[3] .

ويواصل المؤلفان المذكوران حديثهما عن الرؤية الفنية للينين فيقولان :

(**... إن الحرية الحقيقية للإبداع الفني مقصورة على ذلك المجتمع الخالي من الاستغلال والظلم الاجتماعي والإرهاب القومي والمتحرر من حكم القوى الاقتصادية العمياء . ومثل هذه الحرية وهبتها ثورة اكتوبر للجماهير المبدعة .**

قال « **لينين** » في مقابلة له مع « **تسيكين** » :

« **إن تطور الفن قبل الثورة كان مرتبطاً بحكم القيصر وما ينتج قصره من ازياء وتقليعات** ، كما كان مرتبطاً أيضاً بذوق ورغبات الطبقة الأرستقراطية والبورجوازية . لقد حررت ثورتنا الفنانين من نير تلك الظروف البغيضة وأصبحت الحكومة السوفييتية مدافعاً عنهم ومستهلكاً لديهم في وقت واحد . **إن لكل فنان ولكل من يعدّ نفسه فناناً الحق في ان يبدع ما يتلاءم ومثله الأعلى ، متحرراً من كل شيء**) .

« **وتنبع حرية الإبداع الفني الحقيقية والواقعية في رايه من الارتباط العميق بحياة الشعب بشكل اختياري وتطوعي ، فكتب مشيراً إلى هذا الأدب قائلاً : (إنه سيكون ادباً حرّاً مغنياً أفكار الإنسانية الثورية بالتجارب وبالإنجازات الحيوية للبروليتاريا ، واضعاً علاقة دائمة بين خبرة الماضي .. وبين خبرة الحاضر : النضال المعاصر للرفاق والعمال ...** »[4] .

ويخلص المؤلفان الماركسيان إلى ما يلي :

« **لقد رأى لينين حقيقة التجديد في الفن في التعبير عن الجديد الذي تكوّن في الواقع بعد انتصار ثورة اكتوبر وفي إظهار النواحي الجديدة للحياة في المجتمع السوفييتي** »[5] .

أين نذهب بأدب الكبار ؟

ويتساءل المرء : أين نذهب بأعمال روائيين كبار كـ « **تولستوي** » و « **ديستويفسكي** » و « **غوغول** » و « **جيكوف** » و « **تورغنيف** » .. وغيرهم « **إذا كان الفن قبل الثورة مرتبطاً ـ كما يقول لينين ـ بحكم القيصر وما ينتج قصره من ازياء وتقليعات ، وإذا كان مرتبطاً ايضاً بذوق ورغبات الطبقة الأرستقراطية والبورجوازية** » ؟

وأين نذهب ـ في المقابل ـ بالمسخ والتسطّح الذي عانته الحركة الأدبية عموماً ، في أعقاب ثورة أكتوبر ، بسبب من صيغ الالتزام القهرية المباشرة التي وجدت نفسها تعمل في إطارها ؟

شهادات الذين عاشوا التجربة

ليس هذا مجال مناقشة مستفيضة للفلسفة الجمالية الماركسية ، ولا لنظريتها في الالتزام ، فلعلّنا نرجع إلى ذلك في مكان آخر . ولكننا نمر فحسب ببعض الشهادات التي أدلى بها أناس انتموا للشيوعية ، وعاينوا عن كثب طبيعة الأزمة الأدبية الفنية التي تعانيها التجربة والفكر على السواء ، وهذا بعضها :

« إن أذواقنا الأدبية والفنية ـ يقول « **آرثر كستلر** » ـ قد أصابها التقليم أيضاً كما أصاب غيرها . قال « **لينين** » مرة إنه عرف عن فرنسا من خلال قصص « **بلزاك** » أكثر مما عرفه من كتب التاريخ مجتمعة . فأصبح « **بلزاك** » عندنا أعظم الأولين والآخرين ، بينما كانت كتابات غيره من القصصيين الماضين مجرد انعكاسات (للقيم الشائهة التي انتجها مجتمع منحلّ) . أما في الناحية الفنية فقد كان المذهب (الحركي الثوري) هو السائد المتحكم ، فكانت الصورة التي تخلو من مصنع يتصاعد دخانه ، أو مدخنة ، أو جرّار ، تعتبر صورة تهربية غير واقعية . أما في الموسيقى والتمثيل فقد كان ينظر إلى (الجوقة) على أنها أسمى وسائل التعبير ، لأنها تمثل الاتجاه الجمعي كشيء مضاد للاتجاه الفردي البورجوازي ، إلّا أنه لما كان من غير الممكن إلغاء الشخصية الفردية من المسرح ، فقد نُزعت عن هذه الشخصيات صفاتها الفردية وأصبحت مجرّد نماذج ورموز »[6] .

عندما يغدو الأدب شيئاً يستحق الازدراء

ويقف الأديب والمفكر الفرنسي المعروف (**أندريه جيد**) طويلاً عند هذه المعضلة ، ويبدأ بطرح الحقيقة التي تسعى الماركسية إلى تجاهلها وإنكارها في هذا المجال « **إن البشرية معقدة التركيب ـ وهذا أمرٌ ينبغي أن يكون مفهوماً ـ وإن كل محاولة للتبسيط ، وكل جهد يأتي من الخارج لصياغة كل شيء وكل فرد حسب انموذج عام ، هو جهد خطر وضار وحقيق بالنقد . وإذا كان هذا هو الشأن بالنسبة إلى عامة الناس ، فهو بالنسبة إلى الأديب والفنان اكثر خطراً واعظم شراً** » .

ويمضي (جيد) إلى القول : بأنه يعتقد « **ان القيمة الحقيقية للكاتب هي في قوته الثورية** .. إن الفنان العظيم هو بالضرورة ذو شخصية تختلف عما اعتاد عليه الناس .. فما الذي يحدث له حين لا يجد لديه إمكانية المعارضة ؟

... لقد أخبرني أحد الرسامين الذين التقيت بهم في روسيا أن الدولة لم تعد في حاجة إلى الإبداع او الأصالة .. وأن ما تحتاجه حقاً هي الكتابات والرسومات والأعمال التي يمكن إدراكها والإحاطة بها في سهولة ويسر . فلما قلت

■■ إن أيّة مقارنة بين الالتزام الأدبي الإسلامي على مستوى التصور والتطبيق[١] مع الالتزام الماركسي ـ على المستويين كذلك ـ ستبيّن للمرء الفارق النوعي بين التزام يملك قدراً كبيراً من الحرية والمرونة والعفوية والانفتاح ، والتزام يقوم على القسر والتعصب والتشنج والانغلاق .. بين سلطة تتيح ذلك المدى الواسع للتعبير عن الذات[٢] ، وبين سلطة تضيّق عليها الخناق وتلاحقها في الأعماق وفي منحنيات الفكر والوجدان ، وتسد عنها منافذ الهواء فتطفىء شعلتها المتوهجة ، وتكفّها عن الإبداع ..

إن الالتزام عندهم يأخذ بعداً طبقياً صرفاً ، ويتشكل من خلال صراع الطبقات ؛ ومن ثم فإن الأدب الشيوعي إنما هو أدب الطبقة العاملة ، يعبر عن همومها ، ويدافع عن قضاياها ، ويفنّد مقولات ومعطيات الطبقات الأخرى التي تترصد لها ■■

■ الالتزام الأدبي في الإسلام يتيح للفرد مدى واسعاً سعة الإسلام ، للتعبير عن الذات . بينما الالتزام الماركسي يضيق عليه الخناق الفكر والوجدان ويلاحقه في منحنيات حتى يطفىء فيه شعلة الإبداع ..

ـبي في منظوره الماركسي

أنا معترضاً :

إن أعظم الأعمال الأدبية والفنية ـ بما فيها تلك التي أصبحت فيما بعد شائعة مشهورة ـ لم تلق التقدير والعرفان أبداً عند أول العهد بها ، إلّا من عدد قليل مختار ، أجاب معترفاً بأن « **بيتهوفن** » نفسه ما كان يمكنه في الاتحاد السوفييتي أن يستأنف السير بعد فشله في البداية . ثم أضاف يقول : **نحن نريد أن نوجد فناً جديراً بالأمة العظيمة التي نحن فيها الآن** . قلت له : إن هذا معناه إلزام جميع الفنانين بأن يصبحوا (امتثاليين) ، وأن أفضلهم وأشدهم أصالة وإبداعاً لا يمكنهم أن يوافقوا على امتهان فنّهم والخضوع لمثل هذه (التعليمات) ، ولذلك سوف يلجأون إلى السكوت والخمود ، فتصبح الثقافة (السائدة) شيئاً يستحق الرثاء والازدراء »[٧] .

وفي مكان آخر يقول (جيد) :

« ... **إن الثورة المظفرة لا بد وأن تمنح الفنان (الحرية) قبل أي شيء آخر ، فإن الفن بدون الحرية الكاملة يفقد قيمته ومعناه ..** إنني كثيراً ما أسائل نفسي وأنا متوجس قلق : أليس مصير أشخاص من مثل (**كيتس**) أو (**بودلير**) أو (**رمبو**) إن وجدوا في روسيا السوفييتية اليوم ، أن يذبلوا ويذووا دون أن يشعر بهم أحد ـ لأنهم بسبب أصالتهم أو قوة ابتكارهم ـ لم يتح لأصواتهم أن تعلو وتنتشر ... » .

وينتهي (جيد) إلى القول : « **بأن دوام الإعجاب بالنفس قد يصلح في المراحل الأولى لمجتمع جديد ، أما أن تستمر هذه المرحلة حتى النهاية فذلك أمرٌ يستدعي الأسى والأسف ...** »[٨] .

الأدب بين النظرية والخبرة

و « **ستيفن سبندر** » ، الشاعر والناقد المعروف ، الذي كان قد انتمى هو الآخر ـ لفترة قصيرة ـ إلى الماركسية ، يطيل الوقوف ـ كذلك ـ عند هذه المعضلة : الكلمة التي يراد لها أن تصير أداة مسطحة لخدمة الأيديولوجية . ويحكي بعض خبراته ومشاهداته في هذا المجال . « لقد لاحظت ـ يقول الرجل ـ بين رجال الفكر الشيوعيين سنة ١٩٣٠م وما بعدها ، نوعاً من السلوك قد أصبح اليوم في أوروبا الشرقية أمراً رسمياً مقرراً في نقابات الكُتّاب التي تملي على القصصيين والشعراء كيف ينبغي أن يفكروا ويشعروا . لقد كانت المشغلة الرئيسة لمجموعة الكتاب الذين التقوا لبحث مشكلة الفن والمجتمع الأزلية ، هي أن الأدب ينبغي أن يشرح ويعرض نظرية « **ماركس** » حول سمو الطبقة العاملة وحول ضرورة الثورة .

إن هذه النظرة العقلية إلى المجتمع تمتد بالضرورة بعيداً وراء أية خبرة فردية ، ومجال الخبرة الوحيد هو أن تفسرٍ وجهاً من وجوه خطة مقررة انتهى إليها الكاتب دون اعتماد على الخبرة . ومهما بلغ من إخلاص الكاتب للماركسية فإن تسلط نظرية معينة على عقله سابقة لكل خبرة ، لا بد وأن تكون له نتائجه الحتمية ، فإنه لما كان أهم شيء هو أن يكون الكاتب مؤمناً بالنظرية الماركسية ، ينتج عن ذلك أن أكثر الكتاب إيماناً بالماركسية وتعصباً لها ـ وهم في معظم الحالات أسوأ الكتاب ـ تصبح لهم الأفضلية على أولئك الكُتّاب المتواضعين

حــــول الالتزام الأدبـــي

الذين يعتمدون في فنهم وأدبهم على الخبرات قبل كل شيء . إن هذا يعني أن يصبح حَمَلَةُ النظرية والمبدأ - بشكل آلي - نقاداً أدبيين يحللون الأدب كله ، ماضيه وحاضره ، تبعاً لآراء الكاتب وأفكاره »[٩] .

دعـــوة للانتحـــار

ويمضي (سبنـدر) إلى القول بـأنه سمع « شاعراً شيوعياً يـوضّح لجمعيـة أدبية في بريطانيا ، في الاحتفال بذكرى الشاعر (كيتس) كيف أنه رغم ان (كيتس) لم يكن ماركسياً إلّا أننا نستطيع على الأقل ان نزعم أنه لكونه ولد من أب سائس للخيل ، وأصابه مرض السلّ فلم تعالجه الدولة ، له فضل كونه ضحية من ضحايا الرأسمالية ، كذلك كان هذا الشاعر نفسه هو الذي كتب حين انتحرت (فرجينيا وولف) بأسلوب من يهنّئها على اختيارها طريق الضرورة التاريخية ويلمّح إلى اننا نتوقع من بقية الكتّاب البورجوازيين ان يحذوا حذوها . »[١٠] .

ليـــس الأديب سجـــين مجتمعـــه

وهو يعرب عن نفوره من ذلك السيل من النقد الأدبي الماركسي « الذي ينظر إلى الأدب على أنه مجموعة من الأساطير التي يخترعها الكتاب بطريق شعوري أو غير شعوري ، ليخدموا بها مصالح طبقات صاعدة في التاريخ » ويعتقد « **ان شعراء مثل دانتي وشكسبير ، رغم انهم كانوا بدون شك رجـال عصرهم ومن المفكرين السياسيين ، إلّا ان خبراتهم لها ناحية سامية فائقة ترتفع بهم فوق المصالح الاجتماعية البشرية تماماً . إن المجتمع قد يسير وراءهم في إلهامات وكشوف مضيئة عن طبيعة الحياة تخرج به تماماً عن نطاق مشاغل اية حقبة تاريخية معيَّنة** ، فالمجتمع بهذا المعنى قد يسمو عن طريقهم ، وليست تجلياتهم وكشوفهم مجرد أمنيات بائدة من أماني مجتمعهم .

إن معتقدات الشعراء عندي كشف عن حقيقة الحياة وطبيعتها قد لا أشاركهم الإحساس به ، ولكني احب أن ابطله باعتباري إيّاه (ظاهرة اجتماعية) . **إن الأدب إن كان يعلّمنا شيئاً فهو ان الإنسان ليس سجين مجتمعه تماماً ، بل إن المجتمع قد يتعلم من الفن والأدب كيف يهرب من هذا السجن** ... »[١١] .

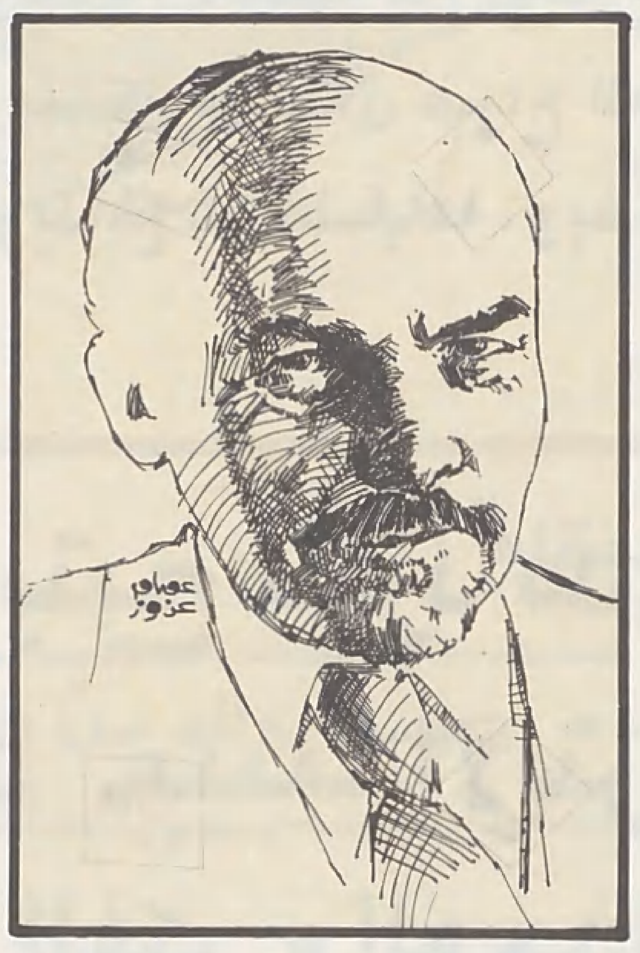

■ لينين : هل حرَّر الفن كما ادعى ؟ ■

■ ماركس : تنبأ بأن الفن في المجتمع الشيوعي سيحرز نجاحاً لم يعرفه سابقاً فجاءت شهادة الواقع تثير الضحك . ■

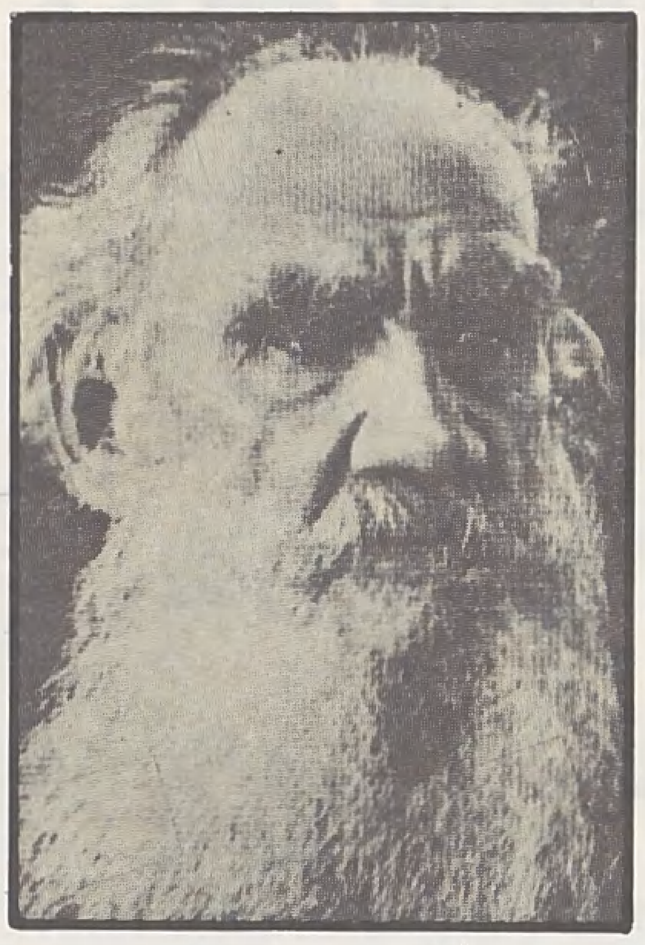

■ تولســـتوي ■

■ **إن الأدب إن كان يعلّمنا شيئاً ، فهو أنَّ الإنسان ليس سجين مجتمعه تماماً ، بل إن المجتمع قد يتعلم من الفن والأدب ، كيف يهرب من هذا السجن .**

■ **قد ترد كلمة « الكتب المقدسة » في تعبيرات الشيوعيين ، ويقصدون بها كتب « ماركس » و « لينين » .**

الأدب والحريَّـــة

ويحكي (سبندر) عن إحدى مشاهداته : « إنني اذكر جيداً ذلك الاجتماع الذي عقده منظمو (مسرح المجموعة) لبحث تمثيلية شعرية من تأليفي ، كانت قد مثلت على المسرح هي (محاكمة قاضٍ) . فقد قامت فتاة شيوعية حسنة الهندام تحتج على التمثيلية وتقول : إنها اصيبت هي وزملاؤها الشيوعيون بخيبة أمل كبيرة ، فقد كانوا يتوقعون أن تتحدَّث التمثيلية عن وضع يكون فيه الفاشيّون راسماليين ، والأحرار ضعافاً ، والشيوعيون على حق - وهو الأمر الذي يعرفونه جيداً - ولكن التمثيلية بدلاً من ذلك اظهرت ميلاً إلى العطف على وجهة نظر الأحرار . يضاف إلى ذلك أنه قد بدا في الفصل الأخير عنصر من التصوّف ، وليس مذهب الأحرار أو التصوّف هو الذي نريده من الكتاب الآن ، بل نريد الحديث عن الشيوعية المكافحة ... إلخ »[١٢] .

ويواصل (سبندر) « ... **في الحقيقة إن الفنون في روسيا قد تدهورت فعلاً إلى حدّ كبير ، ومن العجيب ان الشيوعيين انفسهم يعترفون بهذا احياناً ، فقد اوضح لي (إيليا اهرنبرغ) عام ١٩٤٥م في باريس ان الروس لن يشتركوا في معرضي للرسوم العالمية لانه لم يكن لديهم رسامون مجيدون** .. وأخبرني شيوعي مجري أن الروس قضوا على الأدب والرسم وأنهم دائبون اليوم في القضاء على الموسيقى .. »[١٣] .

ويخلص إلى القــــول :

« ... **بان حرية الأدب والفن تؤيد فردية كل كائن بشري ، ورغم ان الأدب غير السياسة ، إلّا انه سياسي ؛ بمعنى انه لا يزال يوسع مفاهيمنا عن الحرية الإنسانية ، وهذا التوسع يغير من مفهوم الحياة عندنا من جيل إلى جيل ، ويؤثر في النهاية على اهداف المجتمع السياسية** »[١٤] .

تفاؤل غير مقنع

فإذا ما أحلنا على هذه (الشهادات) المنصبَّة على الوقائـع ، تحليل (أوفسيانكوف) و (سميرنوفا) للرؤية الماركسية للأدب

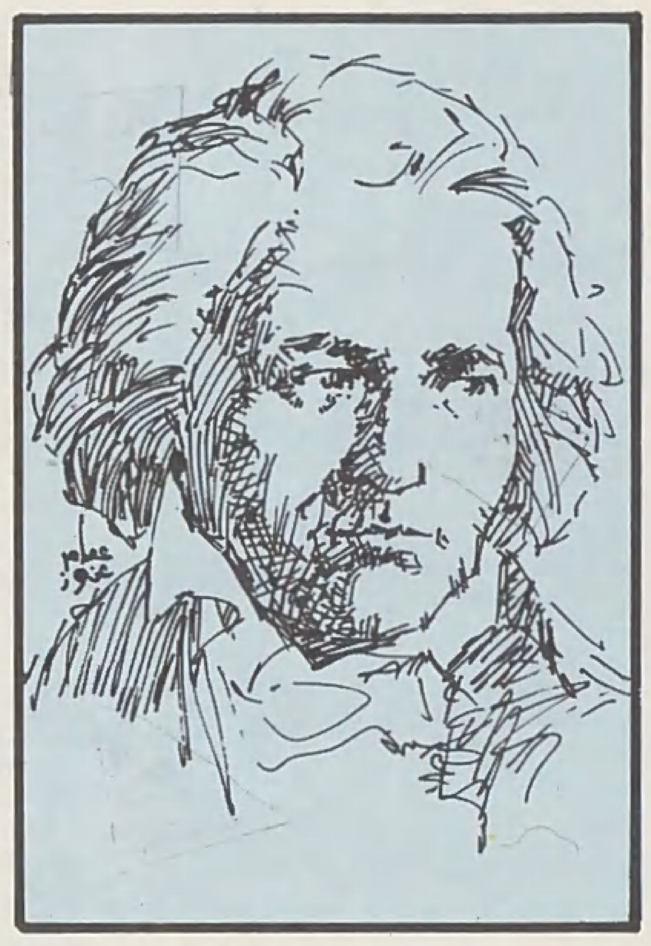

■ بتهوفن : هل كان بإمكانه الإبداع واستئناف السير لو عاش في الاتحاد السوفييتي . ■

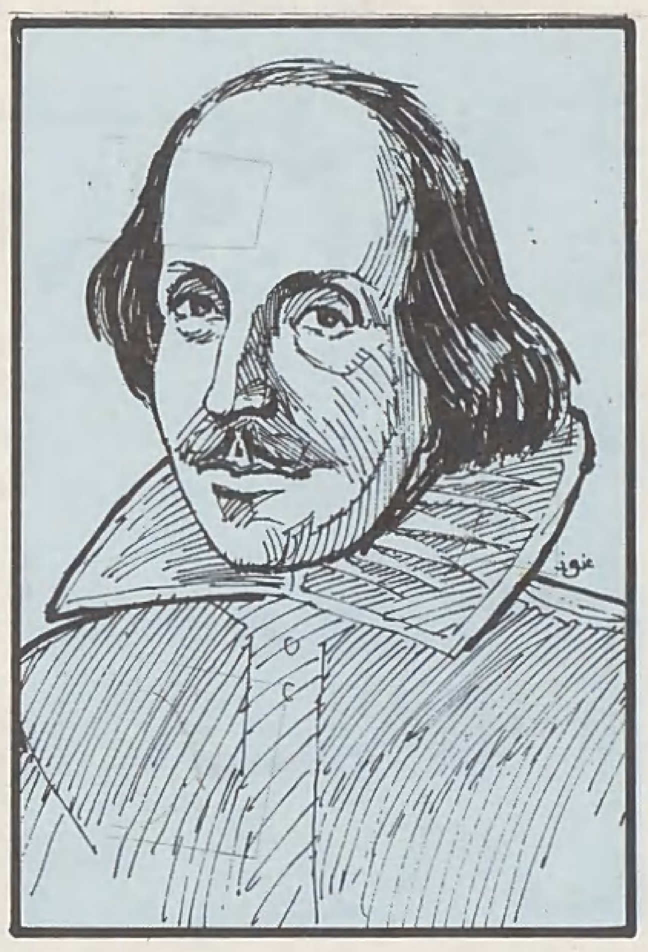

■ شكسبير : كانت خبراته ترتفع به فوق المصالح الاجتماعية لحقبة تاريخية معينة . ■

■ رجاء جارودي : أدرك الخلل فاقترن عنده الرأي بالموقف . ■

■ إن الرؤية الماركسية للأدب والفن ، تصل حَدَّ « المدرسية » التي تريد أن تدخل في عقول التلاميذ فكرة ما ، لا رصيد لها من الواقع المنظور .

■ إن الماركسية تكبح حرية الأديب في أن يعبِّر عن ذاته ، وتضبطه في قالبها الصارم ، وتقلّم توجهاته الإبداعية ..

والفن ، أدركنا كم أنهما ـ كعادة الماركسيين ـ يذهبان في مجال التفاؤل بعيداً ويصلان حدّ (المدرسيّة) التي تريد ان تدخل في عقول التلاميذ فكرةً ما لا رصيد لها من الواقع المنظور .

يقول المؤلفان « ... يخلص ماركس إلى نتيجة تقول بانه (لا يمكن إنقاذ الفن إلّا عن طريق إعادة تركيب العلاقات الاجتماعية بشكل ثوري .

إن الثورة الاجتماعية وحدها لقادرة على خلق إمكانات غير محدَّدة لتقدم الحضارة الفنية الإنسانية وتطورها إلى ما لا نهاية) . وهكذا يربط « **ماركس** » و « **انغلز** » المسائل الأساسية في علم الجمال بقضايا التقدم في مجالات السياسة والاقتصاد والثقافة ... ولقد أثبت التاريخ أن « **ماركس** » و « **انغلز** » كانا مصيبين تماماً في استنتاجهما هذا ، وما يدعم ذلك هو أولًا : كون الأزمة الفنية في الفن البورجوازي المعاصر تبدو عميقة جداً ، فهذا الفن يبدو من خلال أشكاله المتطرفة غير موضوعي تماماً . وثانياً نجاحات الفن (الماركسي) البائنة للعيان .. لقد تنبأ الرجلان بأن الفن في المجتمع الشيوعي المقبل سيحرز نجاحات عظيمة لم يعرفها أي عصر من العصور التاريخية ، وأنارا ـ ببحوثهما في علم الجمال ـ طريق المستقبل للفن بشكل خلّاق »[١٥] .

الا ترىٰ معي أن هذا الكلام يثير الضحك والازدراء .. في ضوء الشهادات التي أوردنا نماذج منها !!..

حين تغدو المناقشة مستحيلة

إن الأزمة التي يعانيها (الإبداع الجمالي) في ظلال الماركسية لا تقتصر على المرحلة (الستالينية) كما قد يبدو للوهلة الأولى ، وكما قد يحتج بعض الماركسيين ؛ إذ أننا نجد ـ على سبيل المثال ـ (أراغون) الشاعر الفرنسي المعرف ، والشيوعي السابق ، وهو يقدم لكتاب (**روجيه غارودي**) (واقعية بلا ضفاف) ، في فترة ما بعد الستالينية ، ينعىٰ على الماركسيين ما يسميه « **بالتطبيق العقيدي الجامد سواء في مجال التاريخ او العلوم او النقد الادبي** » و « اعتماد الحجج الدامغة ، والاستشهاد بالكتب المقدسة ـ ويقصد بها كتب ماركس ولينين ـ ذلك الاستشهاد الذي يكتم الأفواه ويجعل المناقشة مستحيلة .. »[١٦] .

ما يقولـه النقـاد

وردود الفعل السلبية التي أحدثتها رواية (**الدكتور زيفاغو**) للشاعر الروسي (**بوريس باسترناك**) في الاتحاد السوفييتي ، إنما تمت في اواخر الخمسينيات ، أي فيما بعد العصر الستاليني . وبالرجوع إلى بعض تفاصيل (الأزمة) في عدد من المؤلفات النقدية من مثل (**شجاعة العبقري**) **لروبرت كونكويست** ، و (**الصرخة المختنقة**) لـ « **جون سترايتش** » ، يتبين لنا أن المسألة لا تقتصر على مرحلة دون أخرى ، وإنما تمتد متخطية كل المراحل بسبب من أنها تصدر عن أرضية فكرية تريد أن تضبط الأديب في قالبها الصارم ، وتقلِّم توجهاته الإبداعية .

ويبقى (الموقف) مختلفاً ، بين الحين والآخر ، في الدرجة وليس في النوع .

المراجـــع

(١) انظر مقالاً للمؤلف حول الموضوع في مجلة الأمة ، العدد (٣٧) ومقال (ماهية الأدب الإسلامي) في مجلة الفيصل العدد (٧٨) وكتاب (محاولات جديدة في النقد) للمؤلف .

(٢) انظر فصل (المجتمع الإسلامي والتعبير الذاتي) من كتاب (في النقد الإسلامي المعاصر) للمؤلف .

(٣) موجز تاريخ النظريات الجمالية ص ٤٥٠ ـ ٤٥١ (دار التقدم ـ موسكو) .

(٤) المرجع السابق ص ٤٥٣ ـ ٤٥٤ .

(٥) نفسه ص ٤٥٥ .

(٦) الصنم الذي هوىٰ ، آرثر كستلر وآخرون ، ص ٥٦ ـ ٥٧ ، ترجمة فؤاد حمودة (دمشق ـ ١٩٦٠م) .

(٧) المرجع السابق ص ٢٣١ ـ ٢٣٤ .

(٨) نفسه ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨ .

(٩) نفسه ص ٣٣٠ .

(١٠) نفسه ص ٣٣١ ـ ٣٣٢ .

(١١) نفسه ص ٣٣١ ـ ٣٣٢ .

(١٢) نفسه ص ٣٣٢ .

(١٣) نفسه ص ٣٣٤ .

(١٤) نفسه ص ٣٣٦ .

(١٥) موجز تاريخ النظريات الجمالية ص ٤٣٤ .

(١٦) روجيه غارودي : واقعية بلا ضفاف ، المقدمة ص ٨ ـ ٩ ، ترجمة حليم طوسون ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ـ ١٩٦٨ ٧

رسائل إلى الأقصى

جِراحٌ تَوالىٰ نَزْفُها وَخَريرُها ... وَأنّاتُ شاكٍ لَيْسَ يُدْرىٰ مَصيرُها

وَآهاتُ مَكْظومٍ تُتَرْجِمُ مِحْنَةً ... تَأجَّجَ في عُمْقِ الحَنايا سَعيرُها

وَوَلْوَلَةٌ يَغْزو الفَضاءَ شَهيقُها ... وَيَمْتَدُّ في عَرْضِ السَّماءِ زَفيرُها

عَلامَ ؟ علىٰ القُدْسِ المُعَنّىٰ تَحوطُهُ ... عِصابَةُ سوءٍ لا تَنام شُرورُها

طَغَتْ وَبَغَتْ وَاسْتَعْذَبَتْ كُلَّ مَأثَمٍ ... وَهَلْ أرْهَقَ الأيّامَ إلّا فُجورُها

لُصوصٌ تَرىٰ في اللَّيْلِ خِلْعَةَ فاجِرٍ ... وَكَمْ خِلْعَةٍ تَحْمي الجُناةَ سُتُورُها

ضَمائِرُها مَوْتىٰ وَأخْلاقُها قَذىً ... وَمَنْهَجُها ظُلْمُ الحَياةِ وَزُورُها

ذِئابٌ تَرىٰ العُدْوانَ ديناً وَمَذْهَباً ... وَيَرْجِعُ بِالفَخْرِ العَريضِ غُرورُها

مَذابِحُ في طولِ البِلادِ وَعَرْضِها ... تَضِجُّ لَها أكْواخُها وَقُصورُها

فَتَحْصُدُ أرْواحاً وَتُفْزِعُ آمِناً ... وَتَسْفِكُ أدْماءً عَزيزاً يَسيرُها

إذا زُرْتَها يَوْماً وَقَدْ شَفَّكَ الضَّنىٰ ... فَزائِرُها راثٍ لَها وَمَزُورُها

وَنَحْنُ - بَني الإسْلامِ - في غَفَلاتِنا ... وَمِنْ حَوْلِنا الأهْوالُ بادٍ سُفُورُها

وَمَسْجِدُنا الأقْصىٰ يُناشِدُ أُمَّةً ... مُوَزَّعَةً كي يَسْتَجيبَ غَيُورُها

يَقولُونَ : آسادُ الحِمىٰ وَرُعاتُهُ !! ... إذا صَحَّتِ الدَّعْوىٰ .. فَأيْنَ زَئيرُها ؟

إلَيْكُمْ - بَني الإسْلامِ - قَوْلَةَ ناصِحٍ ... تَهُزُّ قُلوبَ الغافِلينَ سُطورُها

أنَحْيا وَفينا فُرْقَةٌ وَتَمَزُّقٌ ... حَياةٌ - لَعَمْرُ الحَقِّ - جَفَّتْ زُهورُها

نُقيمُ بِأرْضٍ أنْبَتَتْ كُلَّ ماجِدٍ ... فَكَيْفَ رَمَتْنا بِالضِّبابِ جُحورُها

وَقُلْنا : سَماءُ العِزِّ فَوْقَ رُؤوسِنا ... فَكَيْفَ هَوَتْ عُقْبانُها وَصُقُورُها

أنَحْيا وَفي الأقْصىٰ انْقِباضٌ وَذِلَّةٌ ... لَتِلْكَ حَياةٌ ماتَ فيها ضَميرُها

وَأفْتَحُ عَيْني إذْ أراهُ مُحَرَّراً ... فَأقْطَعُ آفاقَ الدُّجىٰ وَأطيرُها

إلىٰ ساحِهِ أسْرىٰ البُراقُ وَحَوْلَهُ ... تَسابيحُ مِنْ وَحْيِ السَّماءِ صُدُورُها

سَنَفْنىٰ لِيَبْقىٰ شامِخَ الرَّأسِ عالِياً ... بِمِئْذَنَةٍ يَمْحو الدَّياجِرَ نُورُها

وَتَفْديهِ أرْواحٌ غَوالٍ كَرائِمٌ ... علىٰ اللهِ في ساحِ الفِدا أُجورُها

إلىٰ سُدَّةِ الأقْصىٰ بَعَثْتُ تَحِيَّتي ... مِنَ المُهْجَةِ الوَلْهىٰ يَفوحُ عَبيرُها

وَأبْعَثُ أشْواقي رَسائِلَ آمِلٍ ... يُعيدُ صَداها نَظْمُها وَنَثيرُها

إلَيْكَ .. وَما أنْفَكُّ أجْتازُ رِحْلَةً ... يَشُقُّ على غَيْرِ المَشوقِ عُبورُها

وَهَلْ تَسْتَوي الأيّامُ ليناً وَقَسْوَةً ؟ ... وَهَلْ يَتَساوىٰ ظِلُّها وَحَرُورُها

فِداؤكَ (إنْ عَزَّ الفِداءُ) نُفوسُنا ؟ ... وَكُلُّ مُناها أنْ يُفَكَّ أسيرُها

وَلا بُدَّ أنْ تَنْجابَ عَنْكَ سَحابَةٌ ... وَيَأتي بِما سَرَّ النُّفوسَ بَشيرُها

شعر : محمد السيد الداودي

تصريحات وأقوال

■■ [على كل مسلم عندما يولد ويسمع كلمة لا إلـه إلّا الله ، أن يقطع على نفسه العهد على إنقاذ الأقصى .] ■■

(محمد إقبال ـ في افتتاح المؤتمر الإسلامي عام ١٩٣٠م)

■■ [... أمنيتي الشخصية أن يقول الفلسطينيون ، بطريقة أو بأخرى ، نحن نعترف بحق إسرائيل في الوجود والعيش بسلام .] ■■

(جيمي كارتـــر)

■■ [أتمنى أن تعمم مناهج علماء السنة والحديث في ميدان الفكر الإسلامي بدلاً من أن يهتم بها القلة .. ، وأن يقتنع بها الكافة وأن تحل محل المناهج الموجودة حالياً .]■■

(الدكتور مصطفى حلمي ـ الحائز على جائزة الملك فيصل هذا العام)

■■ [لقد بالغ كل من الإسرائيليين والنصارى اللبنانيين في تقدير الطرف الآخر ، فقد بالغ الإسرائيليون في تقدير دور « القوات اللبنانية » وقدرتها على مشاركتهم في السيطرة على المناطق ، وكذلك في حرب بيروت ، كما بالغ النصارى في تقدير قدرة الجيش الإسرائيلي على استخدام قوته العسكرية بلا حدود .] ■■

(موشى شارون ـ مستشار بيريز للشؤون اللبنانية واستاذ التاريخ الإسلامي في الجامعة العبرية)

■■ [يعتقد الاستراتيجيون أن الحرب الأفغانية تصور نزاعاً بين الجيش السوفييتي والمجاهدين المسلمين ؛ من شأنه أن يترك أثراً بالغاً على المسلمين السوفييت ، ويزيد بالتالي من انتمائهم الطائفي وهويّتهم الدينية ، قبل أن يطرح مسألة ولائهم للدولة السوفييتية .] ■■

(باتريك سيل ـ الكاتب الصحفي)

■■ [... إذا انتصرت إيران فستفرض شروط المنتصر ، وإذا انتصر العراق فسيدعم علاقاته بالسوفييت .. ودور الولايات المتحدة : ألّا يحقق أي من الطرفين انتصاراً حاسماً .] ■■

(هنري كيسنجر ـ « من مقال بـ[الهيرالد تربيون])

■■ [إننا ننتظر اليوم الذي تتيح فيه روح العلاقات بين الكاثوليك واليهود للكرسي البابوي الاعتراف بإسرائيل .] ■■

(« إلن روز » نائب رئيس المؤتمر اليهودي في كندا ؛ أثناء لقائه مع البابا يوحنا بولس الثاني في زيارته كندا بمناسبة ذكرى اعتناقها للنصرانية منذ ٤٥٠ عاماً)

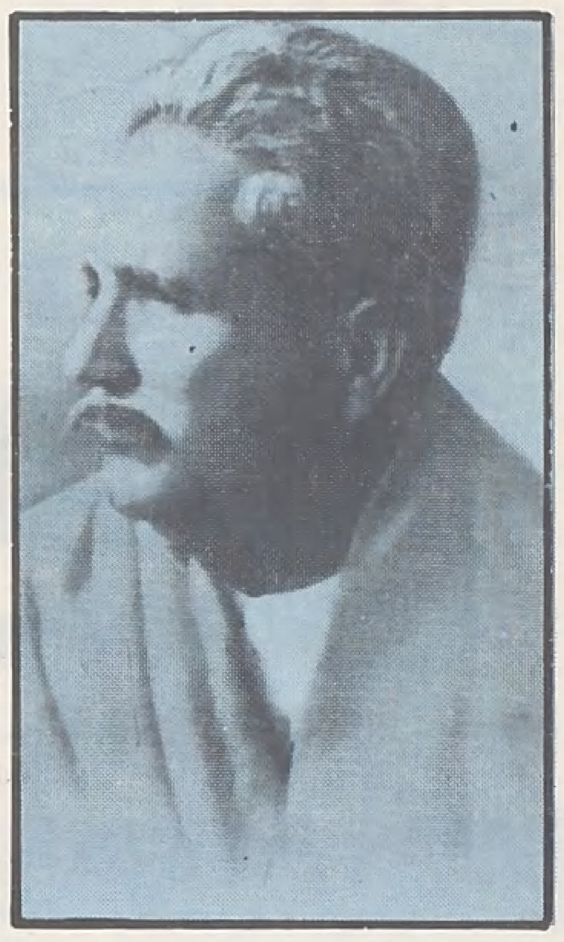

● محمد إقبال ●

● باتريك سيل ●

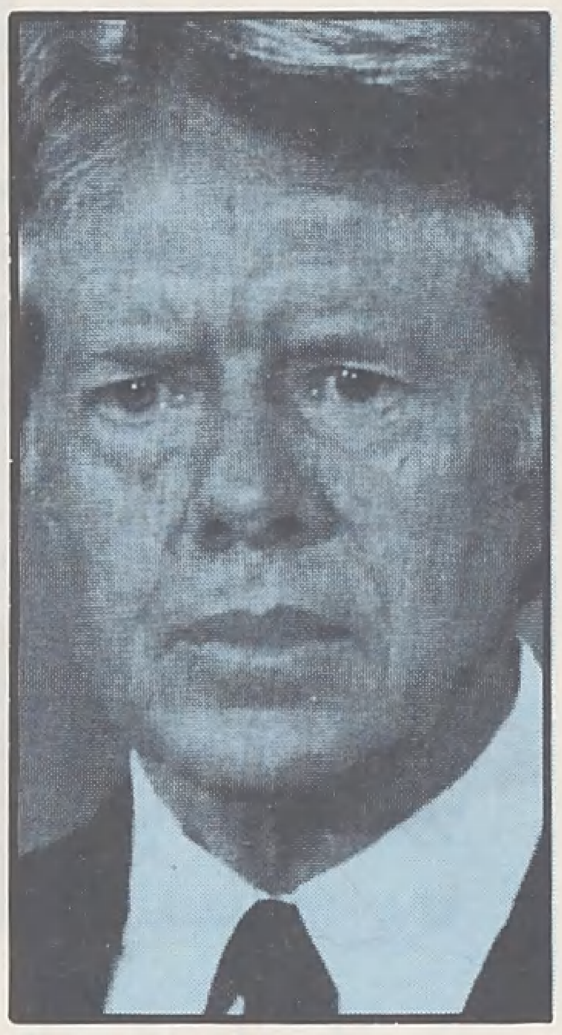

● جيمي كارتر ●

● هنري كيسنجر ●

سَبْتَة

ثغر إسلامي عريق

استطلاع

■ سبتة .. منها انطلق جيش المرابطين لرد كيد الصليبيين . ■

●● بعد أن دبت الفرقة في صفوف المسلمين في الأندلس ، ورفعت العصبيات الجاهلية رأسها ، بدأ النصارى في شبه جزيرة أيبريا يعملون لإعادة سيطرتهم عليها ولطرد المسلمين منها ، وقد استطاع البرتغاليون تحقيق هذا الهدف في القرن الثالث عشر الميلادي ، قبل الإسبان الذين لم يتمكنوا من تحقيق ذلك إلاَّ في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي (١٤٩٢م) عندما سقطت غرناطة ـ آخر معقل للمسلمين في شبه جزيرة أيبريا ـ بأيديهم ... ●●

ولم يقف هؤلاء وأولئك عند حدود شبه الجزيرة الأيبيرية ، ولكنهم فضلاً عن صب جام غضبهم على من بقي من المسلمين لتنصيرهم أو إجلائهم أو قتلهم توجهوا نحو الشمال الأفريقي لمطاردة المسلمين هناك ، وكأن موجة الحروب الصليبية التي خفَّت وطأتها في المشرق الإسلامي بعد الهزائم التي مني بها الصليبيون بدأت تنشط في المغرب الإسلامي بالعنف والقسوة نفسها التي ذاقها سكان المشرق ، ونستطيع

■ لم تكن حركة الكشوف الجغرافية إلَّا وسيلة من وسائل مطاردة المسلمين ومحاولة حصارهم للقضاء على الإسلام نفسه ■

■ المسجد الكبير في سبتة ■

أن نتبين هذه الحرب الصليبية من خلال ما صرح به الملك البرتغالي « حنًا » والد الأمير « هنري الملاح » من أن « الميدان الحقيقي الذي يكسب فيه أفراد البيت المالك الفخار هو ميدان الحرب ضد المسلمين في الغرب » وأنه « سيمنح أكبر وسام في بلاده - وسام السيد الأعظم - لمن يحارب في هذا الميدان » يضاف إلى ذلك أن « هنري الملاح » نفسه كان يرأس الجماعة التي عرفت باسم « جماعة المسيح » ونواتها بعض الفرسان الصليبيين الذين هربوا من جزر البحر المتوسط بعد تعقب المسلمين لهم فلجؤوا إلى البرتغال ، وكانوا يتوقون للانتقام من المسلمين . وكان هنري الملاح يتمنى أن يعمل عملاً يتقرب به إلى الله عن طريق التبشير بالكاثوليكية في سواحل أفريقيا الشمالية وبين الوثنيين الأفارقة !! وقد أشار المؤرخ والضابط البرتغالي « فاسكو دو كارافللو » الذي أرَّخ لتلك الفترة إلى هذه الروح الصليبية فقال :

« إن الشباب البرتغالي كان يعتقد أن المسلمين إذا كانوا قد التجؤوا من شبه جزيرة أيبريا إلى الشمال الأفريقي ، فإن الواجب يحتم على النصارى ألَّا يتركوهم ينعمون بالمقام هناك ، بل إن عليهم أن يتعقبوهم حيث وصلوا ... » ، وهذه الروح الصليبية يمكن أن تفسر لنا قيام ما سمي بحركة الكشوف الجغرافية أيضاً ، وتبين أن هذه الحركة لم تكن سوى وسيلة من وسائل مطاردة المسلمين ومحاولة حصارهم للقضاء على الإسلام نفسه ...

وفعلاً غادرت ميناء « لشبونة » قوة برتغالية ضخمة في الخامس والعشرين من تموز (يوليو) ١٤١٥م على ظهر أسطول يتكون من مائتين وأربعين سفينة حربية حتى وصلت إلى ميناء « سبتة » المغربي - الذي كان له دور في بداية الفتح الإسلامي للأندلس على يد طارق بن زياد وموسى بن نصير - وفوجىء السكان بهذه القوة فلم يصمدوا لها ، ودخل البرتغاليون المدينة في العام نفسه : ومنذ ذلك التاريخ لا تزال مدينة « سبتة » تعاني من الاحتلال الصليبي ... وقد اعتبر المؤرخ البرتغالي « فاسكو دو كرافللو » هذا الحدث الخطير والعظيم برأيه « أجدر بأن يعتبر بداية للعصور الحديثة من اتخاذ فتح المسلمين للقسطنطينية بداية لها » ولتثبيت أقدامهم قام البرتغاليون ببناء حوائط عالية أقرب إلى الحصن في « سبتة » ثم اتخذوها قاعدة لمهاجمة المدن المغربية ، وكانت مدينة « طنجة » أولى المدن المغربية التي توجه الحقد الصليبي نحوها بعد « سبتة » إلَّا أنهم رُدُّوا على أعقابهم خاسرين

□ إنَّ الواجب يحتم على النصارى ألَّا يتركوا المسلمين الأندلسيين ينعمون بالمقام في الشمال الأفريقي ، وعليهم أن يتعقبوهم حيث وصلوا .
[المؤرخ والضابط البرتغالي : فاسكو دو كارافللو]

سبتة
ثغر إسلامي عريق

استطلاع

يتجرعون مرارة الهزيمة ، ومع ذلك لم ييأسوا خاصة بعد فتح السلطان محمد الفاتح لمدينة القسطنطينية : الأمر الذي كان له دوي هائل في البلدان الأوروبية ، حيث دقت أجراس الكنائس هناك الدقات الجنائزية حداداً ، ودعا البابوات إلى حرب صليبية جديدة ضد المسلمين ، وأصدروا عدة مراسيم دعوا فيها إلى القتال ضد المسلمين ، (المرسوم الذي أصدره « نيقولا الخامس » ، والمرسوم الذي أصدره « كاليست الثالث » ، والمراسيم التي أصدرها اسكندر السادس ...) بل لقد وصل الأمر ببعضهم إلى وصف الإسلام بأنه الطاعون الذي يجب القضاء عليه قضاء مبرماً ... وكان « ألفونس الخامس » البرتغالي أول من استجاب لهذا النداء ونجح في توجيه هذه الحملة الصليبية نحو المغرب بدلاً من القسطنطينية ...

سبتة في التاريخ

« سبتة » فرضة بحرية محصنة على سواحل « فاس » الشمالية تجاه مدينة جبل طارق ، كانت تشكل مع جبل طارق ما يعرف باسم « أعمدة هرقل » وهي كما قال ياقوت الحموي في معجم البلدان : « بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب ، تقابل جزيرة الأندلس على طرف الزقاق الذي هو أقرب ما بين البر والجزيرة ، وهي مدينة حصينة تشبه المهدية التي بأفريقية على ما قيل ، لأنها ضاربة في البحر ، داخلة كدخول كف على زَنْد » وقد كانت « سبتة » من الأمصار القديمة قبل الإسلام ، وكانت قبل الفتح الإسلامي للأندلس منزل « يوليان » ملك « غمارة » ولما زحف إليه موسى بن نصير بعد فتح « طنجة » صانَعَه بالهدايا ، وأذعن للجزية ، فأقره عليها ، واسترهن ابنه وأبناء قومه ، ولما هلك « يوليان » استولى العرب على « سبتة » صلحاً من أيدي قومه فعمروها ، وبقيت في أيديهم حتى تمكن « يوحنا الأول » البرتغالي من إحتلالها عام ١٤١٥م ...

يرجع بعضهم اسم « سبتة » إلى رقم سبعة العربي ، إذ أن الجيب الذي تقوم عليه مكون من سبعة تلال ، يطلق عليها باللاتينية لقب « الإخوة السبعة » .

و « سبتة » بلفظ « الفعلة » : المرة الواحدة من السبت ـ وهو القطع ـ بالفتح أو بالكسر ...

لما أراد أمير المسلمين في المغرب « يوسف بن تاشفين » زعيم المرابطين رحمه الله فتح الأندلس ليرد عنها كيد الصليبية استجابة لاستنجاد ملوك الطوائف الذين كانوا قد شُغلوا بالمنازعات فيما بينهم عن الخطر الداهم ، سار من مراكش إلى « سبتة » وأقام فيها ، وسير العساكر منها إلى الأندلس حيث نزل بالجزيرة الخضراء عام (٤٧٩هـ) والتقى بجيوش « ألفونس السادس » ملك قشتالة ، وحقق الانتصار الحاسم في موقعة (الزلاقة يوم الجمعة ١٥ رجب ٤٧٩هـ) وذاع صيت « يوسف بن تاشفين » الذي لم يشتهر كقائد حربي مجاهد فقط ، بل إن شهرته العلمية فاقت ذلك ، فقد كان محباً للعلم وأهله ، لا يقطع أمراً دونهم حتى انقطع إليه ـ كما يقول صاحب « المعجب » ـ من الجزيرة من أهل كل علم فُحولُه ، واجتمع له ولولده من أعيان الكتاب وفرسان البلاغة ما لم يتفق اجتماعه في عصر من الأعصار ...

نُسب إلى سبتة جماعة من أعيان العلم ، منهم : ابن مرانة السبتي ، الذي كان من أعلم الناس بالحساب والفرائض والهندسة والفقه ، وله تلامذة وتآليف ، ومن تلامذته : ابن العربي الفَرَضي الحاسب ...

وكان « المعتمد بن عباد » يقول : اشتهيت أن يكون عندي من أهل « سبتة » ثلاثة نفر : ابن غازي الخطيب ، وابن عطاء الكاتب ، وابن مرانة الفرضي ... فيها ولد القاضي « عِيَاض » بن موسى اليحصبي السبتي بعد أن اختارها والده لتكون مقر إقامة لهم بدل « فاس » لما تتمتع به من موقع جعلها صلة وصل بين الشمال الأفريقي والأندلس ، ففيها يلتقي الوافدون على الأندلس والعائدون ، يتبادلون الآراء والأفكار وتتلاقح علوم المشرق والمغرب ...

واستمرت « سبتة » تؤدي دورها إلى أن وقعت فريسة الاحتلال الصليبي البرتغالي بسبب الفساد والانحلال والتقاتل الذي ساد بين المسلمين في هذه الفترة ...

الاحتلال الصليبي

حاول المسلمون استرداد مدينة « سبتة » من البرتغاليين بعد عجز هؤلاء عن احتلال « طنجة » وهزيمتهم عام ١٤٢٠م ولم يتمكنوا من ذلك ، وفي عام ١٤٧٦م حاول السلطان المغربي « محمد الشيخ » استردادها وفشل أيضاً ، وفي آذار (مارس) ١٤٨٠م أطلقت إسبانيا يد البرتغال في الموانىء المغربية ومنها « سبتة » ، وفي الفترة التي بدأت فيها قوة العثمانيين بالظهور في البحر المتوسط ووصول نفوذهم إلى الجزائر وتلمسان (١٥١٨م) ووقوفهم في وجه الأطماع البرتغالية والإسبانية في شمالي أفريقية ، واشتداد المقاومة المغربية للوجود البرتغالي في ثغورهم بدأت بعض الأصوات البرتغالية ترتفع مطالبة بضرورة الجلاء عن هذه الثغور أو بعضها والانصراف إلى العالم الجديد : مع الإصرار على الاحتفاظ بمدينة « سبتة » ، وكان رأي وزير المالية البرتغالي آنذاك « بناء حصون وقلاع جديدة لا التخلي عن الحصون القديمة ، واللجوء إلى النصارى في أوروبا كلها إضافة إلى البابوية لدعم الحاميات البرتغالية في الثغور المغربية » .

وفي عام ١٥٧٤م زار الملك البرتغالي

■ في الوقت الذي تطالب فيه إسبانيا بمنطقة جبل طارق لأنها تشكل الامتداد الطبيعي لأراضيها تتجاهل أن منطقة (سبتة ومليلة) تشكل الامتداد الطبيعي للأراضي المغربية . ■

« دون سبستيان » مدينة « سبتة » لأنه كان يريد متابعة الحرب ضد المسلمين في شمالي أفريقية بهدف توجيه ضربة جديدة إلى الإسلام ، وليقف بنفسه على الأوضاع في هذه الثغور ، وطلب من خاله « فيليب الثاني » ملك إسبانيا مساعدته ، فأمدَّه بسبعة آلاف جندي من الإسبان والإيطاليين ومن الفاتيكان والألمان ، إلى جانب وقوف بعض الخونة إلى جانبه من أمثال « عبد الله المتوكل » الطامع بحكم المغرب والذي كان قد توجه إليه مستنجداً به ضد عمه ملك المغرب « مولاي عبد الملك » والتقى الجيشان : المغربي بقيادة « مولاي عبد الملك » المريض المحمول على محفة وسط الجيش وإلى جانبه أخوه المنصور : والبرتغالي بقيادة الملك « دون سبستيان » المدعم من إسبانيا والفاتيكان وسواهما من دول أوروبا في الرابع من آب (أغسطس) ١٥٧٨م . ودارت المعركة التي تعرف في تاريخ المغرب بـ « معركة وادي المخازن » حيث انتصرت القلة المؤمنة على الكثرة ، وكان من القتلى الملك البرتغالي نفسه ومعه « المتوكل » الخائن ...

الاحتلال الإسباني

وكان من نتيجة هذه المعركة انقراض الأسرة الحاكمة البرتغالية : الأمر الذي أدى إلى ضم العرش البرتغالي إلى التاج الإسباني ، وانتقال الممتلكات البرتغالية ومنها « سبتة » إلى النفوذ الإسباني في عهد الملك الإسباني « فيليب الثاني » ، وكان ذلك قد تم عام ١٥٨٠م ، وقد حاول المسلمون في هذه الفترة أيضاً استرداد « سبتة » وتمكنوا في عهد « مولاي إسماعيل » من محاصرتها ولكن لم يُقَدَّرْ له أن يفتحها ...

وبعد انفصال البرتغال عن إسبانيا تنازلت لها عن « سبتة » بموجب معاهدة « لشبونة » ١٦٦٨م وأصبحت المدينة منذ ذلك الحين مركزاً إدارياً وعسكرياً للمحمية الإسبانية في المغرب ، ولم يهدأ المسلمون وتابعوا شن هجماتهم ، وقاموا بمحاولات متعددة لتحرير « سبتة » خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين ولم يقدر لهم فتحها رغم تمكنهم من محاصرتها مرات عديدة .

وعندما تدخل « نابليون بونابرت » في إسبانيا خشي الإنكليز أن يسعى المغاربة لاغتنام الفرصة فيستولون على « سبتة » وكانوا يعتبرونها مما يجب الاحتفاظ به فاحتلوها من عام ١٨١٠م إلى عام ١٨١٤م ثم ردّوها في هذه السنة إلى إسبانيا .

وفي مستهل عام ١٨٦٠م تمكن الإسبان من احتلال مدينة « تطوان » ، وأُجبر المغرب بعد تدخل بريطانيا على توقيع اتفاق مع إسبانيا تنازل فيه للإسبان عن بعض الأراضي حول « سبتة » ضمت القلعة ، و« مليلة » لأنها تلزمهم للدفاع عن مواقعهم فيها مقابل جلائهم عن « تطوان » .

ومنذ عام ١٨٧٤م أصبحت « سبتة » مقراً للقيادة الإسبانية في أفريقيا .. و« سبتة » اليوم تخضع خضوعاً تاماً للإدارة الإسبانية ، والأطفال الذين يولدون فيها - مسلمين أو نصارى - يعتبرون من الإسبان ، وتطبق عليها جميع القوانين الإسبانية ، وهي قاعدة عسكرية إسبانية كبيرة ، فيها حوالي خمسة عشر ألف جندي : وموقع تجاري مزدهر يقدم خدمات كثيرة للسفن العابرة باتجاه البحر المتوسط أو العائدة منه ، وتشكل لإسبانيا مصدراً هاماً للعملة الصعبة بفضل النشاط التجاري والسياحة ...

الوجود الإسلامي في المدينة

يمثل المسلمون غالبية سكان المدينة ، حيث تصل نسبتهم إلى حوالي سبعين بالمائة رغم أن التقديرات الإسبانية تقول : إن عددهم فيها لا يتجاوز خمسة عشر ألف نسمة : وهم يفتقرون إلى العلم بصورة عامة ، والعلوم الإسلامية بصورة خاصة ، فالمدارس الرسمية تلتزم بالمنهج الإسباني ، ويُفسح المجال فيها لأبناء المسلمين في المرحلة الابتدائية وباللغة الإسبانية ...

ومن الناحية الاجتماعية فإن مظاهر الفقر واضحة للعيان ، رغم كون المدينة مصدراً للعملة الصعبة للخزينة الإسبانية ، فحي المسلمين في المدينة بأكمله يتكون من بيوت القصدير وليس سبب ذلك الفقر وحده ، بل القوانين المحلية الإسبانية التي تضع العراقيل في وجه المسلمين ، وكلهم مغاربة ، لمنعهم من شراء العقارات أو البناء لنزع الصفة الإسلامية المغربية عن المدينة وإبراز الصفة الإسبانية ... وفي هذا الاتجاه جاء المشروع الذي طرحه الاشتراكيون بعد وصولهم إلى السلطة في إسبانيا بمنح الاستقلال الذاتي لمدينتي « سبتة و « مليلة » المغربيتين المحتلتين ، وقيامهم بتشكيل لجنة لإعداد مجموعة من مشاريع القوانين التي سينظم بمقتضاها هذا الاستقلال الذاتي على غرار ما تم في إقليم الأندلس ، وإقليم الباسْك ...!!

يوجد في المدينة ثلاثة مساجد ، أكبرها في وضع سيء جداً ، ويحتاج إلى ترميمات كثيرة ، والوجود الإسلامي في المدينة واضح إلَّا أنه غير منظم بسبب العقبات التي تضعها السلطات الإسبانية هناك في وجه المسلمين إلى جانب الحكم العسكري الذي يسيطر عليها لكونها قاعدة عسكرية ، والذي يرهب مسلميها ويمنعهم حتى من الكلام ...

ونتيجة لسوء الأحوال الاجتماعية والتعليمية للمسلمين فيها أصبحتَ تجد قلة من الشبان يرتادون هذه المساجد ، ويلتزمون بتعاليم الإسلام ، ومعظم هؤلاء

سبتة
ثغر إسلامي عريق

استطلاع

ينقصهم الوعي الحقيقي والمعرفة الصائبة بدين الله عز وجل وبما يدور حولهم ، وإلى جانبهم نرى كثيراً من شباب المسلمين فيها يهيمون على وجوههم في كل واد ، يعانون التفسخ الخلقي ، ويدمنون المسكرات والمخدرات وما إلى ذلك ، غير مبالين لا بواقعهم ولا بالاستعمار الجاثم على صدورهم ، يحاولون الظهور وكأنهم جزء من الغرب ...

المعاناة ... والواجب

●● وفي حديثنا مع أحد الإخوة - طلب عدم ذكر اسمه - حول أوضاع المسلمين ومعاناتهم في هذه المدينة الصامدة ، قال :

[... إن المسلمين يفتقرون إلى مدارس تعلم أبناءهم ونَشْأهم ، وتعمل على إنقاذهم من الجهل الذي أصبح سمة بارزة واسماً علماً عليهم ، إلى جانب عدم وجود جماعة مسلمة واعية متماسكة تأخذ على عاتقها توجيه مسلمي المدينة وإرشادهم ، والدعوة بينهم وفق منهج واضح لحماية مستقبل الإسلام فيها ، وربطهم بإخوانهم في العالم الإسلامي كله ... يضاف إلى ذلك جهل المسلمين خارجها أو تجاهلهم لإخوانهم الذين يعانون العنت والضيق والفقر والفاقة في ظل السيطرة الاستعمارية الإسبانية ، وعدم مدهم يد العون لهم ، وكأن الاستعمار وسياسة الأمر الواقع هي التي تهيمن عليهم وتظهرهم وكأنهم يعترفون لإسبانيا بما احتلته واستعمرته بالقوة وفي غفلة من المسلمين ...] .

●● وعن أهم ما يحتاجونه قال :

[... يجب على المسلمين :

■ توثيق الصلة بإخوانهم الخاضعين للسيطرة الاستعمارية الإسبانية ، والعمل على إيجاد مدارس خاصة بهم - ولو في المساجد الموجودة في المدينة - لتعليم أبنائهم العربية والدين الإسلامي ، وذلك للحفاظ على ذاتية المسلمين وحمايتها من الذوبان في البوتقة الإسبانية ، وأن يذكروا قول الله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ وقول الرسول ﷺ : « المسلم أخو المسلم لا يخذله ولا يُسْلِمُهُ ولا يحقره ... » و « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم »

■ العمل على توفير الكتاب الإسلامي باللغتين العربية والإسبانية ليكون في كل بيت مسلم مكتبة إسلامية - ولو صغيرة - تربطه بثقافته الأصلية ، وتشعره دائماً بغربته عن المستعمر الإسباني وغربة المستعمر عنه .

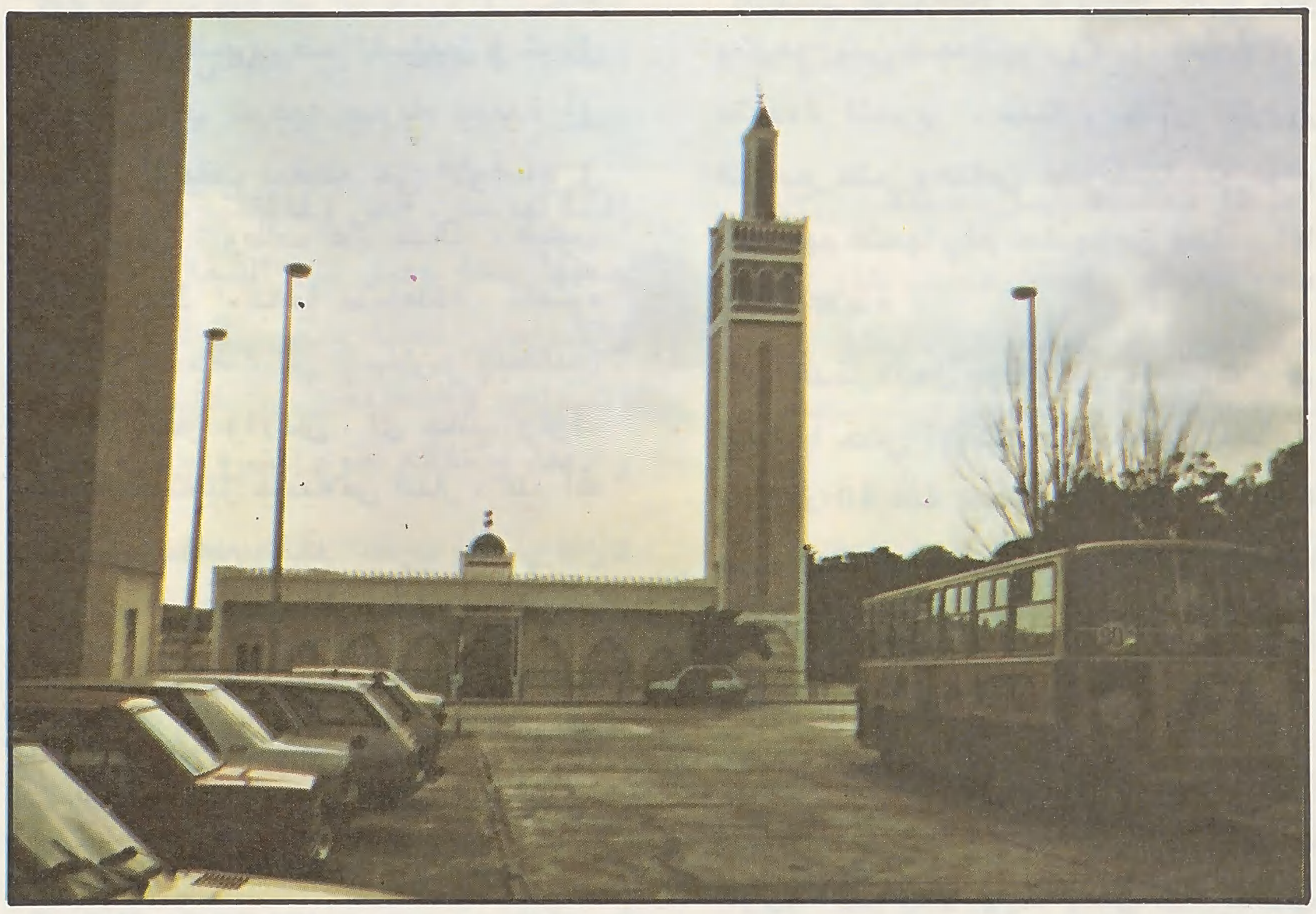

■ مسجد سيدي مبارك وإلى جانبه مدرسة تحفيظ القرآن الكريم ■

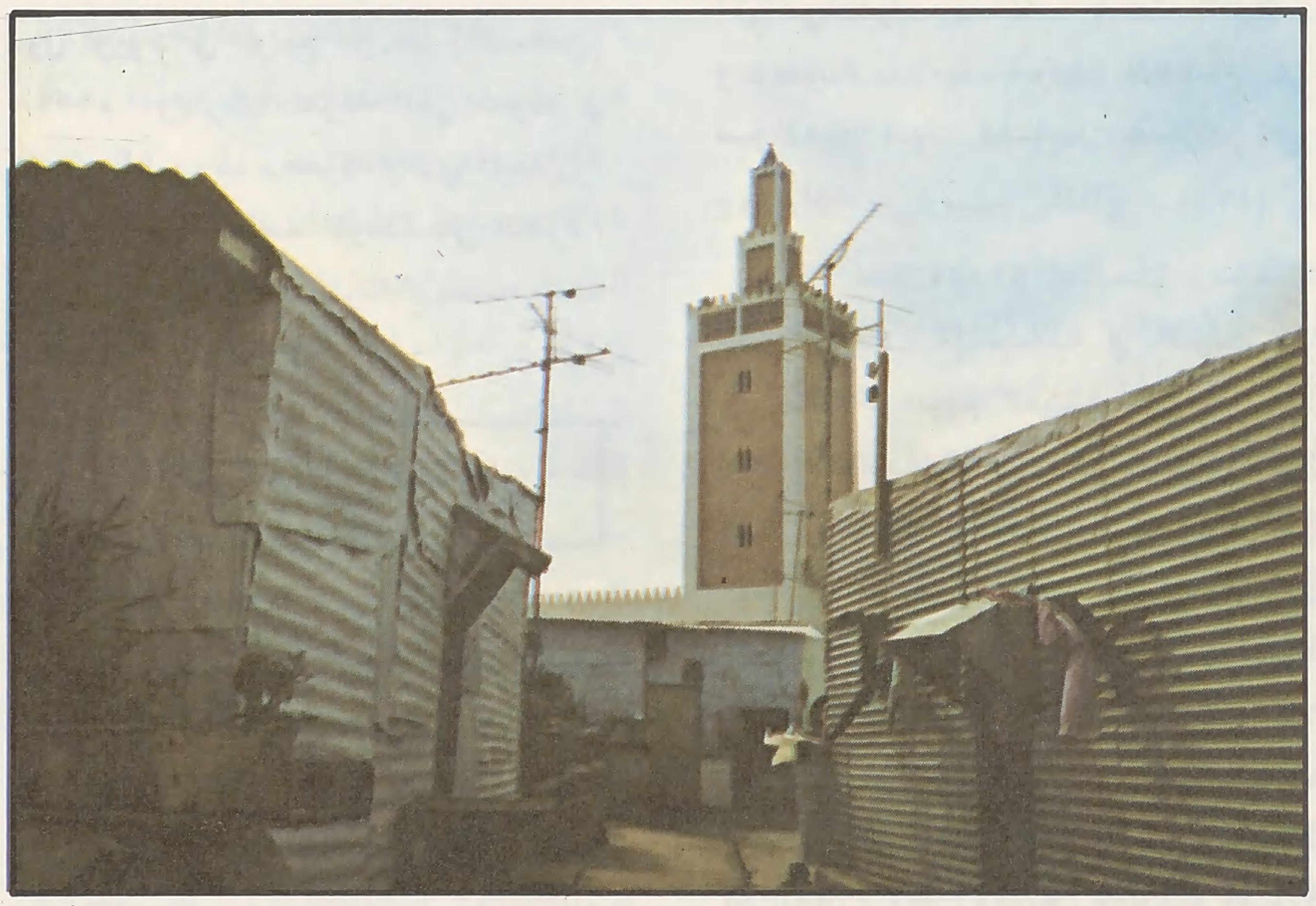

■ حي المسلمين في سبتة حيث الفقر والبؤس والمرض والمعاناة ■

■ مدخل المسجد الصغير في حي المسلمين .. « البرنشيبي » ■

■ السعي لجمع العاملين للإسلام وتوحيد كلمتهم ، ووضع مناهج ووسائل للتربية تناسب الجميع ، كما نهيب بالعاملين للإسلام في إسبانيا نفسها وفي المغرب أن يُولُوا إخوانهم الخاضعين للسيطرة الاستعمارية في « سبتة » و « مليلة » عناية خاصة ، ويوثقوا معهم الصلات ، ويمدوهم بما يستطيعون من معونات مادية ومعنوية وبما يجعلهم يتغلبون به على معاناتهم والخروج منها بأمان واطمئنان ...] .

محمية إسبانية

منذ أن أعلنت الملكة « إيزابلا » - التي عملت على إخراج المسلمين من الأندلس كلها وحققت ذلك عملياً عام ١٤٩٢م - في وصيتها لرجال الدين « الكنيسة » رغبتها القوية في أن يعملوا بحماسة تامة على نشر « الإيمان الصحيح » ! بين سكان شمالي أفريقيا ، والإسبان لا ينظرون إلى الثغور التي احتلوها وسيطروا عليها في المغرب منذ أواخر القرن الخامس عشر الميلادي على أنها مستعمرات وأراضٍ ليست لهم ، ولكنهم يعتبرونها امتداداً للأراضي الإسبانية تحت البحر !! فمدينة « مليلة » تدار من « ملقة » ومدينة « سبتة » تدار من « قادس » وهكذا ...

ولم تهدأ مقاومة المسلمين للإسبان يوماً من الأيام ؛ وكان من أشهر الذين قادوا المقاومة ضد الإسبان الأمير « محمد عبد الكريم الخَطّابي » رحمه الله الذي حقق عليهم انتصارات باهرة ، ولولا تعاون الفرنسيين مع الإسبان ضده لكان مجرى الأحداث قد تغير ، ولكنه قدر الله عز وجل ...

عندما حصل المغرب على استقلاله عن فرنسا عام ١٩٥٦م . طالب باسترداد أراضيه التي تحتلها إسبانيا فاعلنت الأخيرة تمسكها بفرض حمايتها على المناطق التي تشملها الاتفاقية الفرنسية الإسبانية الموقعة بينهما عام ١٩١٢م [معاهدة الحماية على المغرب ، وتقاسم الدولتين لأراضيه] واحتجت كذلك لبقائها في مدينتي « سبتة » و « مليلة » بأنها عندما استولت عليهما لم تكن المملكة المغربية قد قامت بعد ، فالأسرة العلوية الحاكمة في المغرب الآن جاءت إلى الحكم منذ ثلاثة قرون !!

وبعد مفاوضات ومناقشات طويلة بين الحكومة المغربية والإسبانية جرت في البرتغال أعادت إسبانيا إلى المغرب منطقة « طرفاية » عام ١٩٥٨م .

وفي عام ١٩٧٥م نظمت المملكة المغربية « المسيرة الخضراء » لاستعادة الصحراء الغربية - « الصحراء الإسبانية » كما سماها المستعمر - ولا يزال الإجماع قائماً على استعادة الثغور المتبقية من الأراضي المغربية الخاضعة للاستعمار الإسباني ... ولقد آن الأوان للمطالبة بإعادة « سبتة » و « مليلة » إلى الوطن الأم المغرب ؛ خاصة وانهما تشكلان امتداداً طبيعياً لأراضيه . وإن حجج إسبانيا في استبقاء سيطرتها عل هذه المنطقة ساقطة من خلال منطقها نفسه ، فهي التي تعتبر منطقة « جبل طارق » التي تسيطر عليها بريطانيا امتداداً طبيعياً للأراضي الإسبانية وتعمل جاهدة لاستعادتها وإخراج البريطانيين منها ... فكيف ترفض المنطق نفسه بالنسبة للمنطقة التي تستعمرها من أراضي المغرب ، الا تشكل هذه المنطقة امتداداً طبيعياً أيضاً للأراضي المغربية ؟!...

تطور جديد

في الثالث عشر من شهر تشرين الثاني الماضي (نوفمبر) رفع النائب الهولندي « توم فرينكنغ » تقريراً إلى حلف الأطلسي ، طرح فيه علناً : إعادة جبل طارق إلى إسبانيا مقابل إعادة « سبتة » و « مليلة » إلى المغرب ...

كما أعلن الحاكم العسكري الإسباني لهذه المنطقة انه من غير الممكن عسكرياً الاحتفاظ بالجيبين إذا قرر المغرب استعادتهما بالطرق العسكرية على غرار ما فعلته الهند مع غوا ، أو ما حاولت الأرجنتين أن تفعله مع جزر المالوين ...

وبالرغم من أنه فقد منصبه بسبب هذا التصريح ، إلّا أن حركة هجرة واسعة بدات من هذين الجيبين باتجاه البر الإسباني ، فكل من يملك مالاً هاجر فعلاً ، أو هو في طريقه إلى الهجرة ، ويبدو للإسبان الذين يسكنون هذه المنطقة ان المستقبل لم يعد مضموناً ، وان تحولاً في الخريطة السياسية والعسكرية يمكن أن يحدث على المدى المنظور ...

المراجع

(١) دائرة المعارف الإسلامية المترجمة .
(٢) معجم البلدان : لياقوت الحموي .
(٣) المغرب العربي الكبير في العصر الحديث : للدكتور شوقي الجمل .
(٤) تاريخ المغرب لـ (روم لاندرو) ترجمة نقولا زيادة .
(٥) مجلة الحوادث اللبنانية .

ندوات ومؤتمرات

سيناء

هدف الطامعين

■■ سيناء أرض إسلامية ، شهدت مسار إبراهيم ، ووحي موسى عليهما السلام ، وكانت طريق الفتح الإسلامي إلى مصر ، وفيها من الآثار ما يعطيها قيمة تاريخية ، فضلاً عما تحتوي من معادن وخامات..

لذلك : كانت هدفاً للطامعين ، خاصة يهود .. فمع استعدادهم لإنشاء دولتهم في فلسطين ، بدأت دراساتهم ومحاولاتهم للسيطرة على سيناء ، وكان للاحتلال البريطاني لمصر ـ ومن ثم لسيناء ـ دور كبير في الإعداد والتمهيد لهذه السيطرة .. فقد قام الاحتلال بأداء رسالة الإمبراطورية البريطانية .. ومن رسالة الإمبراطورية تحقيق ما جاء في التوراة من زعمهم بإقامة دولة في أرض الميعاد !!!

وفي إطار الموسم الثقافي السابع الذي تقيمه إدارة الشؤون الإسلامية برئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر كانت محاضرة الأستاذ : درويش مصطفى الفار ، مدير متحف قطر الوطني تحت عنوان : [سيناء .. هدف الطامعين] ■■

استهل المحاضر كلامه بالآيات الكريمة التي ورد فيها ذكر سيناء .. مثل قوله تعالى :

﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ ﴾ (المؤمنون : ٢٠) .

﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ . وَطُورِ سِينِينَ . وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ (التين : ١ ـ ٣) .

ثم فرّق في البداية بين سيناءين ثنتين وهما : تلك التي جاء الحديث عنها في القرآن الكريم وما قبله من كتاب ، وتلك التي تعرفها الخرائط المعاصرة في الركن الشمالي الشرقي من الأرض المصرية ، وقال : إن العلاقة التاريخية بين سيناء القرآنية ، وتلك الجغرافية امر يحتاج إلى بحث طويل ونقاش كبير بين العلماء ، وهو نقاش لم يبرح قائماً منذ ظهور عيسى عليه السلام ..

ثم اشار إلى أن سبب الارتباط بين سيناء كأرض مقدسة ـ وسيناء الحالية الجغرافية ـ يعود إلى عصر الإمبراطور البيزنطي (جوستنيان) حيث بنى دير (سانت كاترين) في مكانه المعروف حالياً عام (٥٢٧م) واطلق عليه اسم دير (طوسين) ، وذلك بناء على ما وُجد بواد يقال له وادي « المكتّب » ـ بجوار وادي فيران ـ من كتابات ـ ولم تكن قد فُهمت بعد ـ اعتقد الامبراطور ومعاصروه أنها مما كتبه الإسرائيليون أثناء التّيه .

أيـن سينـاء ؟

وفي استعراض المحاضر لآراء الباحثين والمؤرخين في البحث عن سيناء الحقيقية (القرآنية) وذلك في محاولة تحديد الطريق التي سلكها موسى عليه السلام أثناء خروجه أمام فرعون ، ذكر أن بعضهم قال : إن الخروج كان عبر راس خليج السويس ، وقال آخرون : إنه من البحيرة المرّة الكبرى ، وذكروا حيناً آخر أنه كان بين البحر الأبيض المتوسط وسبخة (بحيرة البردويل .. وحمل (الخواجة) « مازار » ـ أستاذ الأديان بالجامعة العبرية بالقدس ـ رأي كل من « بروكْش » (باحث الماني أيام محمد علي باشا) ، و (الميجور) « جارفس » أحد محافظي سيناء فيما بين [١٩٢٣ ـ ١٩٣٦م] في أن الخروج كان من بين البحر الأبيض المتوسط وبحيرة البردويل ، ولم يعلن الإسرائيليون هذا الرأي إلّا بعد عدوان (١٩٥٦م) وذلك بغرض إثبات أن (إيليم) التي ورد ذكرها في التوراة هي « العريش » حالياً ، وأن (رفيديم) التي كانت فيها المعركة بين العمالقة وسيدنا موسى هي (ابو عجيلة) ، وأن (قاديش بَرْنيع) التي تذكرها التوراة هي (العين خديس) عند « القُصَيْمَة » ، وان التيه كان في المنطقة الواقعة بين جبل (الحلال) وجبل (لبن) ، وجبل (الغارة) وجبل (ويلك) .. وهذه أشياء مردود عليها ، رجع عنها الإسرائيليون انفسهم حينما تبين لهم أن منطقة اخرى غير جبل الحلال فيها ماء أرضي مخزون ، فقالوا : إن الخروج والمناجاة والتيه كلها كانت في المنطقة التي فيها الماء الباطني الكثير !!!

ثم يتابع الأستاذ درويش مصطفى الفار تحقيقه ليقول :

يعد راي الباحث (تشارلز بيكر) ـ طبقاً لفهمه ، ولما دلّته عليه كلمات التوراة والإنجيل ـ هو الراي المغاير لهذه الآراء كلها ، فقد ذهب إلى أن المناجاة وتجلي الربّ لموسى ومن ثمّ تيه بني إسرائيل بعد ذلك كان خارج ما نعرفه اليوم ، في الشمال الشرقي لمصر ، وما نسميه جغرافياً شبه جزيرة سيناء ، لكن التيه كان في شمالي الجزيرة العربية ، فيما بين خليجنا هذا ـ الخليج العربي ـ وراس خليج العقبة ..

وقد اعتبر المحاضر هذا الرأي ممكناً ! ثم اضاف : حتى القمة التي نؤمن بأنّ الله تعالى ناجى موسى عليه السلام عليها اختُلف فيها : فالمسلمون ، والأرثوذكس من النصارى يقولون : إنها قمة جبل المناجاة ، بينما الكاثوليك من النصارى يعتقدون انها قمة جبل الصفصافة .. أما اليهود فيروى عنهم ما قاله « مناحيم بيجين » رئيس وزراء إسرائيل السابق حينما دُعِيَ لحضور احتفال ما سمي بمجمَّع الأديان في شبه جزيرة سيناء فرفض أن يذهب وقال : وهل يعرف أحد أين سيناء ؟!!!

خيـوط المؤامـرة

ثم تتبع المحاضر محاولات الطامعين في سيناء فقال : إنها تمثلت في العصر الحديث في تلك الخطط التي وضعها يهود في عام (١٩٠٢م) قبل وعد (بلفور) ، وفي أعقاب مؤتمر « بازل » (١٨٩٧م) ، وكانت هذه الخطط تقضي باستيعاب يهود في شمالي جزيرة سيناء ، وجاء وفد إلى اللورد « كرومر » ،

الأستاذ درويش مصطفى الفار

- غُني بدراسة سيناء تاريخياً وجغرافياً منذ فجر شبابه .
- ولد بالعريش وحصل على البكالوريوس في العلوم من جامعة فؤاد الأول بالقاهرة عام (١٩٥٠م) .
- نال جائزة الدولة التشجيعية في العلوم الجيولوجية ، ووسام الجمهورية ، من بلده مصر .
- شغل منصب مدير المتحف الجيولوجي بالقاهرة .
- قام باكتشافات جيولوجية اقتصادية في سيناء ، كاكتشاف خامات : الحديد ، والنحاس ، والرصاص ، واحجار الزينة ، والرخام ، والفحم ، والحجر الجيري المشع ...
- له عدة مؤلفات بالعربية والإنجليزية والفرنسية .
- يشغل الآن منصب مدير متحف قطر الوطني منذ عام (١٩٧٦م) .

ودرسوا منطقة شمالي سيناء من القنطرة إلى رفح ، ورسموا مخططاً لكيفية ريِّها بماء النيل ..

لكنهم عدلوا عن الفكرة بعد ان نُصحوا بان الاستقرار في شمالي سيناء لا يُمكِّنهم من تحقيق قضية إسرائيل الكبرى كما هي مرسومة على وثائقهم المتداولة ـ خاصة النقود ـ فهذه الوثائق تاخذ الخليج بشرقه إلى (دنقلة) في السودان إلى جزء من ليبيا .. وكان قول من نصحهم يتلخص في ان الاستقرار في سيناء لا يؤهل للانقضاضة التي تحقق حلمهم .. فالانقضاض على سيناء من فلسطين اسهل من الانقضاض على فلسطين من سيناء !

الدور البريطاني ورسالة الإمبراطورية

يقول المحاضر : تابعت بريطانيا تنفيذ المخطط .. فعمَّق الانجليز معرفتهم ، وفهمهم للاراضي الصحراوية المحيطة بمصر ـ زمن الاحتلال ـ وذلك بغية فصل مصر عن جيرانها وانتماءاتها العربية ، فانشؤوا مصلحة تسمى مصلحة الحدود ، يحكمها ضباط بريطانيون ، واقاموا لها فروعاً في محافظات الصحراء الغربية والواحات وجنوبي أسوان ، والبحر الأحمر ، وشبه جزيرة سيناء ، وكان محظوراً على المصريين دخول منطقة خليج العقبة على الخصوص ، وكان ذلك بصورة غير معلنة ، ولم تعد أعمال المساحة المصرية تتم في خليج العقبة من قبل الحرب العالمية الاولى .

ثم يوضح الأستاذ درويش كيف مهَّد المحتل البريطاني لاحتلال فلسطين من خلال احتلاله لسيناء ، فيروي انه في عام (١٨٦٥م) تكونت لجنة لدراسة فلسطين ، وراسها أحد الجيولوجيين ـ وكان ايرلندياً ـ ويدعى السير (إدوارد هالت) ، وفي الوقت الذي كان يبحث فيه سيناء قبل الاحتلال البريطاني وبعده قليلاً ، عمل معه ضابط من سلاح المهندسين في الجيش البريطاني (١٨٨٣م) هو الرائد (هارولد كِتْشنر) وتدرج هذا الضابط حتى وصل إلى منصب رئيس هيئة أركان حرب الإمبراطورية العظمى .. وقتل في (١٩١٦م) فلم يحضر نهاية الحرب العالمية الاولى ، لكنه كان قد حرَّك الجيش البريطاني ـ الذي احتل فلسطين ـ عبر قناة السويس ، وعبر أرض سيناء ، وذلك تادية لرسالة الإمبراطورية التي تهدف إلى تحقيق ما هو مزعوم في التوراة ، وفيما يعتقدونه من إقامة دولة ليهود في أرض الميعاد !

جغرافية سيناء

اما جغرافية سيناء فهي كما ذكر المحاضر تقارب في مساحتها واحداً وستين الف كيلو متر مربع ، وكانت تنقسم قديماً إلى ثلاثة أقاليم هي : (الجفار ، التيه ، طور سيناء) وجاءت تسميتها بسيناء بعد الاحتلال البريطاني على يد المخابرات البريطانية .

تاريخ سيناء

ذكر المحاضر انه قد ثبت للباحثين الذين تصدّوا للدراسات الأركيولوجية في شبه جزيرة سيناء ـ وكان ذلك للأسف إبَّان الاحتلال الإسرائيلي في ١٩٦٧م ـ انها اقدم مدينة في تاريخ مصر على الإطلاق .. فقبل مَنْف والهرم .. كانت مدينة في وسط شبه جزيرة سيناء يرجع تاريخها فيما اثبته المؤرخون من غير العرب إلى العصر الحجري القديم (البيوليتي) وله اكثر من خمسة وعشرين الف سنة .

وقد اكتشفت في عام (١٨٧٢م) حفائر للملك « رمسيس الثالث » يحيِّي ويقدم القربان لإلهه الفيروز والنحاس (حتحور) التي تقبع الآن ـ فيما لو كانت لم تنتقل ـ في معبد يسمى معبد (سرابيط الخادم) وهو إلى الشرق من « أبو زنيمة » ببضعة كيلو مترات .

واهتم المحاضر بسيناء في عصر الفراعنة وتساءل عن كيفية تسيير الجيوش الفرعونية بعرباتها المعروفة في سيناء حتى وصلوا للفرات وحقق ذلك بنفسه ، لم يذكر شيئاً في محاضرته عن سيناء في عهد الفتح الإسلامي وعبور عمرو بن العاص رضي الله عنه لها ، ولم يهتم مثلاً بتحقيق كيفية عبور القائد المسلم قطز لسيناء ـ في ظل الرمال والكثبان الرملية ـ ليقاتل التتار في عين جالوت !

جيولوجية سيناء

ذكر الأستاذ درويش مصطفى الفار أن سيناء هي منجم مصر ، ففيها أهم مواطن البترول ، والغاز ، وفيها احتمالات لا تزال قائمة لوجود للنحاس والمنجنيز والحديد والفوسفات ، كما أن هناك رواسب لم ينشر عنها الكثير من البحث العلمي مثل : كبريتات الصوديوم ، والبونتونايت وفيها الرمال السوداء على شاطىء البحر الأبيض المتوسط بين بور فؤاد ورفح ، والجبس واحتمالاته كثيرة ، وحجر الخفخاف ، وانواع الرمال الصالحة لصناعة الزجاج ، وانواع الكاولين الصالحة لصناعة الخزف والصيني ، وكميات لا تحصى من الخامات الصالحة لصناعة الأسمنت ..

واشار إلى ان الإسرائيليين على ما يبدو قد وصلوا إلى الطبقات الحاملة للفحم المنتمية إلى العصر الجوروي في أعلاه ، وفي أوسطه ، ولكن احداً لم يعثر بعد على أي تقرير مكتوب عن طبيعة هذه التكوينات الفحمية التي لو حدث أن الظن بها صحيح ، فسيرتفع احتياطي جبل المغارة من خمسين مليون طن ـ كما حسبناه (سنة ١٩٦٢م) ـ إلى عدة مئات من ملايين الأطنان الاخرى .

وفي نهاية المحاضرة أكَّد المحاضر على أنه لا يتناول سيناء ومحاولات الطامعين فيها من هدف إقليمي ، بل من منطلق جغرافي .. ثم دعا إلى زيارة سيناء وتعميرها هي والمناطق العربية المحتاجة إلى تعمير .. ثم قال :

إن كل الشعارات والعناوين باطلة .. وإلى زوال .. ولن يُخرج هذه الأمة من وهدتها ويوقظها من ثباتها إلَّا أن تؤمن مرة أخرى بان لا إلـه إلَّا الله ، وأنَّ محمداً عبده ورسوله تظلها راية القرآن من اقصى مشرقها إلى مغربها .

■ سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني امير دولة قطر في افتتاح المبنى الدائم للجامعة : أمتنا العربية والإسلامية : كانت أول أمة حملت أشرف رسالة .. رسالة الدعوة للتزود بالعلم وتكريم العلماء واعتناق أسمى القيم الإنسانية وأرفع المبادىء الفكرية والاجتماعية والأخلاقية . ■

افتتاح المبنى الدائم لجامعة قطر

دور الجامعات في المجتمع الإسلامي

بين الحفاظ على المقوّمات وتحقيق المعاصرة

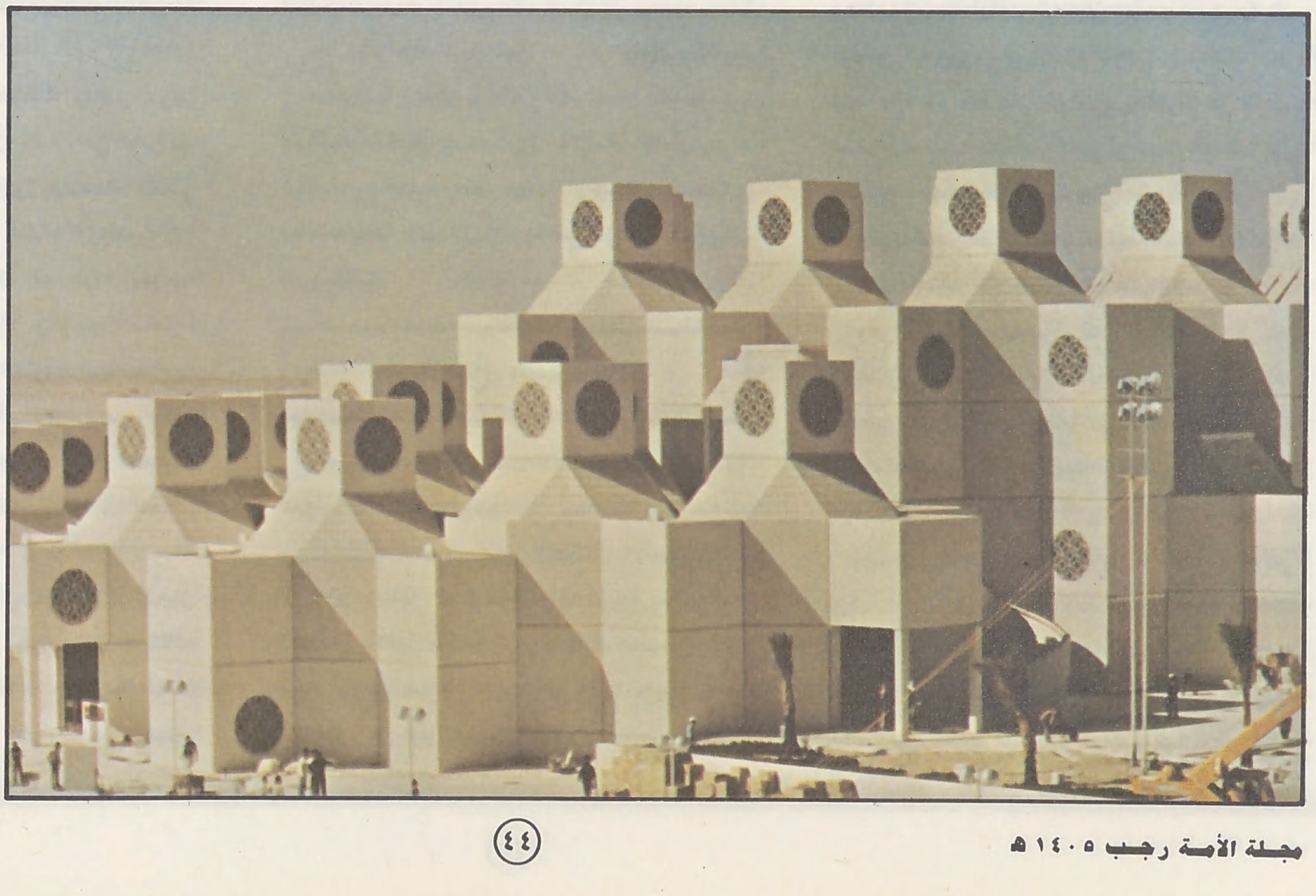

■ مبنى جامعة قطر يتميز بعناصر معمارية خاصة ، ويستمد خصائصه الأساسية من فن العمارة الإسلامية ، إلى جانب الحداثة والانسجام مع البيئة القطرية . ■

■ الضيوف وهيئة التدريس وطلبة الجامعة ؛ في حفل افتتاح مبنى جامعة قطر ■

■■ يؤكد الفكر الإسلامي ـ في موقفه من العمل الحضاري ـ على القيم الروحية والجوانب الاخلاقية بالقدر نفسه الذي يركز فيه على دعوة الإنسان المسلم إلى السعي للكشف عن نواميس الكون وطاقاته المذخورة واعتمادها ، والتحكم فيها ، واستخدامها لتسهيل سبل الحياة الطيبة على الأرض .. وهو بذلك لا يفرق بين البحث عن القوانين والأسباب والبحث عن المعاني والغايات ، ولا بين القوة التي يوفرها العلم للسيطرة على الأشياء وبين وجوب استعمالها لمرضاة الله تعالى وفي سبيله .. وقد يؤصل هذا المعنى عند المفكر المسلم حقيقة أن كلمة « العلم » بتصريفاتها المختلفة وردت في القرآن الكريم في عدد من الآيات جاوز السبعمائة والخمسين ، وأنها وردت كمصطلح على (الدين) نفسه الذي علّمه الله تعالى أنبياءه ـ عليهم السلام ـ وكمصطلح على النواميس التي يسيّر الله تعالى بها ملكوته ، وكإشارة إلى القيم الدينية التي نزلت من السماء في مقابلة الأهواء البشرية ..

ولقد انعكس هذا التوحُّد بين قيم الروح وقيمة المادة عبر مسيرة الحضارة الإسلامية ؛ فانجزت وابتكرت الكثير ، ولم تهمل جانباً من الجوانب المرتبطة بخلافة الإنسان على الأرض ودوره الحضاري في العالم .. ■■

وكان مفهوم التوحد هذا بمثابة منهج جديد في البحث يقوم على التجريب والاختبار وينبع من مورد إيماني واحد ..

ولأول مرة في التاريخ الإنساني ؛ لم يعد الفصل جائزاً بين التفكير النظري والتطبيقات العملية ، وما من أحد جسَّد هذا المزج كالعلماء المسلمين من أمثال : جابر بن حيَّان في الكيمياء ، والكندي في البصريات وإنتاج الفولاذ ، والرازي وابن سينا في الطب ، والبيروني وابن الهيثم في الفيزياء .. هذا بينما كان التخلف يسود المجتمعات الأوروبية خلال العصور الوسطى المظلمة ، عندما كانت الكنيسة ترى ـ بفكرها العقيم ـ أن النظرية أو التجربة العلمية المتطورة زندقة وأن أصحابها كفرة ، تحاكمهم وتقضي بإعدامهم ..

ولم يكن في وسع العلماء هناك إلَّا الصدام مع الكنيسة والانفصال بكتبهم وأوراقهم ومعاملهم عنها .. وحققوا بذلك إنجازات علمية كانت مقدمة للثورة الصناعية ؛ غير أن ذلك قام على أسس مادية بحتة بحيث افتقد المعنى والغاية .. فالعلم يهدف إلى العلم ذاته ، والتقنية غايتها التقنية ، وضاع مفهوم التسامي وحصرت الحياة في الضرورة والصدفة ـ كما يدَّعي علماء الأحياء ـ أو في عاطفة لا طائل من ورائها ... وفي الحقيقة ، ليس هناك من حضارة أغفلت التساؤل عن معنى الحياة مثلما هو الشأن بالنسبة للحضارة الغربية .. بحيث أصبح من الصعب أن نسميه تقدماً ذلك المسار الذي سلكته ..

أما عن المسلمين ، فقد استمر عطاؤهم الحضاري طالما كان الفكر الإسلامي يقود مسيرتهم ، ولكن عندما انفصل الجامع عن الجامعة ، وغابت الرؤية الإسلامية عن المراكز العلمية ، لم تعد الغاية واضحة وافتقد المسلمون منهجيتهم في البحث والتجريب والتطوير والإبداع .. وارتبطوا بالأنموذج الغربي للمؤسسات العلمية والتعليمية الحديثة تستعيره شكلاً ومضموناً ومقررات ومناهج ولغة تدريس .. وكانت النتيجة أن معظم هذه المؤسسات لم تعد قادرة على الارتباط بمجتمعاتها الإسلامية لفهم حاجاتها والاستجابة لها ...

محور القضية

والسؤال المطروح هنا هو :

كيف يمكن للجامعات في المجتمع الإسلامي أن تؤدي دورها في الحفاظ على المقومات ، بينما تقوم ـ في الوقت نفسه ـ بتحقيق المعاصرة ؟

إن الإجابة على هذا السؤال لا بد أن تكون شاملة وواضحة غاية الوضوح بالنسبة لمسؤولية الجامعات في المجتمع الإسلامي ، ودورها في الحفاظ على مقوماته ومنطلقاته الإسلامية ، ومسؤوليتها في التعامل مع الأفكار والإنجازات من حولها ، وفي إعداد القيادات الفكرية ، وتحقيق الارتباط الكامل بالمجتمع ؛ استجابة وتأثيراً ، بحيث تنطلق مسيرة التقدم في إطار إسلامي كامل وفي المجالات كافة ..

لقد كانت هذه القضية ـ في الحقيقة ـ المحور الرئيس في خطاب صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ـ أمير دولة قطر ، والرئيس الأعلى لجامعة قطر ـ في الثالث والعشرين من فبراير [شباط] ١٩٨٥م ـ في مناسبة افتتاح المبنى الجديد الدائم للجامعة ـ وفي إطار احتفالات دولة قطر بالذكرى الثالثة عشرة لتسلمه مقاليد الحكم في ٢٢ فبراير [شباط] ١٩٧٢م ـ فقد قال سموه ؛ موجهاً حديثه إلى أبنائه الطلبة :

« إن سبيل أمتنا العربية والإسلامية لإدراك ما تستهدفه من استعادة مكانتها التاريخية بين الأمم هو اللحاق بركب تقدم العلم في عالمنا المعاصر ، ومعلوم أن هذه المكانة إنما ترجع إلى أن أمتنا كانت أول أمة حملت أشرف رسالة ؛ رسالة

افتتاح المبنى الدائم لجامعة قطر

دور الجامعات في المجتمع الإسلامي

الدعوة للتزود بالعلم وتكريم العلماء واعتناق أسمى القيم الإنسانية وأرفع المبادىء الفكرية والاجتماعية والأخلاقية .. ولقد كانت هذه الرسالة ، وستظل ، منهلاً لا ينضب للإسهام في تقدم البشرية .. تلك حقائق مسلّمة يجب أن تكون ماثلة في وجدان شبابنا ليزداد بالاعتداد بها عزماً على المضي قدماً في سبيل ما نصْبوا إليه من تقدم ، وثقة في بلوغ ما ننشده من ارتقاء ..

وإذا كانت تلك المبادىء هي التي مكّنت أمتنا من أن تكون حضارتها أيام عظمتها مشعل الهداية للعالمين : فإن أوجب واجبات شبابنا أن يتخذ من إيمانه العميق بها وتمسكه الوطيد بأهدابها نبراساً ينير له الطريق ، للاستزادة من العلم والإفادة منه ، على أفضل نحو يتيح له الوفاء بواجبه في الإسهام بجهوده النافعة البنّاءة في خدمة وطنه وأمته ، ودرعاً يكفل له القدرة على حماية نفسه ومجتمعه من كل سلوك اجتماعي دخيل منحرف ، ومن محاولات الغزو الثقافي والفكري التي تستهدف أمتنا العربية وقيمنا الإسلامية النبيلة وتقاليدنا الأخلاقية والاجتماعية الرفيعة ... » .

وفي موقع آخر من الخطاب حول رسالة العلم وارتباط مؤسساته بالمجتمع يقول :

[... إن ما نوليه من اهتمام كبير متصل لهذه الجامعة ينبع من اقتناعنا بأن المجتمع السوي هو مجتمع العقل والعلم والخلق والضمير ... ورسالة العلم - في تقديرنا - هي الإسهام في تكوين العقول المبدعة وتزويدها بالعلم الوفير ، وبناء الإنسان على نحو ينمّي فيه فضائل الخلق الكريم والضمير القويم .. ونحن نُعْنى أشد العناية بمساندة ما تبذله الجامعة في هذا السبيل من جهود قيمة مثابرة تستلهم في بذلها مبادىء ديننا الإسلامي الحنيف السامية وتقاليدنا العربية الأصيلة الرفيعة ، وتقوم على أساس من التخطيط العلمي الرصين الكفيل بأن تؤتي هذه الجهود أطيب ما يمكن من الثمار المرجوة.

■ الحاسب الآلي بالجامعة ■

... كلنا يعلم أن المنشود من العلم هو أن ينتفع به من يطلبه ، وينتفع به المجتمع الذي يعيش فيه - والإنسانية جمعاء - ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .. **والعلم طريق يُسلك وليس غاية تُستهدف في حد ذاته ، لأنه إذا كان له أول فليس له آخر ، وليس أدلّ على هذه الحقيقة مما يشهده عالمنا من صور رائعة لتطور العلم حالياً ومن مؤشرات لاطراد تقدمه مستقبلاً .. ومن المسلمات أنه بقدر ما تتزود به الأمم من العلم تتهيأ لها سبل الارتقاء ...]** .

الشعار .. والتطبيق

كان شعار جامعة قطر هادياً لخطواتها الأولى ، عندما بدأت الدراسة بها اعتباراً من العام الجامعي ١٩٧٣ - ١٩٧٤م : ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ .

وذلك في مقرها المؤقت الذي اتفق على تطوير مبانيه ، وتأثيثه وتجهيزه ليتناسب مع الظروف الجديدة ، غير أن العنصر الهام هنا هو المفهوم المتطور الذي بدأت به الدراسة ، في أول كلية تأسست بالجامعة : كلية التربية .. باعتبار أنها ليست مجرد كلية للمعلمين ، وإنما هي مرحلة من تعليم جامعي ضروري للمجتمع الإسلامي في قطر ، وهي جزء من هذا المجتمع ، مسؤولة أن تلبي احتياجاته وأن تتجاوب معها من ناحية ، وأن تدفعه إلى التقدم والتطور وتؤثر فيه من ناحية أخرى معبرة في كل ذلك عن روح الإسلام ومرتبطة بمنابع التأثير الحضاري لنهضة الأمة ..

وعندما استكملت مقومات الأقسام الأكاديمية في التخصصات العلمية ، وتخصصات الإنسانيات والعلوم الاجتماعية ، وتخصصات الدراسات الإسلامية والشرعية ، قامت كلية العلوم ، وكلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية ، ثم قامت كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ..

وفي شهر يونيو [حزيران] عام ١٩٧٧م تخرجت الدفعة الأولى من جامعة قطر ، وجرى تقييم تجربة السنوات الأربع ، وبدأت في الوقت نفسه دراسة تصميمات مشروع المباني الجامعية الدائمة - على

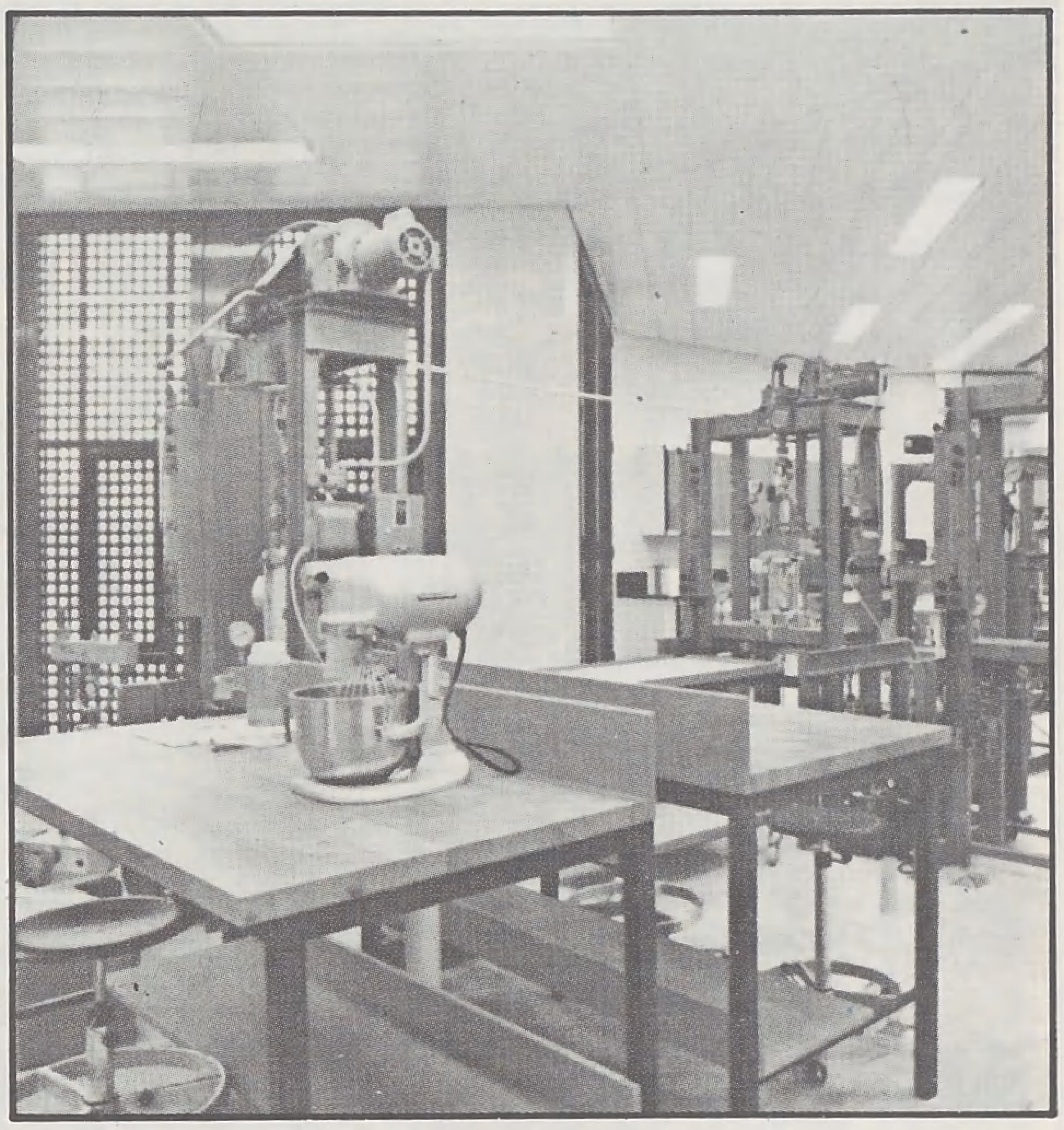

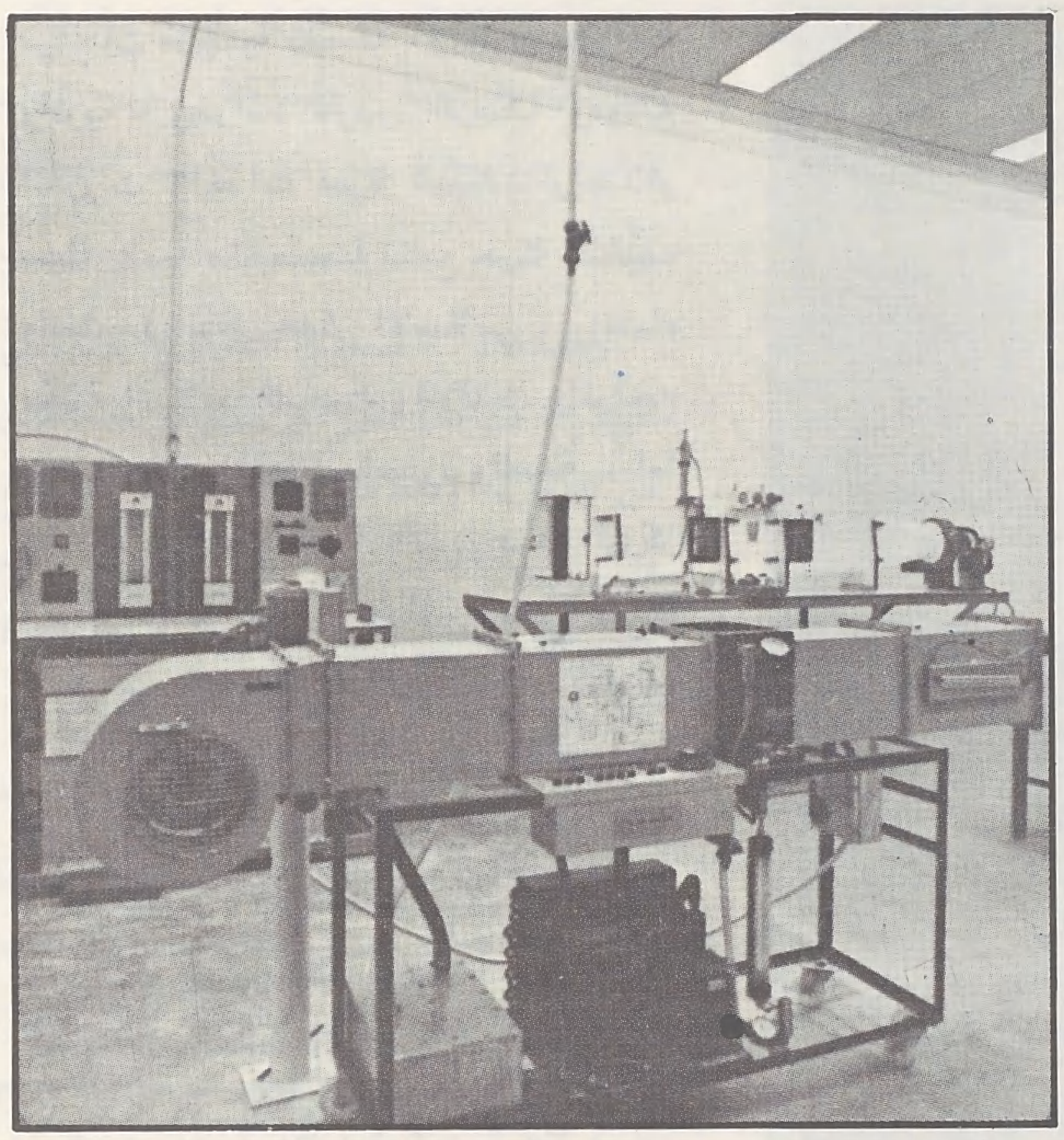

■ التجهيزات والمعامل في كلية الهندسة ـ احدث كليات جامعة قطر . ■

أساس أنها الوعاء والشكل الذي لا تنفصل وظيفته عن مضمونه ، وإذا كانت المباني وحدها لا تصنع الجامعة ، فإن المبنى المناسب يساعدها في أداء رسالتها على وجه أفضل ، إذا هي استكملت عناصرها ومقوماتها ..

وبعد ذلك استكملت الجامعة كليتها الخامسة ـ كلية الهندسة ـ بعد إعداد طويل وتخطيط ، لتكون دفعتها الأولى على أبواب التخرج هذا العام بإذن الله .. هذا بالإضافة إلى قيام العديد من التخصصات والشُعب التي تعتبر في جامعات أخرى كليات قائمة بذاتها مثل : **التربية الرياضية ـ والاقتصاد المنزلي ـ والخدمة الاجتماعية** .. بالإضافة إلى التخصصات الفرعية مثل : **الصحافة ، والتخطيط ، والوثائق والمكتبات ، وبعض مراحل الدراسات العليا** ..

هذا وتستكمل الجامعة خطتها لإنشاء كلية الإدارة والاقتصاد ، تليها دراسات متخصصة في الإعلام ..

ولقد خرَّجت جامعة قطر أكثر من ثلاثة آلاف خريج وخريجة من مختلف التخصصات ، والعبرة ليست دائماً بالكم ، فالشهادة الجامعية ليست مجرد وثيقة أكاديمية ، وإنما لها أيضاً بعدها الحضاري ، الذي يتمثل في إبراز الهوية ومقوماتها وانتمائها للمجتمع الإسلامي من ناحية ، والمشاركة الفاعلة في تحقيق المعاصرة ـ من ناحية أخرى ..

ولهذا فإن الجامعة لم تقف عند ممارسة النشاطات التعليمية والبحثية الأساسية ، وإنما استكملت مهمتها بتأسيس أربعة مراكز للبحوث العلمية .. هي :

* **مركز البحوث العلمية والتطبيقية .**
* **مركز البحوث التربوية .**
* **مركز الوثائق والدراسات الإنسانية .**
* **مركز بحوث السُنة والسيرة النبوية .**

وكذلك مشروع دراسات التنمية لأقطار الخليج العربية ..

وتقوم هذه المراكز بالدراسات والبحوث التي تلبي احتياجات محددة مطروحة في المجتمع في مجالات نشاطها ، وتقدم حلولاً لمشكلات قائمة بالفعل ، وينعكس ذلك على خطط التنمية بمردود إيجابي ..

ويباشر العمل في هذه المراكز أعضاء هيئة التدريس والخبراء من داخل الجامعة وخارجها ، ومن المؤسسات والأجهزة الحكومية صاحبة العلاقة ، كما يستعان بخبراء من الخارج ، إذا اقتضى الأمر ..

ومن المعروف أن إنشاء مركز بحوث السنة والسيرة قد جاء تلبية لتوصية المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنَّة النبوية المنعقد بالدوحة في الفترة من ٥ ـ ١٠ من المحرم عام ١٤٠٠هـ ـ ويختص بالدراسات والبحوث المتعلقة بالسيرة النبوية والسنة الشريفة وتحقيقها ، باعتبارها المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي .. وذلك بهدف إعداد موسوعة للحديث النبوي ، تضم الأحاديث الصحاح محققة ومبوبة ومفهرسة بمنهج عصري ، والإسهام في تحقيق المصادر المهمة للسيرة والسنة ونشرها ، وإصدار دراسات عصرية حولها بحيث توضح مقاصدها وتسهم في تكوين وعي إسلامي صحيح ، وكذلك متابعة ما ينشر عن السيرة والسنة بأقلام المستشرقين وغيرهم ، للتنويه بالجيد منه ، وللرد على ما فيه من افتراء ، كما يهدف المركز إلى إخراج

افتتاح المبنى الدائم لجامعة قطر

دور الجامعات في المجتمع الإسلامي

دراسات مرجعية مفصلة ، وأخرى جغرافية وأثرية ، وخرائط لأرض الرسالة ومواقع الغزوات وأحداث فترة النبوة ، وإصدار مجلة علمية متخصصة تتابع حركة التأليف والنشر في حقل الفكر الإسلامي ، وإنشاء مكتبة إسلامية للبحوث والمؤلفات والمراجع والمخطوطات المتعلقة بالسيرة والسنة .. أما عن الخطوات العملية التي بدأها المركز لتحقيق بعض هذه الأهداف ، فقد أُجريت - على سبيل المثال - الدراسات لإخراج « **موسوعة الحديث النبوي الشريف** » تتعلق بإمكانية استخدام الحاسب الآلي « الكومبيوتر » في تقنية عمل الموسوعة ، كما طرح على ذوي العلم والدراية من العلماء الفقهاء في العالم الإسلامي منهج المشروع وكراسة لاستطلاع الرأي ، وتلقى المركز ردود المختصين ، ويتم الآن تجميعها لدراستها من قبل اللجنة المعنية بمشروع الموسوعة - كما سيتم خلال هذا العام [١٤٠٥هـ] إصدار العدد الأول من المجلة العلمية ، ويجري حالياً طباعة كتاب « **المنتقى** » من كتاب « **الترغيب والترهيب** » للمنذري ..

تحقيق المعاصرة

وبهذه المناسبة نتناول بعض مرافق جامعة قطر ووسائلها ، التي تساعدها في أداء رسالتها بتحقيق المعاصرة .. وأهمها : **« مركز الحاسب الآلي » الذي بدأ الاهتمام بتقنيته وتطبيقاته منذ فترة مبكرة من العام الجامعي ١٩٧٨/ ١٩٧٩م حينما قامت الجامعة باقتناء سبعة أجهزة « ميكرو كمبيوتر » من طراز** (APPLE 2) **، وجهاز آخر من طراز** (M.V.P.2200) وذلك لتلبية احتياجات الجامعة عن طريق تقنية الحاسب الآلي في مجالات التدريس والمقررات الجامعية والبحوث وشؤون إدارات الجامعة ..

■ المبنى الجامعي يوفر المناخ للبحث والدرس كما يفسح المجال للترويح والترفيه ■

ويجري حالياً تنفيذ خطة للتوسع وتطوير العمل في المركز على مرحلتين على ضوء خبرتها حتى الآن ، تتضمن المرحلة الثانية منها جدولاً زمنياً لترتيبات نقل الحاسب الآلي إلى مبناه الجديد الدائم ، والمصمم خصيصاً لذلك - وتزمع الجامعة إضافة جهاز رئيس له قوة عالية وقدرة تخزين كبيرة - حتى يتسنى تركيب عدد (٢٥٠) من « الطرفيات/ الميكرو كمبيوتر » الشخصية ، بالإضافة إلى شبكة اتصالات داخلية بين الحاسبات جميعاً مركزية كانت أم فرعية ..

كما تقوم الجامعة بتطوير نظام العمل بالإدارات والمكاتب ، عن طريق إدخال نظام ميكنة أعمال المكاتب ومعالجة النصوص وجداول الأعمال والمذكرات الإلكترونية والبريد والمكاتبات والتقنيات الأخرى لميكنة المكاتب مثل نقل الصوت والصورة ...

ويقوم مركز الحاسب الآلي بدراسة وتصميم أنظمة العمل في الإدارات المختلفة مثل إدارة المكتبات فيما يتعلق بنظام الاستعارة ونظام شراء الكتب والاشتراك في الدوريات - كما يتعاون مع أجهزة الدولة

■ وحدة زخرفية من الطراز الإسلامي ـ من العناصر المعمارية التي تؤدي وظيفة التحكم في كثافة الضوء وحدّته ■

المختلفة بتقديم الخبرة ، وتسهيل خدمات الحاسب الآلي ـ وعلى سبيل المثال ، فقد ساهم المركز في بحث « ظاهرة تعاطي المخدرات » ، وذلك بالتعاون مع وحدة مركز البحوث الاجتماعية بالجامعة ، وإدارة البحث الجنائي ، ومستشفى حمد العام ، كما يتعاون المركز مع هذا المستشفى في مجال إجراء الأبحاث الطبية ، ويقدم المشورة الفنية لوزارة الزراعة والصناعة في اختيار أنظمة حاسب آلي مناسبة ، ولوزارة التربية والتعليم لإدخال الحاسب الآلي في المدارس .. ويقوم بتنظيم دورات تدريبية أولية لعدد من موظفي إدارات الجامعة والوزارات المعنية ...

المبدأ .. والتعبير

ولعل أهم مرافق جامعة قطر ، هو مشروع المباني الدائمة ، التي صممت لقيام مدينة جامعية متكاملة ، تتوفر فيها مقومات الجامعة الحديثة ـ وتُستكمل على مراحل زمنية متتابعة ، وقد تم تنفيذ المرحلة الأولى ..

ويستمد التصميم المعماري للمباني الجديدة لجامعة قطر من خطوط وخصائص فن العمارة الإسلامية التقليدية من ناحية ، ومن البيئة المحلية من ناحية أخرى ـ وذلك على نحو يجمع بين الأصالة والمعاصرة وإمكانية الحركة والأداء الوظيفي ..

ومن أبرز خصائص هذا التصميم أنه يأخذ ببعض الأفكار والأساليب المستمدة من البيئة ، حيث جرى استخدام أسلوب التهوية الطبيعية عن طريق فتحات الهواء العلوية والجانبية ، مع تحديث نظام التحكم فيها بما يحقق فاعليتها في تحريك الهواء وتقليل نسبة الرطوبة داخل المباني ويتحكم في كثافة الضوء وحدّته ، بالإضافة إلى استخدام الإضاءة العلوية المتجانسة وذلك بعمل نوافذ في أسقف القاعات الكبيرة ، كما هو مستعمل في كثير من المباني ذات الطراز الإسلامي ..

وبصفة عامة ، فإن النظرة إلى المبنى الجامعي إنما تأتي في ضوء تحقيقه لما هو مطلوب منه .. من إفساح المجال للنشاطات الجامعية المختلفة ، باعتبار أن الجامعة مجتمع إنساني ، يمارس البحث والدرس ، كما يحتاج للترويح والرياضة والتأمل والسكينة .

وبعد ... فإذا كانت المبادىء والأفكار الثابتة ، التي تحكم العمل في جامعة قطر ، قد جرى التعبير عنها في صورة نظم وبرامج وممارسات وأنشطة وطرق تدريس وتقييم ، بل ومرافق وتصميمات للمباني ، فإن هذه الصور تبقى دائماً في حاجة إلى إعادة الدراسة والنظر للتأكد من صدق تعبيرها بتحقيق الغايات والأهداف التي صيغت من أجلها .. وبالله التوفيق .

بقلم : الدكتور غازي محمد الحاجم

■■ اعتاد بعض الناس شراء بعض الأدوية من الصيدلية مباشرة ودون استشارة طبيب لاستعمالها لأغراض طبية ، مثل : الإسهال ، والتهاب العيون ، والصداع .

إن هذه الطريقة من المعالجة في كثير من الحالات ليست صائبة ، لأنها طريقة عشوائية وليست علمية ، كما أنها ليست طبية لأنها حدثت دون استشارة الطبيب المختص ؛ إن موضوعنا لا ينطبق على هذا النوع من الاستعمال للأدوية ، ولكنه ينحصر في استعمالات الأدوية للأغراض غير الطبية ، لذلك يمكن تعريف الاستعمال غير الطبي للأدوية بإيجاز : بأنه الاستعمال المستمر أو المتقطع للأدوية للأغراض غير الطبية من قبل الشخص نفسه وبرغبته الخاصة لشعوره بتحقيق راحته ، أو لرغبته بمعرفة تأثير هذه الأدوية والاطلاع عليها بنفسه . ■■

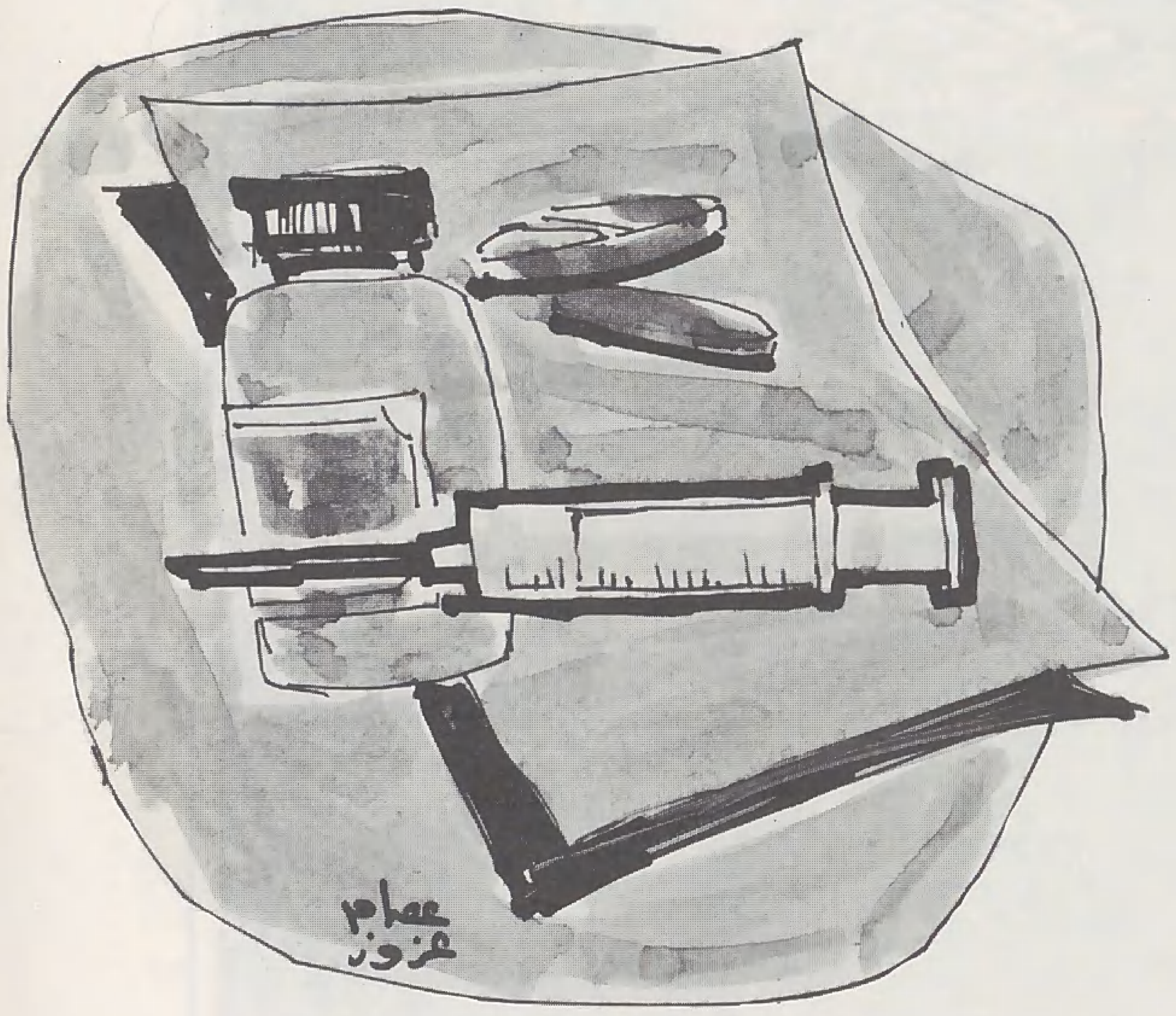

الاستعمال غير الطِّبيِّ للأدوية

الاستعمال غير الطبي للأدوية يمكن أن يشمل استعمال بعض الأدوية بغرض الترفيه ، كما هو الحال في استعمال الكوكائين والكحوليّات في المناسبات العامة والاحتفالات الخاصة ، وكذلك تشمل استعمالات بعض الأدوية في مواسم خاصة ، كما هو الحال في استعمال الطلاب « للأمفتامين » أثناء الامتحانات ، وكذلك سائقي العربات أيضاً لمساعدتهم على الاستمرارية بالعمل والسهر ليلاً ؛ إضافة إلى ذلك فإنه يشمل أيضاً رغبة بعض الناس ، وخاصة الشباب منهم ، بتجربة بعض الأدوية ، خاصة المُهَلْوِسة منها ، والاطلاع بأنفسهم على صحة ما قرؤوه أو سمعوه عن تأثيراتها ، كما أنه يشمل بعض الأشخاص الذين عندهم مشاكل اجتماعية مستمرة حيث يحاولون الهرب من الواقع المر الذي يعيشونه باندفاعهم لاستعمال المخدرات رغبة منهم بالشعور بالانتقال إلى محيط آخر جديد .

الأدوية المستعملة للأغراض غير الطبية

إن اهم الأدوية الشائعة الاستعمال للأغراض غير الطبية هي :

١ ــ المخدرات Narcotics :
وهي مجموعة متعددة ، مختلفة من الأدوية التي تثبط فاعلية الجهاز العصبي المركزي وتشمل :

(أ) المنومات : Hypnotics مثل مجموعة الباربيتيوريتات : (Barbiturates) .

(ب) المهدئات : Sedatives مثل مجموعة البنزوديازبينات : (Benzodiuzepines) والميبروبميت (meprobamate) .

(ج) المسكنات المخدرة : Narcotic analgesics مثل الأفيون : (Opium) والمورفين : (morphin) والهيرووين (Heroen) ومشتقاتهم .

(د) الكحوليات : (Alcohols) وتشمل الكحول الإيثيلي فقط (Ethylalcohol) .

٢ ــ المنبهات (Stimulants) وتشمل الأمفتامين : (Amphetamine) والكوكائين (Cocaine) .

٣ ــ المُهَلْوِسَات : (Hallucinogens) مثل الحشيش : (Marihuana) والـ(إل . سي . دي) (Lysergicacid diethylamide (L.S.D)) .

والجدير بالذكر أن هذه المجموعة ليس لها تركيب كيماوي مشترك .

٤ ــ النيكوتين (أو التدخين) :

إن اغلب هذه الأدوية تتصف بصفات عامة مشتركة وهذه الصفات هي :

(١) لها تاثير واضح على الجهاز العصبي المركزي ، خاصة الدماغ ، فمنها المثبطة ، ومنها المنبهة ، وإن قسماً منها يستعمل طبياً حسب تاثيرها على هذا الجهاز .

(٢) إن الجسم يظهر تحملاً (Tolerance) لهذه الأدوية إذا ما استعملت لفترة ما حسب نوع الدواء ؛ وهذا يعني أن الجرعة يجب أن تزداد بعد فترة من الاستعمال لإحداث التاثير نفسه الذي حدث عندما استعملت لأول مرة من قبل المتعاطي ، وهذه الظاهرة واضحة مع المخدرات : فالشخص الذي اعتاد أن يتناول جرعة واحدة من المنومات لينام ، فإنه سوف يحتاج إلى أكثر من هذه الجرعة لينام بعد فترة ما إذا ما استمر على استعمال المنوم ؛ وكذلك الحال بالنسبة للذي يتناول الخمر ليسكر ، فإنه يحتاج كمية محدودة في البداية ، ولكنه نتيجة الاستمرار في الشرب سوف يحتاج

إلى كمية اكبر ليحدث له السكر ؛ والشيء نفسه يمكن ان يحدث مع المهلوسات والأمفتامين .

(٣) إذا ما ظهرت ظاهرة التحمل في الجسم لأي مخدر فإن الجسم يبدي تحملاً لأي مخدر آخر له التركيب الكيماوي نفسه ، حتى لو استعملت هذه المخدرات الأخيرة من قبل الشخص نفسه لأول مرة ، وهذا النوع من التحمل يسمى التحمل العابر (Cross tolerance) فالشخص الذي يظهر التحمل للهيرووين سوف يظهر تحملاً للمورفين عند استعماله له لأول مرة ، والتحمل العابر لا يظهر بين المخدرات ذات التركيب الكيماوي المتشابه فقط ، بل يظهر بين المخدرات ذات التركيب الكيماوي المختلف ، كالباربيتيوريتات ، والخمور والبنزوديازبينات .

(٤) الاعتماد (Dependence) ظاهرة مرضية خطيرة تظهر على المتعاطي لهذه الأدوية ، وقد يصل إلى حد يصعب علاجه ، ومن ثم ينتهي بالمريض إلى الموت في أكثر الأحوال ؛ إن ظاهرة «الاعتماد» قد تكون نفسية (Psychological dependence) حيث المريض لا يرتاح نفسياً إلّا إذا تناول الدواء ، كما هي الحال مع أغلب المدخنين ، وكذلك مع الأدوية المخدرة إضافة إلى الأدوية المهلوسة ، وقد ينتهي «الاعتماد» النفسي بـ «الاعتماد» الجسماني (Physical dependence) وهو أخطر وضع أو مرض يصل إليه متعاطي هذه الأدوية ، حيث إنه في هذه الحالة يشعر بانه مجبر على أخذ المخدر الذي اعتاد تناوله ، والذي يسبب ظهور هذا المرض الوبيل الذي يصعب علاجه ، والذي قد يؤدي في كثير من الأحيان إلى وفاة المريض .

إن «التحمل» عادة يظهر قبل ظهور «الاعتماد» و « الاعتماد النفسي » يظهر قبل ظهور « الاعتماد الجسماني » .

إن هذه القاعدة يمكن تطبيقها على المخدرات بصورة عامة والحشيش ، ولكن «الاعتماد» يظهر مع الكوكائين والتدخين دون أن يمر المريض بحالة «التحمل» والحال معكوسة مع الـ (إل . سي . دي) .

٥ ــ الاعتماد العابر (Cross dependence) :

يحدث مع هذه الأدوية ، فالمورفين يظهر اعتماداً عابراً مع «الميثادون» الذي هو من مجموعة المورفين نفسها ، والخمر يظهر « اعتماداً عابراً » مع «البنزوديازبينات» وخاصة (كلورديازيبوكسايد Chlordiazepoxide) والباربيتيوريتات تظهر « اعتماداً عابراً » مع بعضها بعضاً ، ومع الخمر ، ومع البنزوديازبينات ، ومما يجدر الإشارة إليه هنا هو أن « الاعتماد الجسماني » من اشد الأخطار او الأمراض التي تظهر على متعاطي هذه الأدوية ، ومن اشدها خطورة هي : اعتماد المسكنات المخدرة ، ويليه اعتماد الخمر ، ومن ثم اعتماد الباربيتيوريتات ؛ يضاف إلى ذلك ان الشخص الذي حصل له « اعتماد جسماني » لاي من هذه الأدوية بعد استعمالها المستمر تظهر عليه مضاعفات مختلفة نتيجة استعمالها ، لذلك يصبح « الشخص المعتمد » مريضاً حقاً لا يمكنه ان يعيش دون هذه الأدوية التي يصبح ـ في النهاية ـ حصوله عليها باي وسيلة ـ قانونية او غير قانونية ـ هدفه الأول في الحياة .

إن وجود وانتشار هؤلاء «المعتَمَدين» من الناس في اي مجتمع يؤدي في النهاية إلى انعدام الأمن والاستقرار فيه لانتشار الرذيلة والجريمة من اجل الحصول على المال الذي يمكنهم بواسطته شراء المخدرات باي ثمن ؛ وفي النهاية فإن الناحية الصحية لهم تتدهور تدريجياً ، ونظراً لصعوبة علاج « الاعتماد الجسماني » فالنتيجة لهؤلاء الناس تكون الموت المحتم إضافة إلى انهم قد يكونون مصدراً للأمراض وانتشار الجريمة في مجتمعهم .

التعود والإدمان والاعتماد

إن اصطلاح التعود (Habituation) أو الإدمان (Addiction) كان شائعاً في الأوساط العلمية وبين عامة الناس نتيجة الاستعمال الكثير للأدوية للأغراض غير الطبية ؛ فالشخص الذي اعتاد استعمال الدواء تكون عنده رغبة أو ميل في تناوله ، وفي حالة عدم توفره يشعر بعدم الراحة النفسية ، أما الإدمان فهو حالة أشد من التعود ، حيث يشعر برغبة شديدة إجبارية في استعمال الدواء ، ولا يمكنه الاستغناء عنه مطلقاً ، وفي حالة عدم توفره يشعر المدمن بحالة من عدم الراحة النفسية التي يعقبها اضطراب جسماني ، تختلف شدته ونوعيته حسب نوعية الدواء المدْمَن عليه ، وكذلك تختلف حسب المدة التي اعتاد المدمن ان يتناول فيها الدواء ، وكذلك بين مدمن وآخر ، وهذه الأعراض التي تظهر إذا ما منع المدمن من تناول الدواء تسمى بالأعراض الانسحابية (Withdrawal syndroms) .

من الصعوبة بمكان وضع حد فاصل بين التعود والإدمان على الأدوية ، لأنه من الصعب التمييز بين الشعور بالرغبة وبين الشعور بالإجبار على تناول الدواء ، كما أن الدواء نفسه قد يسبب التعود في شخص ما بعد الاستعمال المزمن والإدمان في شخص آخر كالخمر مثلاً ؛ إضافة إلى ذلك فإن بعض الأدوية كالنيكوتين (التدخين) لا يمكن معها الفصل بين ظاهرتي التعود والإدمان حيث إن بعض الأشخاص يتخلون عن استعمالها بالرغم من استعمالها المزمن ولسنين طويلة في حين لا يتمكن آخرون من أن يتخلوا عنها تحت اشد المغريات والتحذيرات ، وقد تظهر عليهم الأعراض الانسحابية في حالة منعهم من تناولها ، ولذلك استمر الجدل حول التدخين فيما إذا كان مسبباً للتعود او الإدمان .

ولإزالة الغموض والالتباس بين ظاهرتي التعود والإدمان اعلنت منظمة الصحة العالمية سنة (١٩٦٤م) ان اصطلاح الاعتماد على الأدوية (Drug dependence) سيحل محل كل من اصطلاحي التعود والإدمان ، وان الاعتماد الدوائي يظهر على حالتين ؛ فالحالة الأولى يظهر فيها مع بعض الأدوية ويسمى (الاعتماد النفسي Psychological dependence) وعلى الأغلب فإن « الاعتماد النفسي » تتبعه حالة اشد خطورة مع كثير من الأدوية تسمى الاعتماد الجسماني (Physical dependence) .

إن « الاعتماد النفسي » يكون واضحاً في حالة استعمال المخدرات والمنبهات والمهلوسات والتدخين ؛ اما الاعتماد الجسماني فيظهر وبصورة خطيرة مع المخدرات ، خاصة المسكنات المخدرة ، والخمر ، والمنومات .

إن الأعراض الانسحابية تظهر دوماً بعد « الاعتماد الجسماني » في حالة منع الشخص المعتَمد عن تناول الدواء ، اما (التحمل tolerance) فيظهر عادة قبل « الاعتماد النفسي » كما هي الحال في المخدرات ، والأمفتامين ، وقد يظهر مع الأدوية التي ليس لها تاثير اعتمادي واضح ايضاً مثل الـ (إل . سي . دي) .

أنواع الاعتماد على الأدوية

توجد عدة انواع من الاعتماد الدوائي حسب ما جاء في توصيات منظمة الصحة العالمية حيث إن كل مجموعة من الأدوية لها نوع خاص

الاستعمال غير الطبّي للأدوية

من الاعتماد يتصف بها ، ولذلك صنف حسب ما يلي :

١ ـ نوع المورفين :

وهو أحد الأدوية المسكنة للآلام ، الشائعة الاستعمال طبياً ، بالإضافة إلى الاستعمالات الطبية الأخرى ؛ وإضافة إلى المورفين توجد ادوية أخرى ضمن المجموعة ، وهي الكودايين ، والبِثدين ، وكذلك الهروين ؛ إذا ما استعملت هذه الأدوية ولو لفترة قصيرة فإنها تظهر « التحمل » في الجسم بصورة واضحة إضافة إلى ذلك فإن « الاعتماد النفسي » يكون شديداً ، وكذلك « الاعتماد الجسماني » والذي يظهر بسرعة ، كما تخلف جميع الأدوية لهذه المجموعة تحملاً عابراً ايضاً .

٢ ـ نوع الباربيتيوريتات :

إن « الباربيتيوريتات » مجموعة من الأدوية المنومة والمهدئة ، وهي شائعة الاستعمال في الطب ؛ وإذا ما استعملت لفترة طويلة فإنها تُظهر على المتعاطي «التحمل» وذلك بصورة أقل وضوحاً مما يظهر مع مجموعة «المورفين» . أما ظاهرة « الاعتماد النفسي » فهي شديدة ، وكذلك الحال مع « الاعتماد الجسماني » حيث إن الأخير بالرغم من شدته يظهر ببطء مع الجرع العالية ، كما أن أدوية «الباربيتيوريُتات» تُظهر تحملاً عابراً فيما بينها ، وكذلك مع الأدوية الأخرى ، كالكحول ، والكورال هايدريت ، والبارالديهايد ، والميبروبميت ، والكلورديازيبوكسايد ، والدايزيبام ... إلخ .

٣ ـ نوع الأفيتامين :

وهو دواء منشط ومنبه للجهاز العصبي المركزي ، ومستعمل طبياً ، يظهر التحمل بعد استعماله بصورة مستمرة ، ويظهر على متعاطيه « اعتماد عاطفي » ولكن بدون « اعتماد جسدي » .

٤ ـ نوع الحشيش :

يمثل مجموعة المهلوسات التي ليس لها استعمال طبي في الوقت الحاضر ، حيث إن بعضاً منها يستعمل لإجراء أبحاث طبية للأمراض العقلية حيث يعطى للإنسان أو الحيوان لإحداث حالات مرضية مشابهة للأمراض العقلية لدراسة أسبابها وكيفية علاجها ؛ إنها قد تظهر «تحملاً» على المتعاطي ، إضافة إلى ذلك قد تؤدي إلى ظاهرة « الاعتماد النفسي » ولكن ليس «الجسماني» ، إن افراد هذه المجموعة يختلف بعضها عن بعض كيماوياً .

٥ ـ نوع الكوكائين :

دواء يستعمل طبياً كمخدر موضعي ، وهو الوحيد من المخدرات الموضعية التي تنبه الجهاز العصبي المركزي ، إنه لا يسبب «التحمل» لمتعاطيه مهما طال استعماله له ، ولكنه يسبب « تعوداً نفسياً » واضحاً و « جسمانياً » ضعيفاً جداً .

٦ ـ نوع التبغ :

عند الحديث عن التبغ فإن ذلك يعني التدخين ، والأخير يعني النيكوتين ، احد مكونات التبغ الهامة والرئيسة التي يبلغ عددها (٥٠٠) مركب تقريباً ، والنيكوتين ليس له أي استعمال طبي في الوقت الحاضر ، ولكنه يستعمل كمضاد للحشرات ، وما أكثر هذه المضادات المستعملة ، وعلى نطاق واسع في الوقت الحاضر ؛ إن التدخين (النيكوتين) لا يظهر مقاومة على المدخن ، ولكنه يظهر « اعتماداً نفسياً » قوياً إضافة إلى « الاعتماد الجسماني » .

٧ ـ نوع الكحول :

توجد عدة انواع من الكحول ، والكحول الإيثيلي هو المادة الوحيدة المسكرة التي تصنع وتباع للمستهلكين ؛ عند الحديث عن الكحول ، نعني به « الكحول الاثيثيلي » فقط ، ولا تطلق هذه الكلمة أو الاسم على اي نوع آخر من الكحول .

وُالكحول يُحَضَّر من مواد سكرية موجودة في الفواكه ، كالعنب والتين والرطب والزبيب ، أو في الحبوب ، كالقمح والشعير والذرة ، حيث تقوم بعض الخمائر بتحويل هذه السكريات على اختلاف انواعها إلى « الكحول الإيثيلي » (الكحول) . والخمر هو الشراب الذي يحتوي على نسبة معينة من الكحول ، ونظراً لوجود انواع مختلفة من الخمور التجارية فإن كل نوع من هذه الأشربة يحتوي على نسبة معينة من الكحول حسب طريقة تحضيره ، وحسب مصدره سواء أكان من الحبوب أو الفواكه .

إن الخمر حرمها الإسلام حسب ما جاء في الآيات القرآنية الواضحة : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ (المائدة : ٩٠ ـ ٩١) وكذلك بالأحاديث الصحيحة « كل شراب اسكر فهو حرام » [اخرجه الستة] .

أهم الاستعمالات الطبية للكحول : تعقيم الجلد ، ويوجد مُعَقِّمات كثيرة تستعمل لهذا الغرض .

إن « التحمل » يظهر على شارب الخمر بوضوح إذا ما تعاطاه لفترة طويلة ، إضافة إلى ذلك فإن « التحمل العابر » يظهر على الشخص نفسه مع المهدئات والمنومات ، وكذلك يظهر عليه « التعود النفسي » بشدة ، ومن ثم يظهر « التعود الجسماني » نتيجة استعماله المكثف ولفترة طويلة .

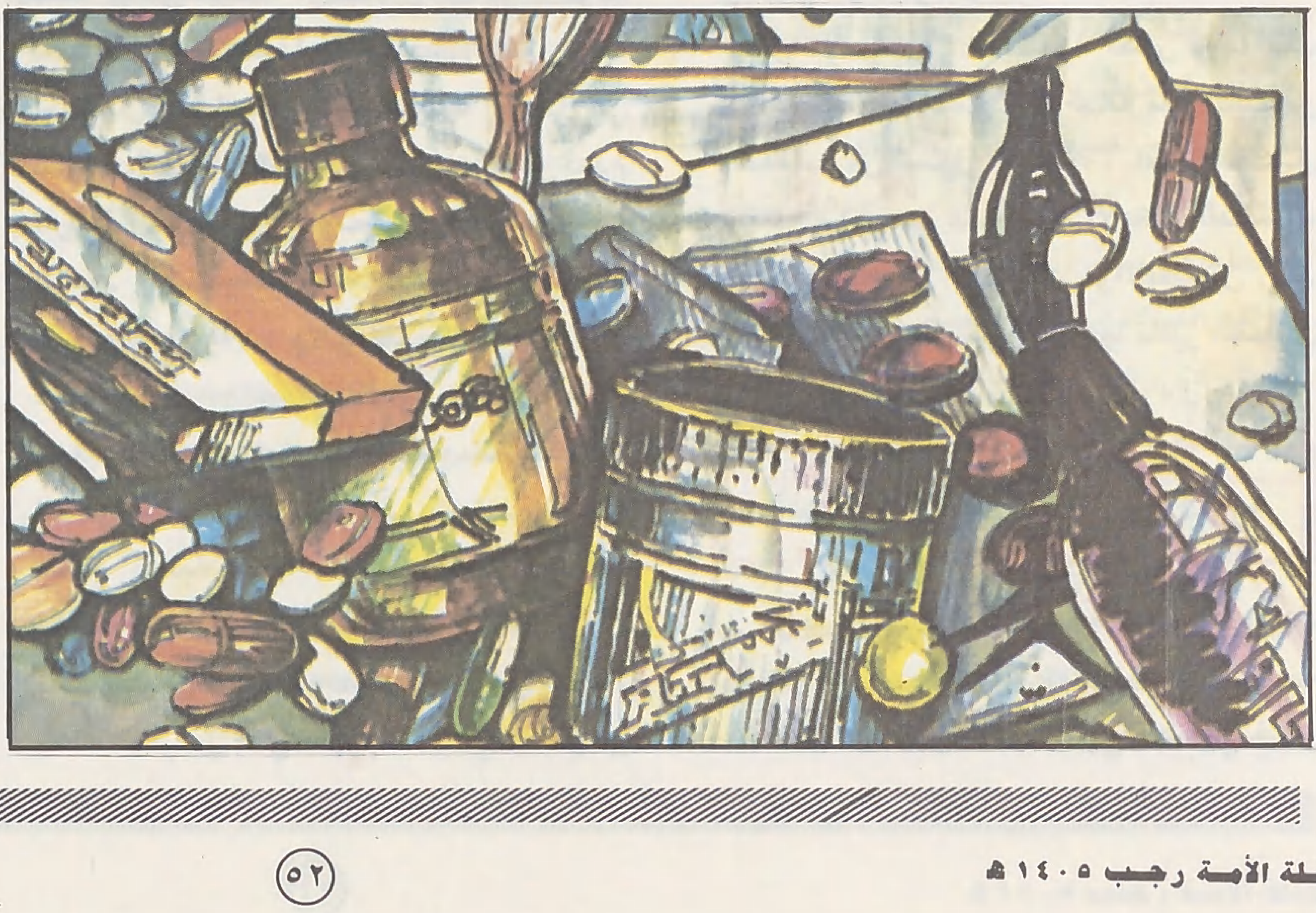

مؤامرة على الأقصى

●● للقدس مكانة في الإسلام الذي يعود ارتباطه بالمدينة المقدسة منذ أن حلَّ رسول الله ﷺ في أرضها عندما أُسري به من المسجد الحرام في مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى في بيت المقدس ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ... ﴾ (الإسراء : ١) ومن هنا كان عروجه ﷺ إلى السموات العلا (مطلع سورة النجم) إلى جانب كونها : أولى القبلتين ، فقد استمر المسلمون يستقبلونها في صلاتهم ستة عشر أو سبعة عشر شهراً حتى نزل أمر الله عزَّ وجل لهم بالتوجه إلى الكعبة ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ (البقرة : ١٤٤) وفيها ثالث الحرمين الشريفين بعد الحرم المكي والحرم النبوي : « لا تشدُّ الرحال إلاَّ إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا) [البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه] ، وهو ثاني مسجد وضع في الأرض لعبادة الله تعالى بعد المسجد الحرام في مكة : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً ﴾ (آل عمران : ٩٦) ، روى البخاري ومسلم عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع في الأرض ، فقال : « المسجد الحرام » قلت : ثم أيّ ؟ قال : « المسجد الأقصى » . ●●

ومنذ أن فتح الخليفة **عمر بن الخطاب رضي الله عنه** بيت المقدس في السنة السادسة عشرة للهجرة عدَّها المسلمون وما حولها الثغر الذي يمكن لأعداء الإسلام أن ينفذوا منه إلى بيت الله الحرام في مكة المكرمة ، وإلى مسجد رسول الله ﷺ في المدينة المنورة ؛ وكأن هذا مستمد مما رواه السيوطي رحمه الله أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه : « **إن الله عز وجل سيفتح عليكم الشام من بعدي من العريش إلى الفرات ، رجالهم ونساؤهم وإماؤهم مرابطون إلى يوم القيامة** » **ومما رواه أحمد رحمه الله في مسنده من حديث أمامة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ :** « **لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين ، لعدوهم قاهرين ، لا يضرهم من خالفهم ولا ما أصابهم من اللأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك » فقالوا : يا رسول الله ، وأين هم ؟ قال : « ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس »** لذا اقبل المسلمون عليها من كل ناحية ليقيموا فيها ويسدوا هذا الثغر ويحاموا عنه ، وفيهم جلَّة من الصحابة رضوان الله تعالى عنهم ، **عبادة بن الصامت ، وواثلة بن الأسقع ، وأبو ريحانة الأنصاري ، وشداد بن أوس الخزرجي الأنصاري ، وفيروز الديلمي وغيرهم** ... ومن لم يتمكن من الإقامة فيها كان يطمح لزيارتها للتبرك وطلب العلم أو للإهلال منها بالحج والعمرة ، وقد زارها كثير من الصحابة ، منهم : **صفية أم المؤمنين ، وبلال مؤذن رسول الله ﷺ ، وأبو الدرداء ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو ذرّ الغفاري ، وسلمان الفارسي ، وسعيد بن زيد ، وسعد بن أبي وقاص ، وعياض بن غُنْم ، وأبو عبيدة ، وخالد ، ومعاذ بن جبل ، وتميم الدَّاري ، وابن عباس ، وأبو هريرة ، وعبد الله بن سلام ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ... وغيرهم رضي الله عنهم .**

□ الشيخ سعد الدين العلمي :
الحكومة الاسرائيلية تختبىء وراء الحركات الدينية المتطرفة لتحقيق هدفها في نسف المسجد الأقصى □

خصَّها الله تعالى بالعديد من الأنبياء ، ففي كل ركن من أركانها ترىٰ أثراً من آثارهم عليهم الصلاة والسلام ، حتى قيل : **إن بناءها تم على أيديهم ، وإنهم سكنوها حتى لم يبق فيها موضع شبر إلَّا وقد صلى فيه نبي** ، ولما كانت بيت المقدس مقر الأنبياء ، أطلع الله عز وجل **محمداً ﷺ** على أحوالهم ليطلعنا عليها ، وأوحى إليه ما حلَّ بقوم موسى « يهود » من عزة وذلة ، وشرف وحطّة وقد أنزل الله عليهم التوراة لبدلنا على ما سيكون لنا في مستقبل الزمان ، وأنَّا سنلاقي ما لاقت الأمم فلنحترس مما وقعوا فيه ...

ولم ينقطع اهتمام المسلمين في يوم من الأيام بالقدس والمسجد الأقصى ، ولم يتوقف أو يضعف ، ولكنه كان يأخذ بالازدياد والظهور في الفترات التي وقعت فيها القدس في شرك الأعداء ، كما حدث أيام الغزو الصليبي مثلاً ، حيث بذل المسلمون النفس والنفيس بعد أن اقلعوا عن المعاصي والآثام ، وعادوا إلى المحجة البيضاء يلتمسون نورها ويلتزمونه فكانت حطين **وكان تحرير الأقصى في السابع والعشرين من شهر رجب الحرام ٥٨٣هـ على يد صلاح الدين الأيوبي رحمه الله** الذي كان دعاؤه في سجوده : « **إلهي قد انقطعت أسبابي الأرضية في نصرة دينك ، ولم يبق إلَّا الإخلاد إليك ، والاعتصام بحبلك ، والاعتماد على فضلك ، انت حسبي ونعم الوكيل** » ، وهو الذي صرح لابن شداد كاتبه بعد استعادة الأقصى قائلاً :

« **متى ما يسر الله تعالى فتح بقية الساحل ، أوصيت وودعت وركبت هذا البحر إلى جزائره ، وتبعتهم فيه حتى لا ابقي على وجه الأرض من**

يكفر بالله أو أموت » ولكنه توفي رحمه الله في دمشق ودفن فيها في صفر عام ٥٨٩هـ . ونعاه ابن شداد بقوله : « **اللهم إنك تعلم أنه بذل جهده في نصرة دينك ، وجاهد رجاء رحمتك ، فارحمه** » .

واستمرت بيت المقدس في حوزة المسلمين حتى يوم ٩ نوفمبر [تشرين الثاني] ١٩١٧م عندما تمكنت جيوش الحلفاء بقيادة **الجنرال « اللنبي »** من دخول المدينة المقدسة التي وضعت والأراضي المباركة المحيطة بها تحت الانتداب البريطاني ؛ وفيها كانت كلمة « **اللنبي** » المشهورة :

« **الآن انتهت الحروب الصليبية** » .

وجاءت الحركة الصهيونية متسلحة باليهودية المنحرفة ، وبالأحلام التلمودية تعمل على تجميع يهود من مختلف أقطار العالم على اختلاف جنسياتهم وعروقهم وألوانهم لتلقي بهم إلى الأرض المقدسة ، ولتضع في قلوبهم وعقولهم أن « **القدس بالنسبة لليهودي كالرأس من الجسد** » وتكرر على مسامعهم « **لتنسني يميني إن نسيتك يا أورشليم** » **وتحقق شيء من هذا الحلم عام ١٩٤٨م عندما تمكن يهود من احتلال القدس الجديدة والسيطرة عليها ، وتم عقد الكنيست الإسرائيلي فيها في ١٤ فبراير [شباط] ١٩٤٩م ، وفي ٨ أكتوبر [تشرين الأول] ١٩٤٩م أعلن بن غوريون في الكنيست حق إسرائيل في أن تكون القدس اليهودية جزءاً لا يتجزأ منها ؛ وفي ١٣ يناير [كانون الثاني] ١٩٥٠م أعلن الكنيست أن القدس عاصمة دائمة لإسرائيل ، وبدأت الخارجية الإسرائيلية بالإعلان عن نقل مكاتبها إلى القدس ، وكذلك فعل رئيس الدولة : واستمرت إجراءات التهويد فيها ؛ وفي حزيران [يونيو] ١٩٦٧م تمكن يهود من الاستيلاء على القدس القديمة وفيها المقدسات الإسلامية ، وفي مقدمتها المسجد الأقصى** ، وهناك أعلن « **موشيه دايان** » وزير دفاع دولة العدو يومئذ ، وهو واقف أمام حائط البراق (المبكى) توحيد المدينة المقدسة : [... **لقد أعدنا توحيد المدينة المقدسة ، وعدنا إلى أكثر أماكننا قدسية ، عدنا ولن نبارحها أبداً**] ، وبدأت قوات الاحتلال اليهودي - حتى قبل أن تقوم بدفن جثث القتلى التي انتشرت في أنحاء المدينة مهددة بانتشار الأوبئة - مستخدمة الجرافات الضخمة لتهدم حي المغاربة المحاذي للحائط الغربي من المسجد الأقصى (**حائط البراق**) وتسوّي هذا الحي بالأرض بناء على تعليمات وأوامر من « **دايان** » مباشرة إلى الحاكم العسكري للمدينة المقدسة « **شلومو لاهط** » وعندما استفسر رئيس البلدية « **تيدي كوليك** » من وزير العدل « **يعقوب شابيرا** » حول هذه العملية التي كان لرئيس البلدية اليد الطولى فيها أجابه الوزير : (**لست أعرف بالتأكيد ما هو الوضع القانوني ، ولكن قم بما تستطيع القيام به بسرعة ، وليكن إله إسرائيل في عونك**) .

وفي الثامن من الشهر نفسه بعد الاحتلال اليهودي مباشرة يقف **بن غوريون** ليقول : (**إن ابناء هذا الجيل الذين كانوا من سكان القدس القديمة والخليل ومنطقة عتسيون يجب أن يكونوا من بين أولئك العائدين - العائد : كل يهودي يهاجر إلى فلسطين أينما كان مكان ولادته وأياً كانت جنسيته - إلى تلك المناطق لتجسيد الاستمرارية فيها قبل أن تبدأ الضغوط السياسية لإجبار إسرائيل على الانسحاب**) .

وفي الرابع عشر من الشهر نفسه يعلن بن غوريون في اجتماع ببيت رئيس البلدية حضره من الوزراء « **دايان** ، **وشابيرا** ، **وبيغن** » وجوب (استقدام اليهود إلى القدس الشرقية بأي ثمن ، ينبغي توطين عشرات الآلاف منهم خلال وقت قصير ، ولو في الأكواخ : لا يجوز الانتظار إلى حين بناء أحياء منظمة : المهم أن يتواجد اليهود هناك) ... واستمرت عملية تهويد المدينة المقدسة تسير متسارعة ، ولا تزال بهدف القضاء على طابعها الإسلامي العربي ... وحول إجراءات التهويد هذه والمؤامرة على المسجد الأقصى كان لنا لقاء مع سماحة **الشيخ سعد الدين العلمي** مفتي القدس ورئيس جامعتها ، ورئيس الهيئة الإسلامية العليا فقال :

هل أصبحت مسألة هدم المسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة المشرفة وبقية المقدسات الإسلامية مسألة وقت فقط ؟ وهو سؤال طرحته جريدة « **ها آرتس** » الإسرائيلية (٢٨ مارس [آذار] ١٩٨٢م) التي أجابت على هذا التساؤل بمقالة جاء فيها :

« **إن مناحيم بيغن عندما كان رئيساً للحكومة في أيار [مايو] ١٩٧٧م كان قد وعد المتدينين بأن يحقق لهم إقامة الهيكل الثالث على جبل البيت** » وهو الموقع الذي يقوم عليه الحرم القدسي ... وجاء فيه أيضاً :

« **إن الحكومة الإسرائيلية تختبىء وراء الحركات الدينية المتطرفة لتحقيق هدفها في نسف قبة الصخرة والمسجد الأقصى ، وبناء الهيكل الثالث على أنقاضهما ، وإن العمليات التي تجرى بهذا الخصوص يجري ترتيبها بمعرفة الحكومة من أجل إنضاج هذا المخطط** » .

وهنا لا بد أن نعيد إلى الأذهان ونذكر المسلمين وخاصة أولياء الأمور منهم أينما كانوا بما فعله يهود بالمدينة المقدسة والأقصى بعد أن أتموا احتلالها عام ١٩٦٧م .. فهذا حاخام الجيش الإسرائيلي « شلومو غورين » يطالب بإقامة كنيس يهودي فوق ساحة الأقصى المبارك ، وتعلن الحكومة الإسرائيلية ضم القدس الشرقية إدارياً وسياسياً لإسرائيل ، وتقوم بإنشاء مستعمرة « الحي اليهودي » فيها بين الحائط الغربي للمسجد الأقصى والدير اللاتيني ، وهو عبارة عن حي سكني يضم (٣٢٠) وحدة سكنية أقيمت على أنقاض (١٦٠) منزلاً عربياً ؛ ومصادرة ستمائة منزل وإجلاء ستة آلاف وخمسمائة عربي ، والاستيلاء بعد ذلك على (١١٦) دونماً من الأراضي المجاورة للحرم الشريف ؛ وإنشاء مستعمرة « **رامات أشكول** » في الجانب الشمالي من المدينة المقدسة ، وهو عبارة عن حي سكني يضم (١٧٠٠) وحدة سكنية ، أقيمت على مساحة ستمائة دونم نزعت ملكيتها من العرب ؛ وإصدار قانون الإشراف على المدارس العربية للسيطرة على مناهج التعليم وتهويدها ، والقيام بإجراء حفريات أثرية حول الحرم بدعوى البحث عن الهيكل ، وإلحاق متحف الآثار الفلسطينية بمصلحة الآثار الإسرائيلية وتوزيع مقتنياته على المتاحف الأخرى .

حـــرق الأقصى

سبقت عملية حرق المسجد الأقصى بأمور منها :

- **الاستيلاء عنوة على مفاتيح باب المغاربة من دائرة الأوقاف الإسلامية التي تشرف على الحرم الشريف : والسماح لأي إنسان بالدخول إليه دون مراقبة** .
- **حاول الحاخام «غورين» ومعه أعداد من اليهود الصلاة في أرض الحرم عدة مرات** .
- **وزير الأديان اليهودي يعلن أن « أرض الحرم ملك لليهود منذ هدم الهيكل »** .
- **جماعة من الماسونيين ، من الولايات المتحدة ، معظمها من اليهود ، يرسلون كتاباً إلى الهيئة الإسلامية بالقدس يطلبون السماح بإعادة بناء الهيكل على أرض الحرم مقابل مائة مليون دولار أمريكي** .
- **قبل حريق الأقصى بيومين نشرت الصحف الإسرائيلية صورة تمثل استعراضاً لخمسة وعشرين من شباب حزب بيتار الإسرائيلي أمام مسجد الصخرة ، ورئيسهم يخاطبهم قائلاً** : « **إنكم جئتم إلى أورشليم - القدس - لتقوموا بهذا الاستعراض في جبل الهيكل الذي استولى عليه الغرباء** » .

معنى هذا أن حريق الأقصى في ٢١ أغسطس [آب] ١٩٦٩م لم يكن عفوياً ، ولكنه كان مدبراً ، والجهات الإسرائيلية اليهودية هي التي أوعزت إلى السائح الاسترالي ذي الأصل اليهودي « **دينس روهان** » لإشعال النار في المسجد الأقصى ؛ **وقد أسفرت هذه الجريمة عن إحراق منبر**

صلاح الدين بأكمله ، وهو المنبر الذي صنع في حلب أيام نور الدين محمود الشهيد رحمه الله الذي كان يحمله في كل غزاة يغزوها للصليبيين ، من أجل أن يضعه في المسجد الأقصى الذي كان الصليبيون قد حولوه إلى كنيسة ؛ وكذلك إحراق السطح الشرقي الجنوبي للمسجد ... وقد اكتفت سلطات الاحتلال باعتقال المجرم ومحاكمته حيث ادّعت بأنه مجنون وأطلقت سراحه فسافر إلى الخارج لمدة عام ثم عاد بعدها للاستقرار في فلسطين ...

ومن الأدلة على تواطؤ سلطات الاحتلال لحرق الأقصى أيضاً :

- قطع المياه عن الحرم فور ظهور الحريق [تتحكم في هذه المياه الجهات الإسرائيلية في بلدية القدس المحتلة] .
- تقارير المهندسين أكّدت أن الحريق نشب في أكثر من موضع ، وأن شخصاً واحداً لم يكن قادراً على القيام بهذا العمل بمفرده ، مما يؤكد وجود أكثر من شخص اشترك في الجريمة .
- وصول سيارات الإطفاء من بلدية رام الله والخليل لإطفاء الحريق مع المواطنين العرب من أبناء القدس ، ولم تصل سيارات الإطفاء من بلدية القدس ...

ومن الأدلة على المقاصد الشريرة التي يضمرها هؤلاء للحرم القدسي الشريف ، قول بيغن وهو رئيس حكومة دولة العدو : « إن هذا المكان الذي بني فوقه المسجد الأقصى هو في الأصل جبل الهيكل المقدس لدى اليهود ، ولا يمكن أن يقبل يهودي أن يرتفع فوقه علم غير علم إسرائيل » وكان يجيب على سؤال وجهه إليه أحد الصحفيين حول رفضه رفع علم إحدى الدول العربية أو المسلمة فوق المسجد الأقصى .

وجاء في دائرة المعارف اليهودية المطبوعة بالإنكليزية تحت كلمة « الصهيونية » ما يلي :

« إن اليهود يبغون أن يجمعوا أمرهم ، ويأتوا إلى القدس ، ويتغلبوا على قوة الأعداء ، ويعيدوا العبادة إلى الهيكل مكان المسجد الأقصى ويقيموا ملكهم هناك » .

في عيد الغفران عام ١٩٦٨م كان مع كبير الحاخامين المؤرخ اليهودي « إسرائيل الدادا » الذي قال :

« نحن نقف الآن حيث وقف داود حين حرر القدس ، ومن ذلك الوقت مضى جيل واحد قبل أن يقوم سليمان ببناء الهيكل » ولما سئل : ماذا سيكون مصير مسجد الصخرة ؟ أجاب قائلاً : « إن المسألة على كل حال مدار بحث ... لعل زلزالاً يقع فيه فيدمر مسجد المسلمين » .

المحاولات اليهودية للصلاة في الأقصى

بدأت محاولات يهود لاقتحام الساحات الخارجية للمسجد الأقصى ، ومحاولات اقتحام المسجد نفسه بعد الاحتلال اليهودي عام ١٩٦٧م ، وفي ١٨ أغسطس [آب] ١٩٦٩م قبل حريق الأقصى بثلاثة أيام قام نفر من الشباب اليهودي بالتسلل إلى الحرم القدسي ، والطواف حول قبة الصخرة وهم يرتلون المزامير والأدعية وبعض فقرات من التوراة .

وفي السابع من أغسطس [آب] ١٩٧٣م قام عضو الكنيست الإسرائيلي « **بنيامين هاليفي** » والحاخام « **لويس رابينوفيتش** » بالدخول إلى الأقصى وأداء الصلاة فيه .

وفي مطلع أيار [مايو] ١٩٧٥م قامت مجموعة من الشبان اليهود بالتسلل إلى الأقصى وأداء الصلاة فيه ، فتصدى لهم حراس الحرم والمواطنون العرب وبعض أفراد الشرطة ؛ ولما رفع الأمر إلى القضاء أصدرت القاضية « روت أور » قراراً بتبرئتهم من جريمة انتهاك حرمة الأقصى ، ووجهت نقداً شديداً لوزارتي الأديان والشرطة لأنهما لم يقوما بإصدار تعليمات تبيح أداء الصلاة اليهودية في المسجد الأقصى .

ومن المحاولات التي تقوم بها مجموعة يهودية أطلقت على نفسها اسم « **أبناء جبل البيت** » لاقتحام الحرم الشريف ، اقتحامهم ساحة الحرم القدسي في ٣ أكتوبر [تشرين الأول] ١٩٨٠م برفقة الحاخام « **موشيه شيفل** » وبعض قادة حركة « **هتحيا** » وأدوا الصلاة وهم يرفعون العلم الإسرائيلي ويحملون التوراة ، وكررت هذه العملية في ٢٣ أبريل [نيسان] ١٩٨٠م ولم يتعرض لها رجال الشرطة .

ومن أعنف هذه المحاولات ما حدث يوم ٩ أغسطس [آب] ١٩٨١م حيث حاولت مجموعات كبيرة من الشباب اليهود أكثر من مرة ، ومن عدة أبواب ، التسلل إلى داخل الحرم القدسي ، وكسروا باب المغاربة ، إلَّا أن المسلمين في القدس حالوا دون دخولهم الحرم الشريف ...

الاقتحام المسلح ومحاولات تفجير الأقصى

● محاولة كاهانا في أيار [مايو] ١٩٨٠م لتفجير الأقصى بحجة الرد على عملية الدبوية التي نفذها رجال المقاومة في الخليل ؛ وقد عثرت قوات الأمن صدفة على مخزن كبير للمتفجرات على سطح إحدى المدارس الدينية اليهودية في ١١ مايو [أيار] ١٩٨٠م واعتقل **الحاخام كاهانا** وعدد من أتباعه بتهمة سرقة أسلحة من مستودعات الجيش والإعداد لنسف أماكن مقدسة إسلامية ...

● في ٨ أبريل [نيسان] ١٩٨٢م وضع يهود قنبلة موقوتة عند بوابة الأقصى ، وإلى جانبها رسائل تهديد إلى مدير الأوقاف الإسلامية في القدس تحمل توقيع لجنة « **أمناء جبل البيت** » وحركة « **كاخ** » التي يتزعمها الحاخام « **كاهانا** » إضافة إلى توقيع ما يسمى بروابط القرى العميلة لليهود . وتطالب التهديدات بالتوقف فوراً عن منع يهود من الدخول إلى الأقصى للصلاة فيه ، وفي حالة عدم الإذعان ، فإن النتيجة ستكون قاسية وهي : تفجير أقصاكم تفجيراً كاملاً ، والصخرة والساحات المجاورة وفي أوقات الصلاة لقتل أكبر عدد منكم .

● وفي ١٠ أبريل [نيسان] ١٩٨٢م حاولت جماعة من أتباع كاهانا ولجنة أمناء جبل البيت الدخول إلى الأقصى فتصدى لهم الحراس والمواطنون العرب ، وفي هذه الأثناء قام جندي إسرائيلي « **إيلين جوتمان** » باقتحام الحرم وهو يطلق النار مما أدى إلى مقتل اثنين من حراس المسجد « **محمد اليماني وجهاد بدر** » وفي الوقت نفسه كان عدد كبير من الجنود الإسرائيليين يقتحمون ساحات الأقصى ويطلقون النار على المواطنين العرب الذين هُرعوا لحماية الأقصى تلبية للنداءات التي انطلقت من المآذن ، وقد أدت الاشتباكات إلى أضرار مادية جسيمة وسقوط (١٢٠) جريحاً .

● وفي ليلة ١١ مارس [آذار] ١٩٨٣م جرت محاولة يهودية عبر النفق السري الذي كشفت عنه الحفريات الجنوبية للوصول إلى ساحات المسجد الأقصى لإقامة نواة استيطانية ومركز يهودي مسلح داخل الحرم القدسي .

● وفي ليلة ٢٧ يناير [كانون الثاني] ١٩٨٤م قامت مجموعة مسلحة يهودية لاقتحام الحرم من الناحية الشرقية بالقرب من باب الرحمة إلَّا أن حراس المسجد اكتشفوا أمرهم قبل أن يتمكنوا من الصعود ، ففروا تاركين وراءهم قنابل ومتفجرات وأمتعة ...

وفي الوقت الذي تزداد فيه محاولات يهود وعلى رأسهم الحاخام كاهانا الذي ما زال يصر على اقتحام الأقصى والصلاة فيه ، وذلك من أجل تهويد المدينة المقدسة ، ورغم الأخطار المحدقة بثالث الحرمين الشريفين ومسرى محمد ﷺ والتي تهدده بالنسف والتدمير لبناء ما يسمى بالهيكل الثالث فإن العالم العربي والإسلامي ما يزال ، وكأنه يغط في سبات عميق ، أو كأن الأمر لا يعنيه وكأنه غير مدرك للأخطار المترتبة على عدم المبالاة ، والتي يمكن أن تحيق بعد ذلك بالحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة وبكل ما هو مقدس لدى المسلمين .

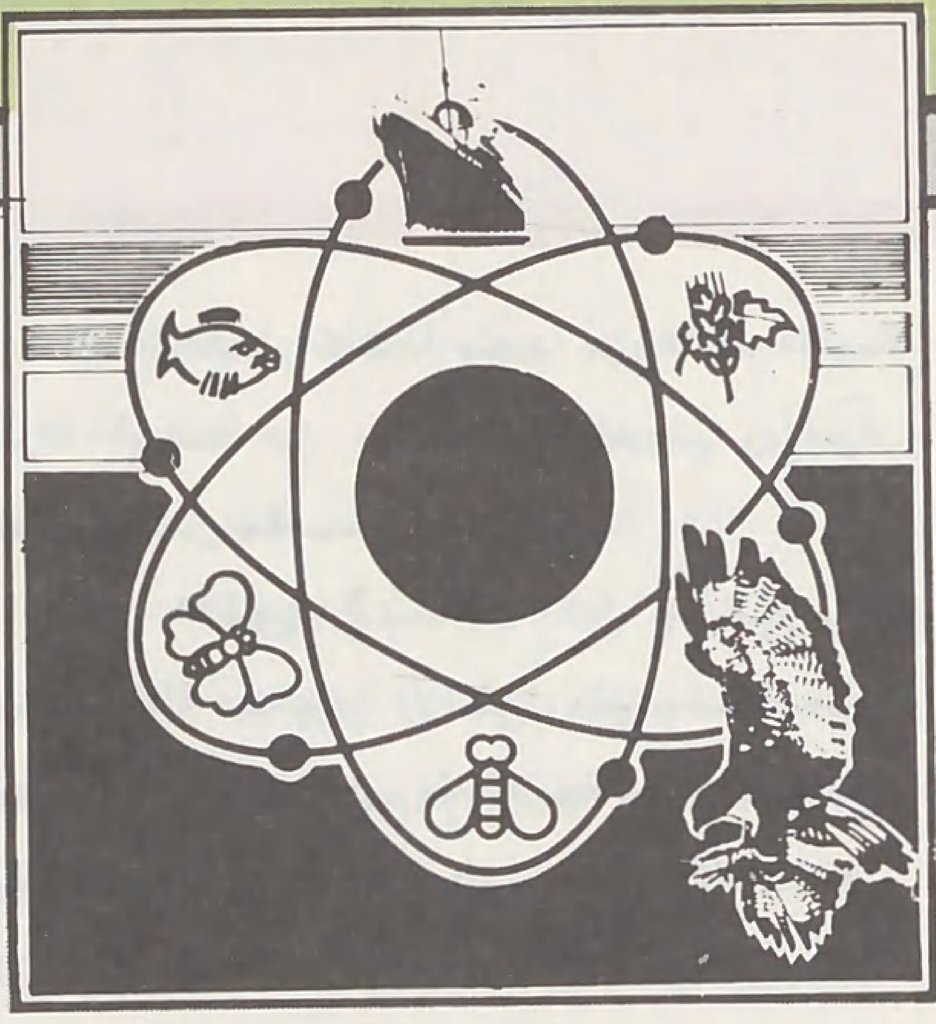

العلم والحياة

الطيور الجارحة

ملامحها وخصائصها التشريحية

■■ تشارك الطيور الجارحة الطيور الأخرى ملامحها الرئيسة ، فهي من الفقاريات ذات الدم الحار ، مغطَّاة بالريش ، ولها قلب من أربع حجيرات ؛ الريش يحمي الجسم من التغير في درجة الحرارة ، كما يزين الجسم ، ويخفيه أحياناً ؛ والذيل والجناحان تساعد على الطيران .
وهي تتميز بكونها صعبة المنال ، أي صعب اصطيادها ، رغم أن بعضها لا يزن أكثر من الطيور الأخرى ، كذلك فهي طعام غير شهي للآكلين ؛ وقوتها مع صغر وزنها وحجمها أمر مثير للدهشة .. ■■

■ باز في حالة انقضاض : القدمان مستعدتان والعين الحمراء مثبتة على الفريسة .. ■

■ الصقر الحوَّام أو الجراح في حالة انقضاض .. ■

الملامح التشريحية الرئيسة تلائم طريقة حياتها : الرأس للسمع والرؤية ، المنقار للأكل ، الأجنحة للطيران ، الذيل لحفظ التوازن ، الأقدام للقتل ، وهي أخطر الأعضاء في حالة اصطياد الجوارح .

هذه الأجزاء المختلفة من الجسم تتكيف أيضاً مع الموطن الذي يقطنه الجارح ، خاصة الذيل والجناح ، كذلك فهي تتكيف مع طريقة صيد الجارح ونوع الفريسة التي يتغذى أو يتخصص بها .

من أجل معرفة الملامح التشريحية للطيور الجوارح سنأخذ كأنموذج لها نوعاً من الصقور يدعى «Buteo» وهو يعيش في الأقاليم كلها عدا الغابات الكثيفة : ويأكل أنواعاً من الفرائس ، من الخنافس حتى الثدييات ، ويتراوح وزنه بين (٣٠٠ ـ ٢٠٠٠) جرام حسب الموطن .

من أنواعه : الصقر الجراح أو الحوَّام «Buzzard» ، رأسه مغطى بالريش عدا المنطقة الفاصلة بين العين والمنقار ، وهي المنطقة التي تدعى «Lore» وهذه مغطاة بالهُلْب «Bristles» وهو شعر غليظ صلب .

منقاره معقوف متوسط الطول ، ليس له أسنان في الفك العلوي ، قاعدة الفك العلوي ممتدة إلى القير «cere» (وهو جزء لين منتفخ عند أصل المنقار في الطيور) حيث توجد هناك الفتحات الأنفية ؛ لون القير أصفر لدى

■ النسر الملك : ألوانه زاهية إلى درجة كبيرة ■

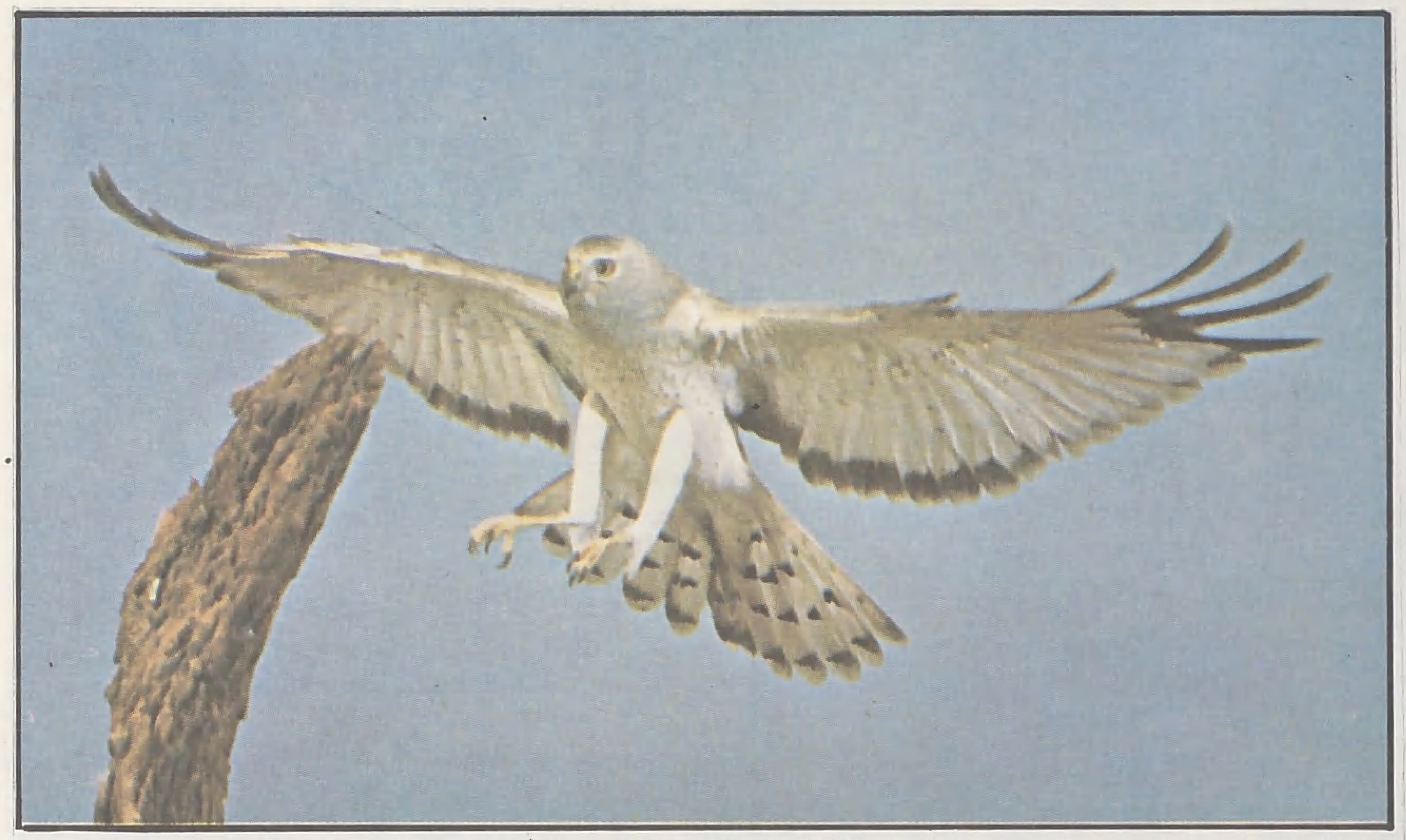

■ الهـارّ : نوع من الصقور ، في حالة استعراض كامل ؛ الأجنحة طويلة ، في رأس كل منها خمسة قوادم منفصلة . الذيل مبسوط ليساعد على الهبوط . الأرجل طويلة تساعد على الإمساك بالفريسة ■

الصقور البالغة ، أخضر أو رمادي لدى صغارها .

يوجد القير لدى أنواع أخرى قليلة جداً من الطيور ، مثل الببغاوات والحمام ، وظيفته غير واضحة ، لكنه حساس لدى اللمس ، وينزف بسرعة . فتحة منقار الصقر الحوّام عريضة بما يكفي لابتلاع حيوان كامل .

العينان على جانبي الرأس ، واسعتان مستديرتان ، مثبتتان في محاجرهما تقريباً ، وتنظران أماماً وجانباً ، وهما محميتان بأضلاع عظمية ناتئة من الجمجمة ، إضافة إلى الغشاء الغامز أو الرامش « Hictitating membrane » (وهو غشاء رقيق تحت الجفن السفلي من عين الحيوان) ويسمى أحياناً الجفن الثالث الذي يمكن أن يُسْحَبَ إرادياً عبر العين ، يساعد على حماية العيون الدقيقة الحساسة الحيوية عندما يصطدم الطائر بالنبات ، أو يصارع فريسة ، أو يطعم صغاره . تختلف هذه المواصفات العامة للرأس من جارح لآخر .

نسور العالم الجديد والقديم « Old and New World Vultures »

لها رأس ورقبة عاريان من الريش كلياً أو جزئياً ، وعلى الأكثر لها زغب من الهُلْب القصير .

النسر الأمريكي المعروف باسم «King Vulture » له رقبة برتقالية اللون ، وجلد أصفر مجعد خلف العين ، وغبب (لغد) «Wattle» أرجوانية (الغبب زائدة لحمية تتدلى أمام العين) وقير برتقالي مُدلىً منتفخ كبير ، يقال إن هذا النسر أكثر الجوارح ألواناً وجمالاً .

هناك نسور أمريكية حمراء الرقبة ، ونسور آسيوية سوداء . النسر المصري الأصفر الوجه ، له طوق من الريش المنتصب حول الرقبة .

في بعض الجوارح نجد الريش ينتصب حول الرقبة بشكل عرف ، وهو بذلك يشكل تهديداً لمن يحاول الاعتداء ، وربما كان مجرد مظهر ...

حاسة البصر

العيون بالنسبة للجوارح النهارية حيوية ، وهي عادةً جميلة ، واسعة مستديرة ، ثابتة تقريباً في محاجرها ، مما يضطر الطائر إلى تحريك رأسه ليرى في الاتجاهات كلها ، ورقبته المرنة جداً تسمح له بتحريك رأسه ليرى خلفه .

وهو يرى بِكلْتي عينيه « Binocular vision » كما يرى بإحداهما رؤية جانبية « Monocular vision » إلَّا أنه لا يستطيع أن ينظر أسفل منه .

رؤية الجارح حادة جداً لأن شبكية العين واسعة جداً ، ولأن الخلايا البصرية الحساسة كثيفة ، قوة شبكية عين الجارح (٣ ـ ٤) أمثال قوة شبكية عين الإنسان ؛ وفوق ذلك فإن لعيون الجوارح حفيرتين (نقرتين) «Foveae» إحداهما موجهة للجانب لتسمح بالرؤية الأحادية «monocular» والثانية موجهة للأمام لتسمح بالرؤية المشتركة للعينين «Binocular» وفي هاتين الحفيرتين خلايا بصرية مركزة جداً . هناك مليون خلية في كل ملليمتر مربع مما يجعل له حدة إبصار تفوق إبصار الإنسان بثماني

■ الحرّ : ضرب من الصقور ، ذو منقار مثلم يساعد على كسر رقبة الفريسة . وفي داخل فتحاته الأنفية عجيرة تساعد في تخفيف ضغط الهواء أثناء الطيران ■

■ نسر يأكل القردة ذو منقار كبير وفتحات أنفية طويلة . شعر رأسه ينتصب عند التهديد . ■

العلم والحياة

مرات : وبطبيعة الحال هناك تفاوت في حدة إبصار الجوارح من نوع لآخر ، جوارح الغابات الاستوائية مثلاً إبصارها غير حاد لأنها تعتمد على السمع .

عيون الجوارح النهارية في العادة صفراء مشعة أو برتقالية أو حمراء أخاذة متوهجة ، وفي بعضها - مثل : الحوام - بنية خفيفة ، وعادة ما تعتبر العين الصفراء أو الحمراء علامة نضج . هناك عيون زرقاء ، لدى النسر آكل القرود في الفيلبين ، وهناك عيون بيضاء محاطة بإطارات حمراء .

ربما ارتبط لون العيون بنوع الفريسة ، فمثلاً نسور الأفاعي ذات عيون صفراء ، والحدأة (الشوحة) «Kite» التي تأكل فئران العشب في السهول المنبسطة ذات عيون حمراء . وكذلك الصقور القوية قاتلة الطيور المعروفة باسم «Accipiters» ، وربما ارتبط لون العيون بإثبات الهوية : على أية حال ، أي تصنيف له شواذ . وربما ساعدت المعلومات الجديدة حول عدد الخلايا البصرية في شبكيات الجوارح على حل بعض الأمور التي لا تزال غامضة .

المنقار

يختلف شكل المنقار من منقار كليل ، كمنقار الصوص ، كما لدى الكاركار «Caracaras» إلى المنقار المقوس القوي ، والمنقار المعقوف كثيراً . في معظم الحالات يرتبط شكل وقوة المنقار بطريقة الأكل ونوع الفريسة . منقار الكاركار مثلاً غير معقوف ، لأنه غير مفترس . هناك مناقير لها فك قوي معقوف أيضاً فوق الفك السفلي . مناقير الصقور آكلة الطيور قصيرة نسبياً ، أما مناقير النسور آكلة الثدييات فهي أكبر وأطول نسبياً . في معظم الحالات مناقير الإناث مقوسة قوية أكثر من الذكور ، ربما لأنها تستطيع قتل وأكل الفرائس الأكبر .

النسر الفيلبيني آكل القرود له فك علوي مقوس غريب . حدأة القواقع لها منقار معقوف وفك علوي طويل جداً معقوف بحدة ، مسنن متكيف للغذاء على القواقع . يختلف شكل وحجم المنقار لدى الحدأة باختلاف القواقع التي تأكلها : قواقع البحر ، الشجر ، الأرض ... المنقار المعقوف المسنن الحاد يلتف حول صدفة القوقع ليقطع العضلة العمودية ، وتخرج الرخوية المطلوب أكلها .

جميع الصقور تقريباً لها أسنان في الفك العلوي ، وهي تستخدمها لكسر رقاب الطيور أو الثدييات بعد الإمساك بها بمخالبها ، وهي الجوارح الوحيدة التي تفعل ذلك . هناك جوارح تأكل السحالي والحشرات مثل الطائر الكاتب ، والباز «Goshhawk» تفتقر إلى مثل هذه الأسنان .

بشكل عام الجوارح ليس لها حاسة شم ، والفتحات الأنفية هي للتنفس فقط . لدى نسور العالم الجديد فتحات أنفية نفاذة ، وأعضاء شم « Olfactory Organs » أكبر مما لدى الجوارح الأخرى ، ومع ذلك فحاسة الشم عندها ضعيفة جداً . وفي بعض التجارب وجد أنها لا تستطيع اكتشاف رائحة الجيف النتنة بالقرب منها . النسر الملك « King Vulture » الذي يفضل حياة الغابات هو الوحيد الذي يعتمد على الشم .

الجوارح البحرية ، مثل : العُقَاب النسارية «Osprey» تستطيع إغلاق فتحاتها الأنفية متى أرادت ، ويعتبر هذا تكيفاً مع طريقة صيدها إذ أنها تقوم بعملية انقضاض رأسية رهيبة لتصطاد الطيور المائية والأسماك ، وتضطر أحياناً للغطس الكلي أو الجزئي . وهكذا فإن إغلاق الفتحة الأنفية إرادياً يمنع دخول الماء للأنف .

بعض الجوارح السريعة قاتلة الطيور ، مثل : الباز الجوَّال « Peregrine Falcon » لها درنات عظمية داخل الفتحات الأنفية ، يعتقد

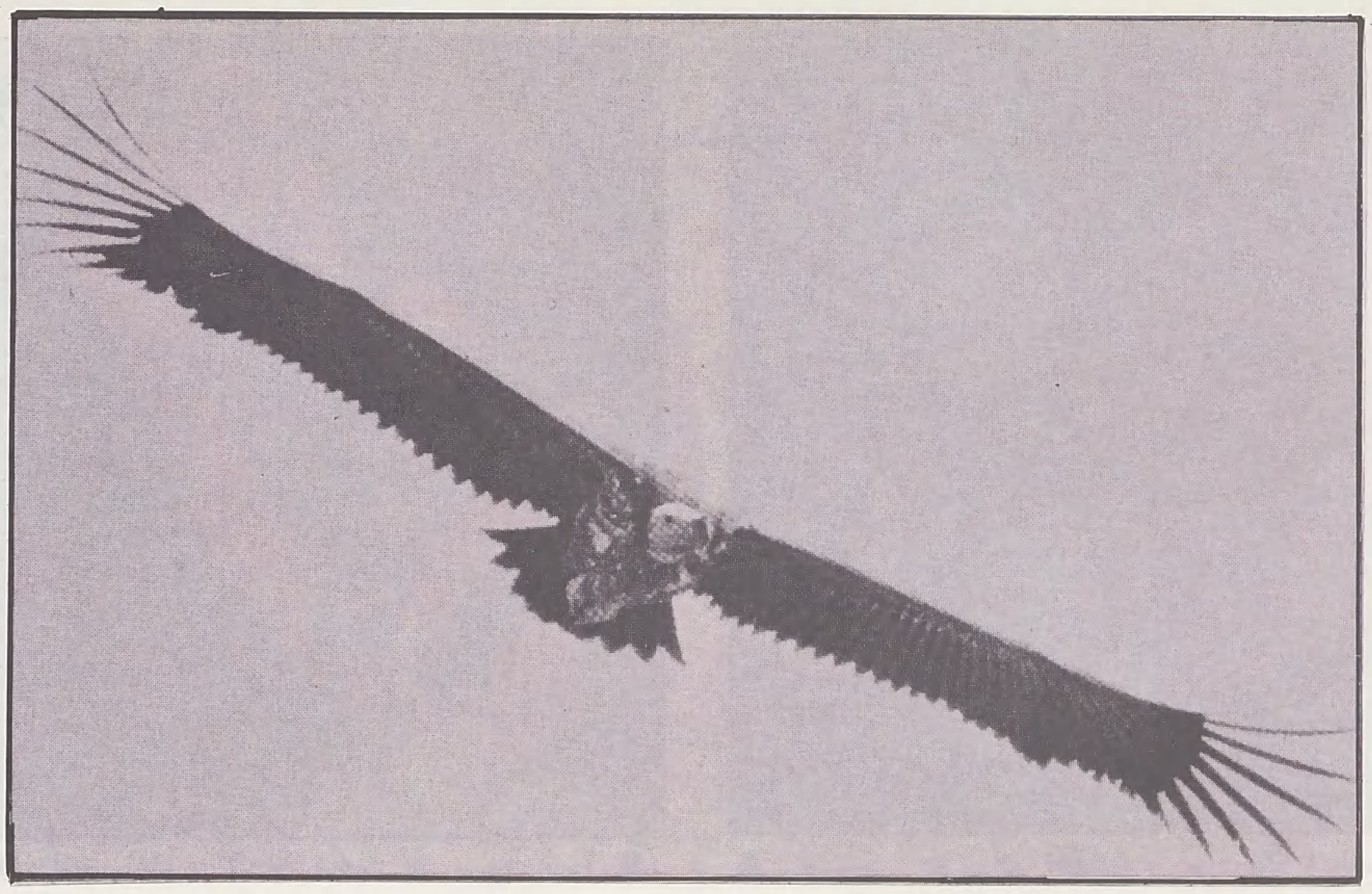

■ النســـر الأســـود في حالة طيران : له ثمانيـــة قوادم في رأس كل جنـــاح ■

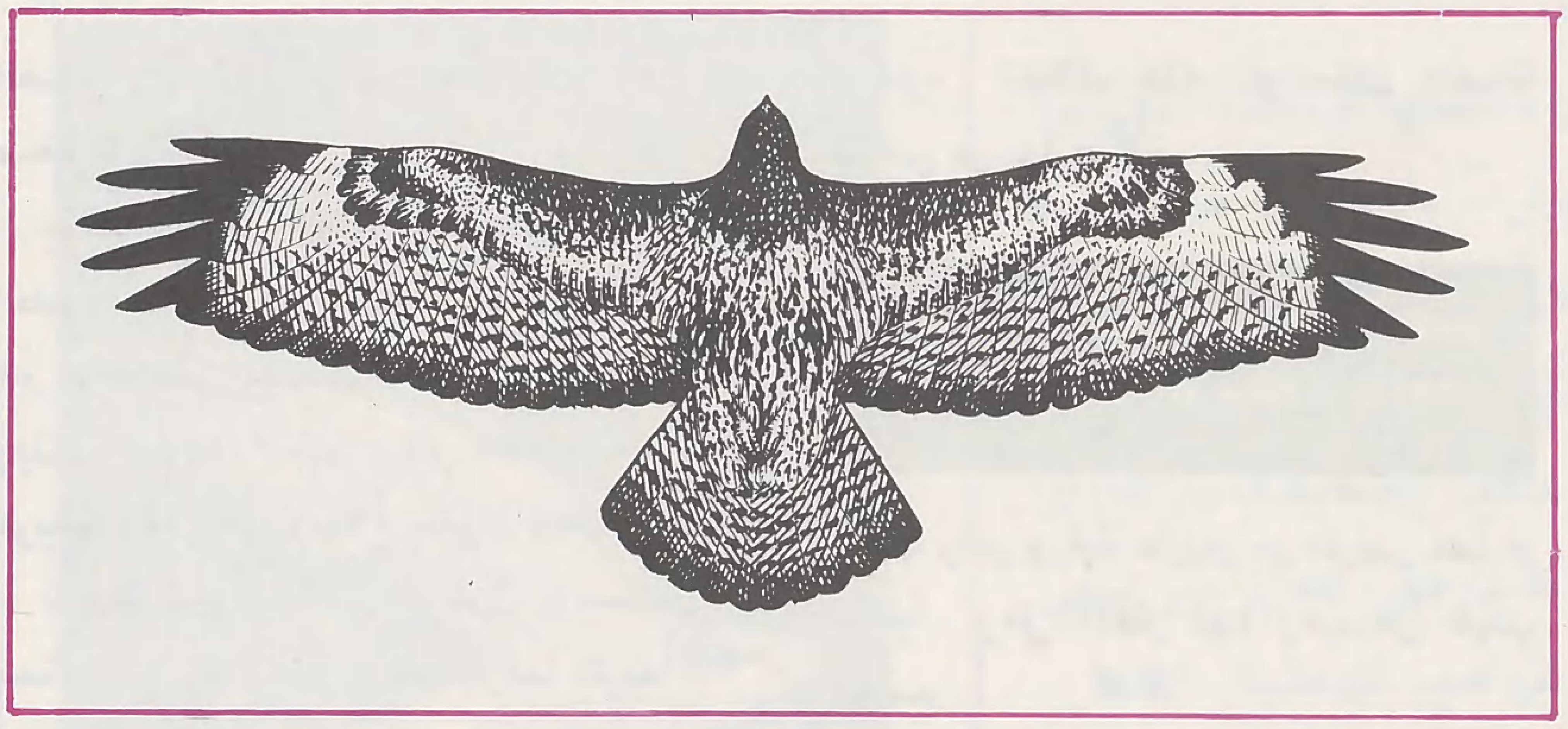

■ الحـــوَّام في حالـــة طيران ■

■ أنثى البـــاز ذات عين صفراء ■

■ العقـــاب ■

أنها تعمل كحواجز أثناء الطيران السريع لمنع الهواء المندفع من دخول الرئتين .

السـمع

الأذن في الجوارح غير واضحة أو متكيفة لتحديد الأصوات ، كما لدى البوم . في بعض النسور الأذن مجرد ثقب دائري صغير ، مغطاة بالريش أحياناً . ومع ذلك فإن سمعها حاد ، وإن كان أقل من سمع الإنسان .

في الغابات الكثيفة يصبح سمع الجوارح أكثر حدة ، وفتحات الأذن أوسع ، لأن الجوارح هنا تعتمد عليها للصيد .

الهارّ «Harrier» نوع من الصقور ، حاد السمع ، فتحة أذنه واسعة ، وتجويفها واضح ، يستطيع سماع حركة فأر في العشب الكثيف فينقضّ عليه .

الرقبـة

رقبة الجارح مرنة جداً ، متوسطة الطول ، لا تنكمش أثناء الطيران إلّا لدى النسر المعروف باسم الغريف «Griffon» وهو يتغذى على الجيف . نسور الأفاعي « Snake Eagles » تستطيع نصب شعر الرأس والرقبة لتشكل قلنسوة ، ربما تعتبر تهديداً للأفاعي التي تصْطادها .

الكندور «Condor» نسر أمريكي له طوق أبيض يشبه الثلج في أسفل الرقبة . ولدى النسر الملك رقبة برتقالية يحيط بها ريش رمادي .

معظم الجوارح لها حواصل في أسفل الرقبة ، كبيرة وناتئة ، مغطاة عادة بريش قصير يختلف لونه من طائر لآخر : وتستخدم الحوصلة لتخزين الطعام .

■ الصقر الحوّام أو الجراح : متوسط الحجم : أرجله قصيرة ، وأقدامه قوية وذيله طويل ■

جسم صغير

جسم الجارح صغير خفيف بالنسبة لمساحة أجنحته وما يغطيه من ريش : وقد تكيّف كثير من الجوارح لطيران بلا جهد كبير ، وذلك بالتخفيف أو بالتوقف نهائياً عن الرفرفة أثناء الطيران .

الباشق والباز مضطران للسرعة الفائقة والرفرفة للحاق بالفريسة : ولكنهما لا يستطيعان متابعة الفريسة مسافات طويلة . لذلك يستخدمان المفاجأة . شأنهما في ذلك شأن الفهد الذي لا يستطيع أن يتابع الغزال مسافات طويلة لأنه يشعر بالإرهاق بسرعة .

أقدر الجوارح قدرة على الرفرفة « العوسق » «Kestrel» والحدأة (الشوحة) . وهي تقلص من مجهودها بفرد الذيل .

الملحقـات

ملحقات جسم الطائر ، كالأجنحة والذيل والأرجل والأقدام ، متخصصة لأداء وظائف معينة . فالأجنحة للطيران ، سواء للتحليق أو الرفرفة : والذيل للمناورة وحفظ الاتجاه :

والأقدام لقتل الفريسة والإمساك بها : والأرجل مجرد أطراف للجثوم وحمل الأقدام القاتلة . إنها ليست متكيفة للمشي العادي ، باستثناء أرجل الطائر الكاتب .

معظم الطيور الجارحة تتردد وتتعثر أثناء المشي .

يتكون الجناح عادة من ريش قوي متصل بالعظام . القوادم العشرة « Ten Primaries » متصلة بعظام القائمة الأمامية «Manus» أو (اليد) . بينما تتصل الخافيات «Secondaries» بعظام الساعد «Ulna» (الخافية إحدى الريشات الصغار التي تختفي إذا ضم الطائر جناحه) فيما تتصل بعض الريشات الطيرانية الطويلة « Long Tertiary Feathers » بقاعدة العضد «Humerus» وهذه الأخيرة غير مهمة للطيران بشكل خاص .

النسبة بين طول وعرض الجناح تسمى النسبة الباعيَّة « Aspect Ratio » .

الأجنحة الطويلة الضيقة هي ذات نسبة باعية مرتفعة ، بينما الأجنحة القصيرة العريضة هي ذات نسبة باعية متدنية . كلما كانت النسبة الباعية مرتفعة كان الجناح أكثر قدرة على التحليق المستمر .

ولا تتأثر النسبة الباعية بالوزن لأنها تعتمد على المقاييس الطولية « Linear Measurements » بينما تتأثر حمولة الجناح « Wing Loading » بالوزن لأنها تعتمد على حجم الطائر . وحمولة الجناح مهمة جداً في ضبط أداء الطائر ، ومعناها بالضبط : الوزن الذي تحمله أي مساحة معينة في الجناح ، ويرمز لها عادة في علم الميكانيكا بالرمز التالي اختصاراً «N/m^2»

لـ « Newton's per Square Meter »

أي وحدة القوة في نظام المتر .

كلما كان الطائر أكبر وأثقل كانت حمولة الجناح أكبر ، وقد تتشابه حمولة الجناح لدى طيور ذات نسبة باعية مختلفة .

من ناحية أخرى كلما كانت حمولة الجناح متدنية كان طيران الطائر أبطأ ، وكانت قدرته على البقاء في الجو أقل ، بينما إذا كانت حمولة الجناح مرتفعة زادت القدرة على الطيران السريع والبقاء في الجو .

تتحكم حمولة الجناح أيضاً بقطر دائرة الانعطاف لدى الطائر « Turning Circle » فكلما تدنت الحمولة كانت الدائرة أصغر .

أشرنا إلى أن الذيل يستخدم للمناورة وضبط الاتجاه : وأهمية الذيل لأداء هذه الوظيفة أكبر من أهمية الجناح ، في المناطق المغلقة أو الغابات بشكل خاص . أما في المناطق المفتوحة فإنه يساعد الطائر على التحليق أيضاً . وتختلف نسبة حجم الذيل إلى الجناح من طائر إلى آخر . لكن ارتباط هذا الاختلاف بوظيفة معينة لا يزال غير معروف على وجه التحديد .

أثناء التحليق يفرد الطائر ذيله ، وأثناء الهبوط يرفعه أو يخفضه ليساعده على تخفيض معدل السرعة .

جوارح الغابات طويلة الذيل عادة ، لأنها بحاجة إلى ضبط التوجيه بين الأشجار ، لكن طول الذيل ليس مقتصراً عليها . وبشكل عام يمكن القول : إن الطيور ذات الذيل الطويل بطيئة الطيران وتحتاج إلى كثير من المناورة .

أما جوارح الماء فهي عادة ذات ذيل قصير لأنها لا تحتاج إلى كثير من المناورة ، إذ أنها تصطاد فريستها في البحار المفتوحة .

قلما تستخدم الأرجل للمشي . الطائر الكاتب هو الجارح الوحيد الذي يمشي عدة كيلو مترات يومياً . وأرجله طويلة جداً تبلغ ثلاثة أمثال أرجل النسور المشابهة له في الحجم ، تنتهي بأصابع صغيرة ، مناسبة للطيور التي تمشي مسافات طويلة . مثل الحباري «Bustard» لكنها غير مناسبة للإمساك بالفريسة : والطائر الكاتب لا يستخدمها لذلك ، وإنما يدوس فريسته ويبتلعها .

الجوارح التي تصطاد على الأرض تكون لها أرجل طويلة بشكل عام ، من ذلك بعض النسور الأوروبية التي تصطاد الضفادع والحشرات . كذلك فإن بعض جوارح الغابات لها أرجل طويلة تساعدها على اللحاق بالفريسة على الأرض أو بين الأشجار .

وعادة ما تتضافر الأرجل مع الأقدام والمخالب في عملية القتل ، وإن كانت الأقدام والمخالب لدى بعض الجوارح لا تستخدم لذلك .

عادة ما تكون الطيور التي تتخصص في أكل فريسة معينة ، متشابهة في أقدامها .

العقاب المتخصص في أكل الأسماك له قدم متكيفة مع هذه العملية ، بها إصبع خارجي قابل للتراجع ، وبقية الأصابع مسلحة بأشواك حادة تساعد على الإمساك بالأسماك . أما الأصبع الخارجي فيستخدم لحمل الفريسة .

نسور البحر ، التي لا يقتصر غذاؤها على الأسماك - كالعقاب - لها أصابع مسلحة بالأشواك ، لكن ليس لها أصبع خارجي .

بشكل عام تمتلك الطيور الجارحة أقداماً قوية ، وأصابع قوية ، ومخالب حادة معقوفة تستخدمها لقتل الفريسة مهما كانت كبيرة .

عادة ما تنقضّ الجوارح على فريستها لتمسك بها بقوة بأصابع ثلاثة ، اثنان من الأمام وثالث من الخلف ينغرز في جسد الفريسة كالخنجر ، فيما تؤدي القبضة نفسها إلى الاختناق وشل الفريسة .

■ الحداة : ذات عين حمراء وكتف سوداء ■

■ من صقور أمريكا الجنوبية ■

أيا طير

أيا طَيْرُ مالَكَ لا تَسْجَعُ ؟   كأنَّكَ تَعْرِفُ ما نَصْنَعُ !!
تَرانا نُجَمِّعُ أشْتاتَنا   ومِنْ ثَمَّ نَنْسِفُ ما نَجْمَعُ
ونَرْفَعُ بُنْيانَنا في المَساءِ   وفي الصُّبْحِ نَهْدِمُ ما نَرْفَعُ
ونَزْرَعُ أشْجارَنا المُثْمِراتِ   ونَأتي فَنَجْتَثُّ ما نَزْرَعُ
نَجوبُ السَّماءَ .. نَخوضُ البِحارَ   وفي كُلِّ أرْضٍ لَنا مَوْقِعُ
ولَكِنَّنا لا نَرى دَوْحَةً   تُظَلِّلُنا حينَما نَفْزَعُ
أيا طَيْرُ صَوْتُكَ يُشْجي الفُؤادَ   فَمالَكَ في وَحْشَتي تَقْطَعُ ؟
أتَحْزَنُ مِثْلي ؟! فَإنَّ الطُّيورَ   لَها جَوُّها الهادِئُ المُمْرِعُ
فَطِرْ وتَنَقَّلْ فَأنْتَ الطَّليقُ   ودَعْ ما يَسوءُ وما يَفْجَعُ
أراكَ تُرَفْرِفُ فَوْقَ الغُصونِ   وتَرْحَلُ إنْ شِئْتَ أو تَقْبَعُ
ولَوْ كانَ أُفْقُكَ هذا الرَّحيبُ   لِجِسْمي .. لَحَلَّقْتُ أسْتَمْتِعُ
ولَكِنَّني في مَضيقٍ عَسيرٍ   أُحِسُّ عَقارِبَهُ تَلْسَعُ
وحَوْلي أُناسٌ قُساةُ القُلوبِ   جُفاةٌ إذا ضَحِكوا أفْزَعوا
لَقَدْ كُنْتُ أكْتُمُ جُرْحَ الفُؤادِ   وأحْسَبُ كِتْمانَهُ يَنْفَعُ
وأدْفَعُ عَنْ خافِقي ما يَريبُ   ولَوْ أنَّهُ عاصِفٌ زَعْزَعُ
إلى أنْ أتَتْني رِياحُ الخَريفِ   وهاجَتْ مَنافِذُها الأرْبَعُ
فَهَزَّتْ فُؤادي بِعُنْفٍ فَطاحَ.........تْ وُرَيْقاتُهُ الخُضْرُ والأفْرُعُ
لَقَدْ طالَ بُعْدي وطالَ اغْتِرابي   وما لِيَ مِنْ حيلَةٍ أدْفَعُ
بِلادِيَ ألْمَحُها مِنْ بَعيدٍ   فَإنَّ الحَواجِزَ لا تَمْنَعُ
فَهاهِيَ أشْجارُها الباسِقاتُ   وهاهِيَ أغْصانُها شُرَّعُ
تُهيجُ الرِّياحُ لإذْلالِها   فَتَأبى انْحِناءً ولا تَخْضَعُ
وهاهِيَ أزْهارُها باسِماتٌ   وها هُوَ مَنْظَرُها المُمْتِعُ
أراها تُراقِبُ نورَ الصَّباحِ   فَفي النّورِ تَزْهو وتَضْوَعُ
أرى النَّهْرَ يَنْسابُ وَسْطَ السُّهولِ   وكَمْ يَتَلَهّى وكَمْ يُسْرِعُ
على جانِبَيْهِ تَقومُ الغِراسُ   ولِلْفَجْرِ أعْيُنُها تَنْزِعُ
مَساجِدُها لا أزالُ أراها   كَما هِيَ نَيِّرَةً تَسْطَعُ
ورُوّادُها مِلْءَ ساحاتِها   شَبابٌ على عَهْدِهِمْ خُشَّعُ
وإنّي لأسْمَعُ صَوْتَ الأذانِ   نَدِيّاً رَخيماً كَما يُرْفَعُ
أُحِسُّ بِقَلْبي يُلَبّي النِّداءَ   يُفَكِّرُ في الخَطْوِ بَلْ يَشْرَعُ
ويَطْلُبُ مِنّي أنْ أسْتَجيبَ   ولِلصَّدْرِ في لَهْفَةٍ يَقْرَعُ
أُهَدْهِدُهُ فَالمَدى شاسِعٌ   وإنْ كُنْتُ أُبْصِرُ أو أسْمَعُ
إذا عُدْتُ يَوْماً إلى مَرْبَعي   فَماذا يَقولُ لِيَ المَرْبَعُ ؟
أيَمْنَحُني العَطْفَ أمْ أنَّهُ   يَسوقُ مِنَ اللَّوْمِ ما يَلْذَعُ ؟
إذا قالَ لي قَدْ أطَلْتَ الغِيابَ   فَما كُنْتَ يا صاحِبي تَصْنَعُ ؟
بِماذا أُجيبُ ؟ وقَدْ ضاعَ وَقْتي   بِما لَيْسَ يُغْني ولا يُشْبِعُ
سَأذْكُرُ أنّي جَفَوْتُ السُّرورَ   وما طابَ لي بَعْدَهُ مَوْضِعُ
سَأذْكُرُ أنّي سَهِرْتُ اللَّيالي   وكَمْ كُنْتُ مِنْ صابِها أكْرَعُ
وكَمْ حاوَلَ القَلْبُ مِنّي الفِرارَ   ولَكِنْ تَمَنَّعَتِ الأضْلُعُ
سَأذْكُرُ كَمْ كانَ حُبّي لَهُ   وكَمْ كانَ شَوْقي .. فَقَدْ يَشْفَعُ

شعر :
محمد الخالد البيطار

أدلة تحريم الرِّبَا في قروض الإنتاج.. والتجارة

■■ لم يفرد هذا الموضوع ببحث مستقل بالعربية حتى الآن . وقد تعرض له كل من :

* الشيخ محمد أبو زهرة في « بحوث في الربا » ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، (ص ٤٣ ـ ٤٧ ، ادعاء أن الربا المحرم هو ربا الاستهلاك لا الاستغلال أو الإنتاج) .

* الشيخ أبو الأعلى المودودي في « الربا » ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٣٩٩هـ ، (ص ١٤ ـ ١٨) بصورة غير مباشرة ، بصدد بحثه عن (المبررات المزعومة للربا) .
وكذلك في « رسائل ومسائل » بالأردية ، بإيجاز ، كما علمتُ من بحث الدكتور فضل الرحمن بالإنكليزية الآتي ذكره .

* الدكتور محمد عبد الله العربي في « المعاملات المصرفية المعاصرة ورأي الإسلام فيها » (كلمة مبدئية عن الربا في القروض الإنتاجية) .

اما الدكتور فضل الرحمن فقد افرد الموضوع بالأردية والإنكليزية بعنوان « دراسة عن الربا التجاري » ، وقد اطلعت على النص الإنكليزي المنشور في مجلة الفكر الإسلامي في « عليكرة » عام ١٩٥٨م ، وهو من افضل ما كتب في الموضوع . وقد نشرت له ترجمة عربية بعنوان « مبحث تحليلي حول الربا التجاري » ، في مجلة البعث الإسلامي (لكهنؤ) ، المجلد [١٢] العدد [٧] ص ٤٨ ـ ٥٧ ، نيسان (ابريل) ١٩٦٨م ، والعدد[٨] ص ٦٧ ـ ٧١ ، أيار [مايو] ١٩٦٨م ، لكن الترجمة العربية خلت من الهوامش الكثيرة التي تضمنت التعليقات والمراجع ، كما جاءت ناقصة (٩) صفحات هامة عن الأصل الإنكليزي . وإني أشكر الدكتور محمد نجاة الله صديقي الذي تفضل بإرشادي إلى هذا المقال ، وامدني بصورة منه .

والباقون كلهم عالة ، ما عدا الجهل والخطأ والنسيان ، ولا ضير عندي أن أوصف بالجهل إذا عُلِّمت ، وبالخطأ إذا سُددت ، وبالنسيان إذا ذُكِّرت .

ولولا أن عندي ما أضيفه ـ على الأقل بزعمي الذي أترك التحقق منه للقارىء المهتم ـ لاكتفيتُ بهذه الإحالة وانصرفت لأوفر على القراء الوقت والجهد والمال والمساحات المخصصة لحفظ الكتب والمجلات والأبحاث ، فكلما صدر شيء سَعَوْا وراءه ، فكان في الغالب عندهم كالسراب يحسبه الظمآن ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً .

وإني أعرف أن هذا الكلام سيُغضب الكسالى ، ويَستفزُّ المخلَّفين ، ولن يرضي إلَّا قلة من المجتهدين المشمِّرين ؛ هؤلاء هم الأصحاب ، يُعتزّ بصحبتهم في دياجير الظلام ، ويُطمأن إليهم في المنشط والمكره ، ولا بأس ان تكون لهم المرافقة ، ولسواهم المفارقة ، مهما تباعدت الديار بين أولئك ، وتقاربت بين هؤلاء .

هذا ولن اتعرض لأدلة تحريم الربا على قروض الاستهلاك الضروري ، لأنها أوضح من أن يستدل لها . ومن أنكر هذا الربا فليعلم أنه لم يبقَ هناك اي ربا محرم ، ونقول له : فاين إذن الربا المحرم بالقرآن والسنَّة ؟!

اما من يقول بأن الفائدة المباحة ما كانت قليلة ، والربا المحرم ما كان كثيراً ، سواء اكان ذلك في قروض الاستهلاك أو في قروض التجارة ، ويمكن التمييز بينها من معدل الفائدة حسب المطلوب ، فله مقال آخر ، بإذن الله ، وإن كان أمره أوضح من أمر المسألة موضوع هذا المقال ، ذلك ان الربا هو كل ما زاد على رأس المال ، فهو صحيح بالنص ، مضبوط بالعقل ؛ اما التمييز بين القليل والكثير فلم يصح بالنص ، ولا ينضبط عند حد ، وإن كان إثم الكثير منه اكثر من إثم القليل .

الأدلـــــة

وقد استخدمتها بمعنى نصوص القرآن والحديث ، كما استخدمتها تجوزاً بمعنى نصوص العلماء ، فهم يساعدوننا بلا شك على فهم الأدلة الأصلية ، فكان الاستخدام الأول مفيداً للمجتهدين ، والثاني مفيداً للمقلدين . وهي أدلة نقلية وعقلية في آن معاً .

١ ــ الربا في القرض هو أي زيادةٍ على رأس مال أيِّ قرض . ولم تفرِّق نصوص القرآن والسنَّة في الربا بين قرض إنتاجي وقرض استهلاكي . (ارجع إلى النصوص وتأملها) .

٢ ــ نعم ، جاء الحث على الزكاة أو الصدقة أو الإنفاق في الآيات التي ورد فيها النهي عن الربا ؛ ولكن هذا لا يعني أن الربا مع الفقير هو الحرام فقط ، غاية ما يعنيه أن الربا معه أشدُّ بشاعة ، وأكبر حرمة ؛ ففقرُ الشخصِ والإيغال في معدل الربا يزيدان في الحرمة بلا ريب ، ولكن غنى الشخص وقلة المعدَّل لا يعني الحلِّيَّة .

والدليل على أن هناك رباً يسيراً وآخرَ فاحشاً ، وكلاهما حرام ، قولُه ﷺ : « الربا ثلاثة وسبعون باباً ، أيسرها مثل ... » [رواه ابن ماجه ، وصححه الحاكم] .

٣ ــ العلماء منذ عهد النبي ﷺ حتى يومنا هذا لم يفرِّقوا بين قرض استهلاكي وقرض إنتاجي ، فلم يجيزوا الربا على واحد منهما ، ويُجْمِعون على أن كل قرض جرَّ نفعاً (مشروطاً) فهو ربا .

٤ ــ نعم ، قالوا : إن القرض عقد معونة وإرفاق ، لكن هذا لا يعني أن القرض يمكن أن يصير ربوياً إذا لم يقصد منه المعونة والإرفاق ؛ بل يعني أن رب المال إذا لم يرغب في أن يكون مقرضاً ، يمكنه أن يكون شريكاً في شركة قراض (مضاربة) ، فيشترك في الربح ، ويتحمل الخسارة إذا وقعت . كما يمكنه أن يستثمر ماله بنفسه إذا أراد واستطاع ، في تجارة أو بيع أو إجارة وسائر الأعمال المشروعة .

٥ ــ وردت على السنة بعض الفقهاء ، بمناسبة بحثهم في السُّفْتَجة (وهي قرض يسدد في بلد آخر) أن فيها مصلحة أو منفعة لكل من المقرض والمقترض ، وهذا لا يعني إمكان تحويل القروض من قروض إحسان إلى قروض مصلحة متبادلة . وقد بيّنا ذلك في بحثنا عن السفتجة ، في مجلة أبحاث الاقتصاد الإسلامي ، [العدد الأول ، المجلد الثاني ، ١٤٠٤هـ] فليرجع إليه من أراد .

٦ ــ العلماء منذ عهد النبي ﷺ حتى يومنا هذا لم يجيزوا لرب المال في شركة القراض أن يحصل على مبلغ مقطوع ، ورأوا أن هذا يقطع الشركة ، ويخلّ بمبدأ العدالة بين الشريكين ، فقد لا تربح الشركة إلَّا هذا المبلغ أو أقل منه ، فيستولي عليه رب المال ، ويبقى العامل بلا شيء ! وقد لا تربح الشركة شيئاً ، فبِمَ يستحلّ ربُّ المال مالَ أخيه العامل ؟!

قد يقال : إن هذه شركة ، ولا يمكن للفقهاء أن يجيزوا لرب المال مبلغاً مقطوعاً له ، إذ لا تعود شركة . على كل حال ، إن مثل هذا الموضع كان مناسبة لأن يشار إلى الفائدة الربوية لو كانت جائزة ههنا ، لكنَّ فقيهاً واحداً لم يُجِزْ ذلك بهذه المناسبة .

٧ ــ بل نص الفقهاء على أن رب المال لو قدم ماله إلى العامل ، على أن الربح كله له ـ أي للعامل ـ ، لكان قَرضاً لا قِراضاً . وهذا دليل على أن القرض ، ولو قدم للتجارة ، فإن ذلك لا يجعل الفائدة عليه مباحة .

٨ ــ القروض الربوية لو جازت في زمانٍ ما ، لكان من المعقول والطبيعي أن تستخدم لأغراض الاستهلاك وأغراض الإنتاج معاً ، فالمستهلك قد يضطر إلى المال ، لسد بعض ضروراته ، أو يحتاج إليه لتمويل بعض حاجاته العادية أو الكمالية ، كما أن المنتج ، سواء أكان تاجراً أم صانعاً أم زارعاً ، يحتاج كذلك إلى تمويل شراء بعض المواد الخام ، أو دفع بعض الأجور أو النفقات ، أو شراء بعض الدواب أو السيارات أو الآلات ، أو إجراء بعض الإصلاحات في متجره أو مصنعه أو مزرعته . وربما فضل هذا المنتج أن يحصل على المال عن طريق القرض لا عن طريق الشركة ، لأن الفائدة التي يدفعها لرب المال تكون محدودة ، أقل من حصة الربح المقدرة ، ولأنه لا يرغب في شريك يتدخل في أعمال إدارته . هذا من جهة صاحب المشروع ، أما من جهة رب المال ، فقد لا يريد المخاطرة ، وقد لا يثق كثيراً بصحة حسابات المشروع التي يقدمها إليه ، ولا يرغب التدخل في الإدارة وفحص الحسابات ... إلخ .

ومع ذلك فلم نجد فقيهاً واحداً ، من عصر النبي ﷺ حتى يومنا هذا ، بمناسبة بحثه عن القِراض (المضاربة) أو الشركة بأنواعها أو المساقاة أو المزارعة أو المغارسة ، يجيز لرب المال أن يحصل على فائدة ثابتة على ماله الذي يقدمه لمشروع تجاري أو صناعي أو زراعي . هذا مع ما عرف من أن عرب الجاهلية كانوا قوماً تجاراً ، ولهم قوافلُ ورحلاتُ تجارية . [انظر كتاب أسواق العرب في الجاهلية والإسلام للأستاذ سعيد الأفغاني] .

٩ ــ ومن قال : إن انتشار القروض الإنتاجية اليوم يدعو إلى إباحة الفائدة عليها ، في حين أنها لم تكن منتشرة في الجاهلية ، فقد ارتكب خطأين :

● الأول : لا دليل معه على دعواه ، بل الدليل عليه في أن القروض التجارية كانت موجودة (قروض ثقيف لبني المغيرة ، قروض العباس ، قروض القوافل ، كقافلة أبي سفيان) . وقد بيَّن ذلك عدد من العلماء . والربا في الجاهلية كان تجارة ، لا فرق بين قرضٍ للاستهلاك وقرض للإنتاج . ﴿ قَالُوا : إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ﴾ (البقرة : ٢٧٥) . [وانظر الطبري في تفسيره : ٣/ ٦٦] . فإذا كانت القروض الربوية للاستهلاك شائعة ، فإنه من غير المعقول ألَّا تمنح قروض ربوية للتجارة ، بل هذا لا بد وأن يكون من باب أولى .

وقد روى مالك في الموطأ ، والشافعي في الأم ، قصة أبي موسى الأشعري مع ولدي عمر بن الخطاب ، إذ أسلفهما للتجارة . فلو كان القرض التجاري جائزاً بفائدة ، لكان أسلفهما بفائدة ، لا سيما وأن عمر اراد مشاطرتهما ، فلم يمكنه ذلك إلَّا بالقِراض . وبهذا يضمن أبو موسى إرسال المال إلى أمير المؤمنين مضموناً أَصْلُه وفائدتُه معاً ، فيحقق غرضَه وزيادة . [راجع بحثي عن السفتجة في مجلة أبحاث الاقتصاد الإسلامي ، وقد سبقت الإشارة إليه] .

كما أن هند بنت عتبة استقرضت من بيت المال (أربعة آلاف تتّجر فيها وتضمنها ، فاقرضها (عمر بن الخطاب) ، فخرجت فيها إلى بلاد كلب ، فاشترت وباعت ... فلما اتت المدينة وباعت ، شكتِ الوضيعة (اي الخسارة) ، فقال لها عمر : لو كان مالي لتركتُه لكِ ، ولكنه مالُ المسلمين !) [تاريخ الطبري ٣/ ٢٩ ــ ٣٠ ، الحوادث التي وقعت في ٢٣هـ ؛ وفضل الرحمن ص ٤٣ في مجلة الفكر الإسلامي ، عليكرة ، المجلد الخامس ، رقم ٤ و ٥ ، تموز (تشرين الأول) ١٩٥٨م] .

أدلـة تحريم الربـا في قروض

الإنتـاج .. والتجارة

ص ٢٤ ـ ٤٦] . فهذا دليل على أن الدولة الإسلامية كانت تمنح قروضاً تجارية بلا فائدة . ولو كانت الفائدة على مثل هذه القروض جائزة ، لما فرّط عمرُ بحق بيت مال المسلمين .

ولو كانت الفائدة على قروض الإنتاج جائزة ، لكانت أموال اليتامى احق بها ، لما في ذلك من حفظ وضمان ونماء ، ولرعاية الشارع لها ، حتى إن الفقهاء نصّوا على أن المستقرض إذا كان مُعْسراً في الابتداء فلا يجوز إقراضه مالَ اليتيم . [انظر : البناية في شرح الهداية ٧/ ٦٤ ، باب كتاب القاضي إلى القاضي ، وانظر فضل الرحمن] .

لكن الفقه الإسلامي وتاريخه لم يذكرا أن مالَ يتيمٍ واحدٍ قد أُقرض بفائدة . فإما أنه كان يقرض بلا فائدة لمجرد الحفظ والضمان ، وإما أنه كان يقدم قِراضاً . ففي الحديث : « اتجروا في أموال اليتامى لا تأكلها الزكاة » [رواه الطبراني في الأوسط ، والبيهقي في مجمع الزوائد ٣/ ٦٧ ، وروى مثله الشافعي والترمذي والبيهقي في السنن] فقال : اتجروا فيها ، ولم يقل : اقرضوها بفائدة أو بربا .

ولو كانت الفائدة مباحة على قروض الإنتاج ، لكان أول من أدّاها الزبير بن العوام لمن كان يفضّل أن ياخذ أموالهم سلفاً ، لا وديعة ، لكي يضمنها لهم ويتصرف بها في آن معاً . قال في [فتح الباري ٦/ ٢٣٠] : (ما كان يقبض من أحدٍ وديعةً ، إلَّا إن رضي صاحبها أن يجعلها في ذمته ، وكان غرضه بذلك انه كان يخشى على المال أن يضيع ، فيظن به التقصير في حفظه ، فرأى أن يجعله مضموناً ، فيكون أوثق لصاحب المال ، وأبقى لمروءته) .

وفي المرجع نفسه ٤/ ٢٣٤ : (وفيه مبالغة الزبير في الإحسان لأصدقائه ، لانه رضي ان يحفظ لهم ودائعهم في غيبتهم ... ولم يكتف بذلك حتى احتاط لأموالهم وديعة أو وصية بأن كان يتوصل إلى تصييرها في ذمته ، مع عدم احتياجه إليها غالباً ، وإنما كان ينقلها من اليد إلى الذمة ، مبالغة في حفظها لهم) .

اقـــول : لعلَّ مقصوده ايضاً رغبته في التصرف بالمال ، كي لا يضيع أو يعطل إذا بقي محفوظاً ؛ والتصرف به يكون باستعماله لنفسه أو لغيره بالصلح وسواه من الأعمال المشروعة والمستحبة ، وكذلك بالتجارة وشراء العقار ، كما يمكن أن تدل على ذلك قصة الزبير [فتح الباري ٦/ ٢٢٧ ـ ٢٣٥] .

● الثـــاني : لو سلمنا جدلًا بصحة دعوى من يقول بأن قروض الإنتاج لم تكن منتشرة في وقت التحريم ، كان معنى ذلك أنه يجعل النصوص مقصورة على خصوص السبب ، لا ممتدة إلى عموم الالفاظ ، ويجعل جوامع الكلم من الكَلِم المحدود ، ويتهم الشريعة بالنقص والقصور ، أو النبي ﷺ بعدم التبليغ أو البيان أو التفصيل .

وكيف يصدِّق مسلمٌ ان شرع الله ليس صالحاً لكل زمان ومكان ؟! الا يعلم اللّهُ تطوراتِ كل عصرٍ ومصر ؟ بلى والله .

١٠ ـــ كما أن الفقهاء في بيع السلَم لم يجيزوا للمشتري (صاحب راس المال) أن يسترد أكثر من ماله المدفوع ، إذا لم يتمكن البائع من تسليم المبيع في الأجل ، أو ينتظر تسليم المبيع بدون زيادة . فلو كان الربا بين المتبايعين والتجار جائزاً لأجازوا ذلك .

١١ ـــ نعم ، أجاز جمهور الفقهاء زيادة الثمن في بيع النسيئة لمجرد الأجل ، وزيادة المبيع (المؤجل) في بيع السلَم . لكن البيع غير القرض ، فالأول تبادل مختلفَيْن والثاني تبادل متماثلَيْن . ولا أدل على ذلك من ان الثمن في البيع المؤجل إذا استُحِق صار كالقرض ، لا تجوز في مقابل تاخيره أو تاجيله اي زيادة .

١٢ ـــ لم يُجز الفقهاء أن يُستحل الربا بالبيع ولا بالشركة . بل هناك نص قرآني صريح على لسان عرب الجاهلية : ﴿ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ﴾ (البقرة : ٢٧٥) يفيد هذا المنع . وهناك أيضاً بعض الأحاديث التي تمنع السلف والبيع ، منها : (لا يحلُّ سلَف وبيـع) [رواه الخمسة ، وصححه الترمذي وابن خزيمة والحاكم] . وأذكر أني قرأت حديثاً عند ابن تيمية في « الفتـاوى » ، وابن القيم في « إعلام الموقعين » ٣/ ١٧٨ ، معناه أنه يأتي على الناس زمان يستحلّ فيه الربا باسم البيع . وَلِمَ لا يكون كذلك وقد أحل الله البيع وحرَّم الرِّبا ؟!

لو كان البيع يُحلّ الربا لجاز اجتماع البيع مع السلَف ، ولجاز بيع العِينة ، والتورُّق ، والمحلَّل ، وبيع الوفاء ، وبيع الاستغلال ، وبيع المعاملة ... وما إلى ذلك . [انظر تفصيل ذلك في كتب الفقه ، ولا سيما فتاوى ابن تيمية ، وإعلام الموقعين لابن القيم ، وحاشية ابن عابدين ، ومجلة الأحكام العدلية وشروحها ، وانظر كذلك الحيل الفقهية في المعاملات المالية للدكتور محمد بن إبراهيم (رسالة دكتوراه) ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ١٩٨٣م] .

١٣ ـــ نهى رسول الله ﷺ عن بيع الصُّبْرة من التمر ، لا يعلم مَكِيلتها ، بالكيلِ المسمَّى من التمر [أخرجه مسلم والنسائي] . وما سبب النهي إلَّا أن البَدَلَيْن اللذين لا يجوز فيهما التفاضل ، لا بد من أن يتحقق فيهما التماثل (التساوي) ، لأن الجهل بالتماثل كالعلم بالتفاضل ، كما قال العلماء في مجال الربا ، والقرض مما يجب فيه التماثل ، ولا عبرة بنوعه أو بغرضه ، هل هو استهلاكي أم إنتاجي ؟

■ التفريق في الربا بين الاستهلاك والإنتاج جاء في عصر متأخر تحت وطأة انتشار الربا ومحاولات إباحته بشتى الذرائع والحيل .

■ العلماء منذ عهد النبي ﷺ حتى يومنا هذا لم يجيزوا لرب المال في شركة القراض أن يحصل على مبلغ مقطوع ورأوا أن هذا يقطع الشركة .

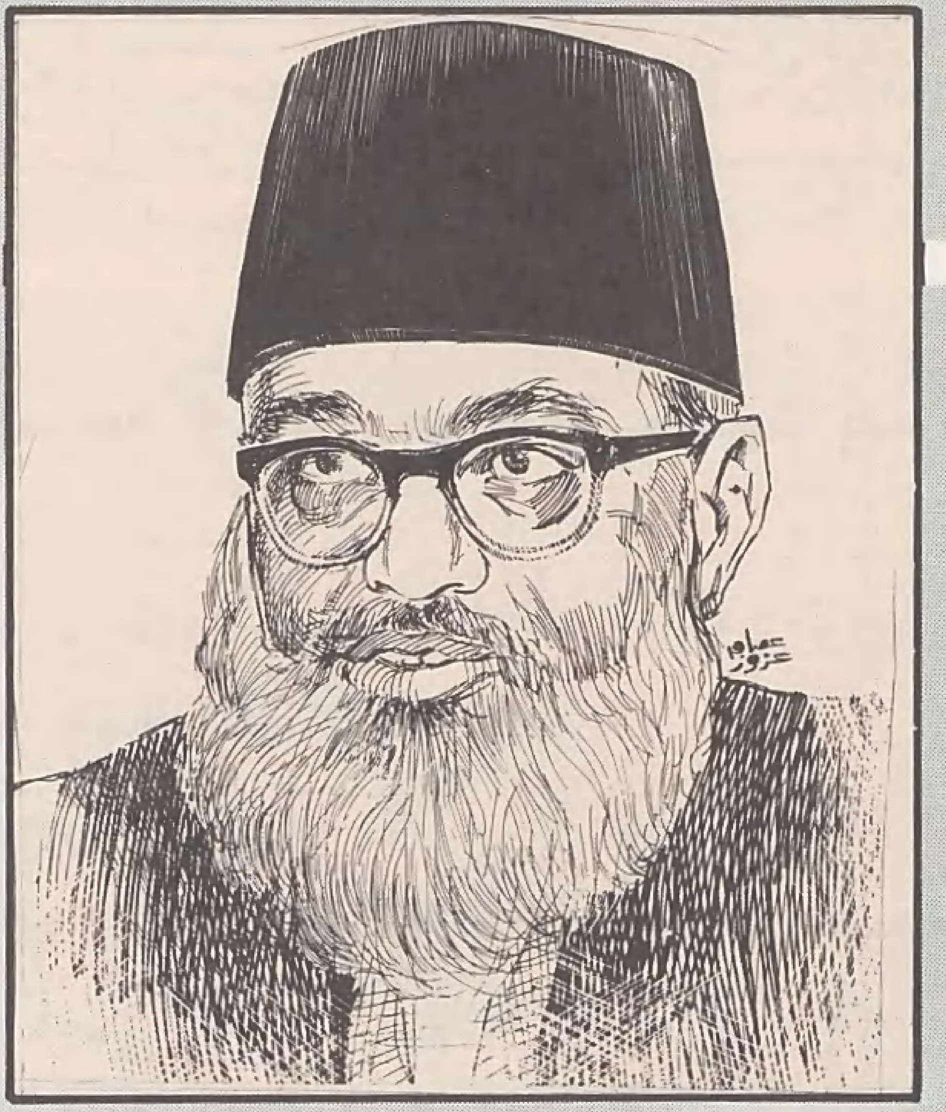

■ أبو الأعلى المودوي رحمه الله ... المبررات المزعومة للربا ■

١٤ ــ لو كان الربا جائزاً بين المتكافئين ، كالمتبايعين ، لجاز الصرف المؤخر ، ولكن الأحاديث الصحيحة جاءت بالتأكيد على وجوب التقابض في المجلس ، بغض النظر عن حاجة أحد المتصارِفَيْن او غناه .

١٥ ــ في الحديث الصحيح : (الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ... فإذا اختلفت الأصناف فبيعوا كيف شئتم ...) . لو كان الربا التجاري جائزاً لقال : فإذا اختلفت الأغراض ، ولم يقل : إذا اختلفت الأصناف . والذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ... ينطبق على كل قرض ، ولا عبرة للإنتاج والاستهلاك .

ومن اراد أن يأخذ جواز الفائدة على قروض الإنتاج من القرآن وحده ، بالاعتماد على بعض الأمارات أو الإشارات ، كان معنى ذلك انه يهمل السنة ، ويرى انها تاريخية ، غير واجبة التطبيق في كل زمان ومكان ، وانها ليست وحياً . كما انه لا يعبأ بعمل الصحابة ، وتفسير المفسرين ، وشرَّاح الحديث ، واجتهادات الفقهاء ، ونتاج العقول السابقة . وهل يقول بذلك عاقل ؟!

١٦ ــ هذا التفريق في الربا بين الاستهلاك والإنتاج جاء في عصر متاخر ، تحت وطأة انتشار الربا ، ومحاولات إباحته بشتى الذرائع والحيل .

١٧ ــ قد يقـــال : إن هناك قروضاً لأغراض استهلاكية غير ضرورية ، فلا هي إنتاجية فنطبق عليها أحكام القِراض ، ولا هي استهلاكية فنطبق عليها حكم القَرض الحسن ، والجـــواب :

إما ان تقرض لهذه الأغراض ايضاً قرضاً حسناً إذا شئت ، أو تمتنع عن الإقراض فيها . ذلك بأنه ليس من المرغوب التوسع في القرض لمثل هذه الأغراض الكمالية . فمن أراد مثل ذلك فعليه أن يعتمد على موارده الخاصة ، بل إن الشريعة ندبتنا إلى عدم الإسراف ، فضلاً عن أن نقترض لأجل الإسراف . ومن معاني الإسراف أن تتجاوز في الإنفاق قدرتَك عليه . هذا من ناحية الكم . أما من ناحية الكيف ، فمن الإسراف ايضاً أن يوضع عقدُ القرض في غير موضعه . فالمسلم يرى أَلَمَ مِنَّةِ الاستقراض اشدَّ من لذَّةِ إشباعِ ما لا ضرورةَ له ، وما لا يحتاج إليه ، وتجاوز الحد في المباح يعدُّ إسرافاً ، فكيف إذا كان في حرام ؟!

١٨ ــ قد يقـــال : إن هناك بعض التطبيقات المعتمدة على معْدل الفائدة ، ربما أصبحت منتشرة ، ومن الصعب الاستغنـاء عنها . والجـــواب :

إن مثل هذه التطبيقات لم توجد إلَّا بعد وجود (أو إستباحة) معدل الفائدة . ولما كانت الفائدة غير مشروعة ، فإن كل التطبيقات القائمة عليها تكون غير مشروعة . ولو ايقن المسلمون بالحرمة ، وفهموا الدين حق الفهم ، وتعلموا العلم ، وجاهدوا بالفكر والسعي والعمل ، وتركوا البطالة والبلادة والكسل . لوصلوا إلى تطبيقات بديلة اقوىٰ وأجدىٰ ، والله اعلم بهم وبما يصلح لهم لسعادتهم وتفوقهم على غيرهم . أما الكسل والعجز فهما لا يحلان الحرام ، وعلينا ان نستعيذ بالله منهما كما استعاذ رسول الله ﷺ ، لا أن نتوسل بهما آفتين لتحليلِ آفـةٍ اكبر .

وإننا لنحتاج إلى علم وعمل ويقين . وأعني باليقين : الإيمان الذي يترسخ نتيجة التحقيق في فهم الدين ، وفهم العلوم ، فإذا ما كان فهمنا ضعيفاً كان إيماننا هشاً ، وسعينا باطلاً ، وتوكلنا مدخولاً فيه . وساد جو ينبسط فيه الجهلة والأكَّالون . وينقبض العلماء العـاملون والمخلصون . وهذا يأخذ بنا إلى تجاربَ أصيلةٍ وجريئة ، لا إلى معالجات سطحية ومحدودة . إننا نحتاج إلى افكار جديدة ، ومؤسسات جديدة ، وبُنًى مستقلة ، لا أن نأتي إلى إحدىٰ مؤسساتهم الجاهزة ، فنستلَّ منها ، على استحياءٍ وخورٍ وتردد ، عنصراً ونستبدل به آخر ، فنضطر بعد حين إلى الرجوع للأخذ به ، صراحة أو ضمناً . فما حرمناه في الظاهر نعود إلى استحلاله في الباطن ، فيكون مثلنا مثل من يريد أن ينزع السكّة ، ويسيِّر القطارَ نفسه على الحجارة ، فإما أن يخرب القطار ، أو يعود القطار إلى السكة !

فكرة المصـــرف (البنـك) ليست جديدة :

المصرف ليس إلَّا وسيطاً يقترض المال من ذوي الفائض (هم اصحاب فائض لعجزهم عن استثماره أو حفظه بأنفسهم) ليستغلّه بنفسه ، فيقرضه إلى ذوي العجز (هم من ذوي العجز لحاجتهم إلى المال في تجارتهم أو صناعتهم أو زراعتهم) .

لكن تجدر الإشارة إلى أن القرض لما كانت الفائدة عليه ممنوعة في الإسلام ، فإن الخدمة التي يقدمها هي خدمة مزدوجة :

* لصاحب المال يقدم الضمان فيكون ماله مضموناً في ذمة المقترض ، سواء ربح هذا أو خسر ، وسواء تعدَّى أو لم يتعدَّ . ولو لم يقدمه قرضاً ، لبقي المال عنده ، ولتحمَّل

أدلـــة تحريم الربا في قروض الإنتاج .. والتجارة

أخطار ضياعه أو تلفه ، أي : لبقي مضموناً عليه ، لأنه مالكه .

* للمقترض أن يقدم له إمكان استغلاله ، ويكون الربح له ، في مقابل أن ضمان الخسارة عليه .

وقد مرَّ أن الزبير بن العوام كان يثق الناس به ثقة كبيرة ، فيستودعونه أموالهم ، يحفظها لهم ، ولكنه كان يرغب في المزيد من هذا الحفظ ، فيضمنها لهم ، ويأخذها قروضاً عليه في ذمته ، وكان يستثمرها . ومعلوم أن الاستثمار في الإسلام يمكن أن يكون مباشراً ، أي : الزبير نفسه يتاجر بها وحدَه أو مع شركاء آخرين ، أو يكون غير مباشر ، فيمكنه أن يدفعها إلى غيره مضاربة ، فيأخذ حصته من ربح المضاربة ، ويضمن المال لأصحابه من يتامى أو غيرهم .

وقد ذكر ابن بطال أن الزبير كان يأخذ المال قرضاً لا وديعة ، (ليطيب له ربح ذلك المال) ، وذلك زيادة على ما ذكره غيره من أن ذلك (أوثق لصاحب المال ، وأبقى لمروءته) [راجع ، فتح الباري : ٦/ ٢٣٠] . وقد رأى ابن حجر أن في قوله نظراً . والحقيقة أن ما عرف من مناقب الزبير وانشغاله في الجهاد حتى كان في صدره أمثال العيون من الطعن والرمي ، يجعلنا نتردد في أن يكون غرضه هو الرغبة في تنمية المال بالتجارة فحسب . [راجع سيرة الزبير في سير أعلام النبلاء للذهبي : ١/ ٤١ ـ ٦٧ طبعة الأرنؤوط ، وفي حياة الصحابة للكاندهلوي : ١/ ٢٨٨ و ٢/ ٢٢٨ ـ ٢٣١ و ٢/ ٦٩٣ ومواضع أخرى ، وفي الأعلام للزركلي : ٣/ ٤٣ . واذكر قول رسول الله ﷺ : « لكل نبي حواريٌ ، وحواريَّ الزبير » رواه الشيخان وغيرهما] .

على انه أياً ما كان الأمر ، فإن سمعة الزبير ، وثقة الناس به ، وأخذه الأموال قروضاً لا ودائع ، كل ذلك لا يمنعه من التصرف بالمال بسائر وجوه التصرف من استهلاك أو استثمار ، فهذا أنفع لأرباب المال ، وأحفظ للمال ، وأصلح للمجتمع ، حتى صارت إدارته لهذه الأموال أشبه بإدارة المصرف (البنك) ، وإن كان هذا المصرف ليس همّه المتاجرة والربح فقط ، بل كان همه الأول خدمة الجماعة . ولقد توفي الزبير وكانت أمواله كثيرة ، وجلُّها من الغنائم ، والديون عليه أكثر ، ولا أدلّ على اهتمامه بديون الناس من قوله : (إنَّ من أكبر همِّي لَدَيْني) [فتح الباري : ٦/ ٢٢٧] . وأخَّرَ ابنه عبد الله قسمَ ميراثه أربعَ سنين ، ولم يقبل معاونة أحد ، وظل ينادي في موسم الحج ، استبراءً للديون الكثيرة ، وأصحابها متفرقون في مدن عديدة : (ألا من كان له على الزبير دَين ، فليأتنا فَلْنَقْضِه) [فتح الباري : ٦/ ٢٢٨] . وخلال ذلك استثمرت أمواله ، وبارك الله فيها ، وبيعت عقاراتُه بأثمانٍ طيبة ، فقضيت الديون ، وقسم الميراث ، وراح على الورثة الشيء الكثير .

ولا ريب أن هذا العمل الذي كان ينهض به الزبير مطابق تماماً لروح العمل المصرفي ، على أساس إسلامي . وهكذا كان يفعل أبو حنيفة ، وأبو يوسف . [انظر فضل الرحمن ص ٤٤ ، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد : ٧/ ٣٥٢] .

وليس هناك ما يمنع بالطبع أن يأخذ الزبير أو غيره مال الناس مضاربة ، ليعمل به بنفسه ، أو يدفعه إلى غيره مضاربة ، فيكون مضارِباً يضارب كما هي عبارة الفقهاء ، أو وكيلاً عن أرباب المال في استثمار أموالهم .

وبهذا يمكن القول بأنَّ المصرف كان موجوداً ، إلى حدٍ ما ، ولو لم يكن معروفاً بهذا الاسم ، ولا على هذا المستوى التنظيمي الواسع الذي يعرفه عصرنا .

الفائدة على القروض التجارية المشتركة (الفائـــدة على الودائع المصرفيـــة)

بقيت مسألة أخيرة في الموضوع ، ذكرها بعض المعاصرين ، وهي أن المصرف إذ يتلقى أموالاً كثيرة من أناس كثيرين ، فيستثمرها لهم في مشروعات تجارية متعددة ومتنوعة ، هل يجوز له أن يمنح أصحابها فائدةً محددة عليها ، على اعتبار أن « قانون الأعداد الكبيرة » وحسن تصرف المصرف في اختيار المشروعات الرابحة على أساس دراسات الجدوى الاقتصادية ، يسمحان له بتوقع الربح ، مما يجعل الفائدة المحددة سلفاً نوعاً من الربح المعجل على الحساب ، فكأن هذا القَرض قِراضٌ معلومُ الربحِ مسبقاً .

وهذا يطبق في علاقة المصرف مع المودعين ، بوصفه أجيراً مشتركاً يقوم نيابةً (وكالة) عن أرباب المال في استثمار أموالهم ، أو مضارباً (مشتركاً) يضارب لغيره بهذه الأموال . ولا يطبق في علاقة المصرف مع

■ إنَّ حرمة الربا كفرض الزكاة : وهما شعيرتان بارزتان من شعائر الإسلام ، فلا يستعاض عن الأولى بالفائدة ولا عن الثانية بالضريبة .

■ لو أيقن المسلمون بحرمة التطبيقات المعتمدة على معدل الفائدة وفهموا الدين حق الفهم وجاهدوا بالفكر والسعي والعمل وتركوا البلادة والكسل لوصلوا إلى تطبيقات بديلة أقوى وأجدى .

■ الشيخ محمد ابو زهرة رحمه الله : هل الربا المحرم هو فقط ربا الاستهلاك لا الاستغلال والإنتاج ؟ ■

رجال الأعمال الذين يستفيدون من تمويل المصرف لهم . ذلك لأن قانون الأعداد الكبيرة لا ينطبق عليهم ، فمشروعهم قد يربح وقد يخسر . فعلاقة المصرف مع كل منهم علاقة مشروع واحد ، أما علاقة المصرف مع المودعين فهي علاقة مع مشاريع متعددة ومتنوعة ، يتجه فيها الربح المتوسط نحو نسبة معينة ، يُجبر فيها الربح القليل في مشروع مع الربح الكبير في آخر ، والخسارة في مشروع مع الربح في آخر ، فيحدث نوع من التعاوض ويصبح الربح شبهَ مؤكد ، ويميل إلى مستوى معين يمكن التنبؤ به مسبقاً . وسبب تحريم الفائدة على قروض الإنتاج والتجارة ، هو أن المشروع قد يخسر ، وقد يربح ، وإذا ربح فالربح غيرُ معلومٍ مقدارُه مسبقاً . وهذا في الحالة المذكورة غير قائم ، فالفائدة تكون توزيعاً مسبقاً لربح معلوم ، ويتعزز هذا الجواز ، في نظر أصحابه ، إذا كان ربح المصرف مضموناً ، كأن تتعهد الدولة بضمانه .

نقـــد :

قد يبدو في هذا التفريق بعض الوجاهة لأول وهلة ، إذا ما أحسن عرضه ، غير أن التأمل يفضي بنا إلى إيراد المآخذ التالية :

١ ــ مهما كان الربح يميل إلى أن يكون معلوماً ومضموناً بالتنبؤ ، فإن النصوص تبين أن القرض الربوي محرم . ولا ريب أن القرض بفائدة يعتبر قرضاً ، ولا يصح أن يسمى قِراضاً . والمقرض عندما يطمئن إلى معلومية الربح وضمانه ، لا فرقَ عنده بين القرض بفائدة والقِراض ، بل ربما يطمع أكثر في القِراض ، لأن الربح الذي يحدد له سلفاً قد يكون فيه هامش ضمان للمصرف ، أي فيه نقصان .

٢ ــ نعم أجاز الفقهاء لرب المال أن يطلب من العامل ، في المضاربة ، ألَّا يبيع إلَّا بثمن كذا ، أو بربح كذا ، أو بما لا يقل عن كذا . لكننا نقول حتى مع هذا الشرط ، لا يمكن التنبؤ بمصاريف المضاربة ، وتغيرات الأثمان ، أثمان الخامات والسلع ، ومستوى الأجور ... وإذا أمكن أن يعلم الربح الإجمالي (أي غير الصافي) لكل صفقة ، فلا يمكن أن يعلم الربح الصافي لمجموع الصفقات خلال المضاربة كلها . فهناك مفاجآت ، وتقلبات ، وجوائح ...

٣ ــ رأى بعض الفقهاء (ابن تيمية وابن القيم) أن أجر الأرض والشجر (ضمان البساتين) لا بد وأن يوضع عن المزارع ، إذا أصابت الزرع أو الثمر جائحة . وهذا قريب من بعض النواحي من اقتراح تجويز الفائدة على قروض الاستثمار ، مع وضعها إذا وقعت مفاجآت ، كإفلاس المصرف مثلًا .

لكننا نقـــول : إن أجر الأرض الأكثرون على جوازه ، وأجر الشجر جاء تبعاً له ، ولاتصال الشجر بالأرض ، فكلاهما أصول ثابتة . وهؤلاء الفقهاء يرون وضع الأجر إذا وقعت جائحة . غير أن الفائدة ليست كالأجر ، فهي حرام ، والأجر حلال . فإذا كان الأجر يوضع في المآل احتمالاً ، فإن الفائدة لا تجوز أصلاً .

٤ ــ هذا التفريق بين القروض المقدمة إلى المصرف والقروض المقدمة من المصرف ، حيث تجوز الفائدة على الأولى دون الثانية ، ليس مسلماً . فحتى القرض الممنوح من المصرف إلى رجل الأعمال ، سيأتي صاحب الاقتراح نفسه أو يأتي غيره ، في وقت لاحق ، فيطالب بجواز الفائدة عليه ، بدعوى أن رجل الأعمال هذا رجل غني ، وكبير ، وله أعمال ومشاريع كثيرة ومتنوعة ، يمكن أن يطبق عليها قانون الأعداد الكبيرة ، ويمكن للمصرف أن يتقاضى من هذا الرجل فائدة محددة مقدماً !

٥ ــ ثم تكون النتيجة أن المصرف يفضل التعامل مع هؤلاء الكبار بالفائدة الثابتة ، فيساعد بذلك على دعم الشركات الكبيرة والعملاقة المتعددة الجنسيات (الاحتكارات الكبرى) ، وحرمان المشروعات المتوسطة والصغيرة ، ليعود الائتمان المصرفي في خدمة الأغنياء .

٦ ــ وأخيراً فإني أرى أن حرمة الربا كفرض الزكاة شعيرتان بارزتان من شعائر الإسلام ، فلا يستعاض عن الأول بالفائدة ولا عن الثانية بالضريبة ، والله أعلم .

الخاتمـــــة :

وهكذا فإن الفائدة على جميع أنواع القروض محظورة ، سواء أكانت للاستهلاك أم للإنتاج أم للتجارة .

ولا تصير حلالاً مهما أمكن التنبؤ بالربح . وقد قدمنا الأدلة على ذلك ، والله الهادي إلى الصواب .

مكتبة الأمة

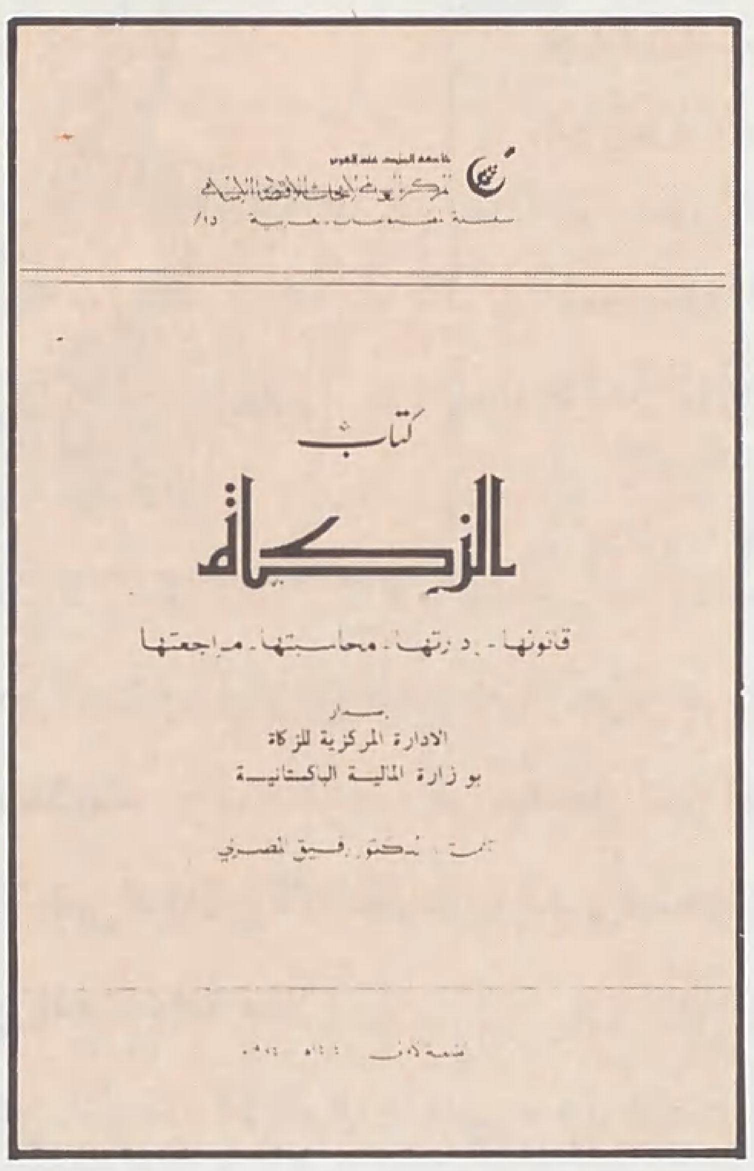

الكتاب : كتاب الزكاة

المترجم : الدكتور رفيق المصري

الناشر : المركز العالمي لأبحاث الاقتصاد الإسلامي - جامعة الملك عبد العزيز

□□ الكتاب ترجمة عربية كاملة لكتاب الزكاة الصادر عن الإدارة المركزية للزكاة بوزارة المالية الباكستانية، وقد قام بالترجمة الدكتور رفيق المصري بتكليف من المركز العالمي لأبحاث الاقتصاد الإسلامي، والكتاب كما يقول الأستاذ مدير المركز:

أول كتاب، فيما نعلم، يضم في آن معاً قانون الزكاة واللوائح التنفيذية المختلفة له، كما يبين بالتفصيل إدارة الزكاة ومحاسبتها ومراجعتها، الأمر الذي يهم قطاعاً كبيراً من رجال الأعمال المسلمين، ورجال العلم المختصين في المالية العامة والمحاسبة والمراجعة...

والكتاب يشتمل إضافة إلى قانون الزكاة لوائحه التنفيذية مثل: لائحة اقتطاع - رد الزكاة، ولائحة تحويل - صرف الزكاة؛ ولوائح إدارية أخرى مثل: لائحة مجلس الزكاة المركزي، ولائحة سفر رئيس المجلس وأعضائه، وترتيبات عمل الصناديق المحلية، ونظام محاسبة الصندوق المركزي؛ ودليل الرقابة والإشراف، وتقرير مراجعة حساب الصندوق المحلي... هذه اللوائح وما شاكلها، منها ما هو على مستوى المركز، ومنها ما هو على مستوى الأقاليم، وعلى مستوى الأقاليم هناك لوائح إضافية، مثل: لائحة تشكيل اللجان، لائحة إجراءات اللجان، لائحة عزل رؤساء اللجان وأعضائها... وبهذا فإن الكتاب يهم فئات مختلفة: فئة رجال الفقه والقانون لما يحتويه من تقنين ولوائح. وفئة رجال المالية والمحاسبة والمراجعة لما اشتمل عليه من الإجراءات المحاسبية، وطريقة القيد في الدفاتر (اليومية العامة والمساعدة والأستاذ) والسجلات، والدورة المستندية، وإجراءات التسوية والمطابقة... وفئة رجال الإحصاء حيث البيانات والأوضاع والكشوف والتحليلات المختلفة... وفئة رجال الإدارة والتنظيم حيث طريقة العمل والتصريف، وطرق الرقابة والإشراف، وطرق الاختيار والانتخاب وإدارة الجلسات ورفعها وتأجيلها...

والكتاب مقسم إلى ستة أقسام: الأول للمركز وهو أهم قسم فيه، والثاني لإقليم البنجاب، والثالث لإقليم السند، والرابع لإقليم الحدود الشمالية الغربية، والخامس لإقليم بلوشستان، والسادس لمنطقة العاصمة إسلام أباد...

هذا وقد سبق للمركز ترجمة ونشر تقرير مجلس الفكر الإسلامي في الباكستان حول إلغاء الفائدة (الربا) من الاقتصاد. □□

الكتاب : دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم

المؤلف : الدكتور زاهر بن عواض الألمعي

الناشر : مطابع الفرزدق التجارية - الرياض

□□ يتألف الكتاب من مقدمة تُعَرِّفُ بالتفسير الموضوعي ونشأته وتطوره وأهميته، والفرق بينه وبين أنواع التفسير الأخرى، وطريقة البحث فيه.

ومن خمسة فصول، جاء الأول منها تحت عنوان «في أصول الإيمان والشرائع والأخلاق» وفي مباحث ثلاثة: أصول الإيمان - أصول الشرائع - أصول الأخلاق والفضائل.

أما الثاني فجاء بعنوان «التنزيل المكي والمدني وأثرهما في سير الدعوة وبناء المجتمع» وفي مباحث ثلاثة: مقاصد القرآن الرئيسة - التنزيل المكي وأثره - التنزيل المدني وأثره...

وجاء الفصل الثالث بعنوان «مناسبات السور والآيات ودلالتها على الأحكام» وفي مباحث ثلاثة: تناسب السور - تناسب الآيات وأنواع التناسب بينها - دلالة التناسب على الأحكام...

أما الفصل الرابع فجاء بعنوان «الوحدة الموضوعية في سور القرآن» وقدم نماذج لذلك من سور: البقرة - آل عمران - النساء - المائدة - الأنعام - الأعراف - الأنفال - التوبة - يوسف - الكهف - النور.

وجاء الفصل الخامس بعنوان «تفسير بعض الموضوعات تفسيراً موضوعياً» وقد احتوى على خمسة عشر موضوعاً هي: التوحيد - الملائكة المُكْرَمون - الأنبياء والمرسلون - الكتب المنزلة - الإخلاص - الإيمان بالغيب وأثره في حياة المجتمع - البعث والجزاء - القضاء والقدر - الولاء والبراء - طاعة الرسول ﷺ وما يجب نحوه - العدل - الجهاد - العلم: حقيقته وغايته - المال: حرمته وطرق كسبه وإنفاقه - عالمية الدعوة الإسلامية في القرآن الكريم.

وقد الحق المؤلف بالكتاب فهرساً لأهم المصادر والمراجع التي اعتمد عليها ورجع إليها، وفهرساً تفصيلياً بأهم الموضوعات التي تعرض لها الكتاب. □□

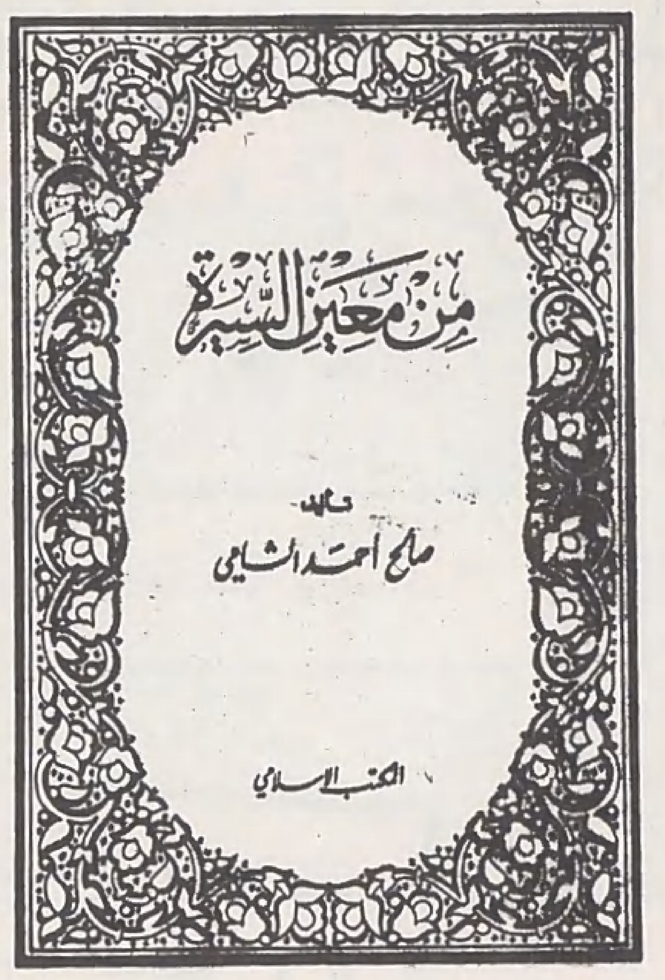

الكتاب : من معين السيرة

المؤلف : صالح أحمد الشامي

الناشر : المكتب الإسلامي - بيروت

□□ لا تمتلك الإنسانية اليوم سيرة شاملة كاملة ، سلطت الأضواء عليها من كل مكان ، فكانت انموذجاً يحتذى غير سيرة محمد ﷺ ، فهي تراث للإنسانية كلها ، يرجع إليها المسلم تديناً وتاسياً وحباً ، ويقرؤها غير المسلم ليرى العظمة وقد جمعت من اطرافها ، والذين انصفوا من هؤلاء عرفوا للرسول ﷺ حقه ، فجاءت اقوالهم فيه بياناً لبعض الحقيقة التي اتيح لهم إدراكها ...

والمسلمون اليوم احوج الناس للتعرف الحقيقي على سيرة رسول الله ﷺ بعد ان تاهوا في الضلالات وفشت بينهم المذاهب الهدامة التي اغتالت بعض اجيالهم ، وهي التي تعمل على غير هدى ، وتخبط تخبط عشواء ... ليتلمسوا من خلال هذه السيرة العطرة سبل النجاة ، ويستضيئوا بنور الهداية التي اخرجت الناس من الظلمات إلى النور ...

ويأتي هذا الكتاب في سيرة المصطفى ﷺ ليحاول إعطاء صورة قريبة لتتابع الحوادث في حياته ﷺ ، وليبين من خلال ذلك الجو العام الذي يحيط بها ، ويتوقف احياناً ليلقي الضوء على نقطة ما او يلفت النظر إليها ... وما ذلك إلا ليقدم من خلالها ما يجب على هذه الامة ان تفعله وهي تتلمس الطريق للخروج من الشقوة وحمل مشعل الهداية والإنقاذ للبشرية باسرها ...

جاء الكتاب في خمسمائة وعشرين صفحة من القطع المتوسط ، متناولاً ما يلي : زمن البعثة - من المولد إلى البعثة (النسب الطاهر - الولادة - كفالة جده - الرضاعة - وفاة امه وجده - كفالة عمه - رعي الغنم - سمات مميزة - زواجه من السيدة خديجة رضي الله عنها - اكرم من والد - بناء الكعبة - في غار حراء) - البعثة - الدعوة السرية (السابقون الاولون - خطا فادح - الصلاة) - الجهر بالدعوة - (... الاضطهاد والفتنة - ابو بكر والارقاء - الهجرة الاولى إلى الحبشة - صهر الصحابة بالدعوة - مفاوضة - إسلام حمزة - مغريات - الهجرة الثانية إلى الحبشة - إسلام عمر - الحصار في الشعب - نقض الصحيفة - الخروج من الشعب - عام الحزن - إلى الطائف - استعلاء الإيمان) - رحلة تكريم (... الإسراء والمعراج - بلاء وتمحيص - القرآن المكي) - الهجرة إلى المدينة (العرض على القبائل - طلائع يثرب - بيعة العقبة الأولى - مصعب في يثرب - بيعة العقبة الثانية - من نتائج البيعة - هجرة المصطفى ﷺ - في الغار - في الطريق - الوصول - تاملات : آخر من يخرج - اداء الودائع - الأسباب والتوكل - احب البلاد - الراحلة بالثمن - سوار كسرى - الخطبة الاولى في المدينة) - الاستقرار وإرساء القواعد (بناء المسجد - المؤاخاة - وثيقة - منغصات - البناء بعائشة رضي الله عنه) - الجهاد (الإذن بالقتال - بين الدفاع والهجوم - اعداء الإسلام والجهاد - غزوات وسرايا - التشريع بين الهجرة وبدر) - غزوة بدر الكبرى - غزوات وسرية - اليهود والفتن - غزوة احد - المدينة بعد أحد (ظهور النفاق - اليهود - المعركة الإعلامية) - ما بعد احد (يوم الرجيع - بئر معونة ...) - غزوة الخندق (مكان القيادة - الاستفادة من الطاقات - الاثر الاقتصادي - بين التصور والواقع ...) - غزوة بني قريظة - زواج الرسول ﷺ من زينب رضي الله عنها - غزوة بني المصطلق وشيء من حكمته ﷺ - الحديبية (قريش والصلح - اتهموا رايكم - الفتح - الفقه المالكي) - غزوة خيبر - قدوم جعفر رضي الله عنه من الحبشة - الرسل إلى الملوك والأمراء - سرايا استطلاعية - عمرة القضاء - إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد - غزوة مؤتة (اللقاء الاول مع الروم - سيف الله - الفقه الحركي - احترام القادة) سرية ذات السلاسل (عمرو وابو عبيدة - فقه عمرو ومكانته) فتح مكة (حقن الدماء - ... لقطعت يدها - إنها النبوة - لا هجرة بعد الفتح - اثقل من أحد ...) غزوة حنين (الدرس القرآني - القيادة والأفراد - عتقاء الله - القيادة في مكة - الإعلام بعد الفتح) غزوة تبوك (تجاوز العوائق - النفاق - الأغنياء في المجتمع الإسلامي - مسجد الضرار - نهاية راس المنافقين) - بعوث في السنة العاشرة - حجة الوداع - بعث اسامة - مرض الرسول ﷺ ووفاته - من آخر ما تكلم به عليه الصلاة والسلام ...

وقد الحق المؤلف بكتابه ثبتاً بالمراجع وفهرساً تفصيلياً . □□

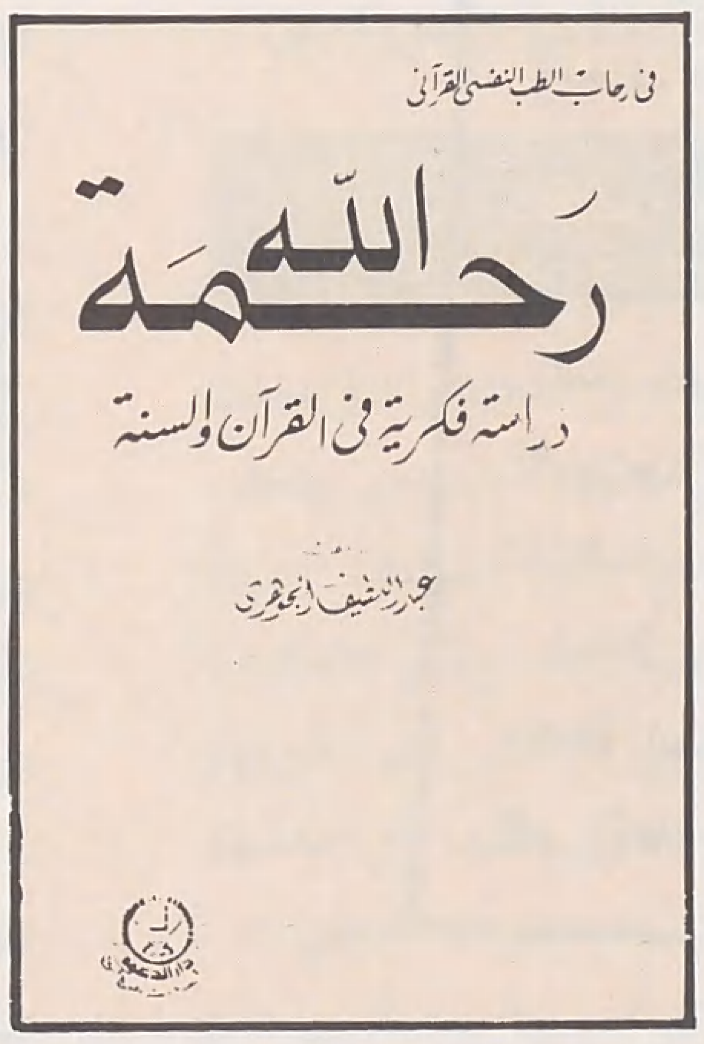

الكتاب : رحمة الله - دراسة فكرية في القرآن والسنة

الكاتب : عبد اللطيف الجوهري

الناشر : دار الدعوة - الإسكندرية

□□ رحمة الله هي الفجر والصباح لأمتنا وللإنسانية كلها ، وهذا البحث في رحمة الله ، يأتي ضربة لازب في هذه الأيام التي اشتدت الظلمة من حول هذه الأمة ، وتتالت عليها النكبات وتفاقمت فيها الأزمات ، فليس لها إلَّا رحمة الله عز وجل تنقذها من هذه الوهدة ...

ويتألف البحث من مقدمة عرَّف فيها الكاتب بموضوع بحثه والظروف التي دعت إلى كتابته ، وغايته وآفاقه ... ومن فصول خمسة وخاتمة ، عرض في أولها للمعنى اللغوي للرحمة ، متدرجاً بالمعنى الأصلي لكلمة « الرحمة » في سياحة لغوية في قواميس اللغة وفقهها القديم والحديث .

وفي الفصل الثاني عرض لمعاني الرحمة في القرآن الكريم في أربعة عشر مقالاً تناولت أصول الدين وعُمَده ورحمته الواسعة .

وفي الفصل الثالث قدم الكاتب أنموذجين قرآنيين من سور القرآن الكريم ، تناول فيهما آيات الرحمة رغبة في إبراز بعض جوانب الرحمة وأسرارها من خلال سورتي « الكهف والرحمن » .

وفي الفصل الرابع قدم إحصاء للفظ الرحمة ومشتقاته ، والصور التي ورد عليها في القرآن الكريم ، ويمثل الدراسة الإحصائية التي عالجها بشيء من الاستطراد .

وفي الفصل الخامس ، عرض الكاتب للرحمة في بستان النبوة الوارفة الأغصان ، عرض خلالها لرحمة النبي ﷺ بالطفولة والمرأة والإنسان والحيوان ...

وجاءت الخاتمة لتقدم إجمالاً لجوانب البحث وزبدته ...

والكتاب من خلال هذا العرض لمعاني الرحمة في القرآن والسنة يقدم بصورة غير مباشرة علاجاً نفسياً لكثير من أمراض العصر النفسية مثل : القلق والاكتئاب ... وقد حاول الكاتب فيه التزام الموضوعية والتقيد بقواعد البحث العلمي ... □□

التعليم

■■ على الرغم من وجود عشرات المؤسسات العلمية والتعليمية في ديار المسلمين إلّا أن معظم هذه المؤسسات لم ينجح بعد في تكوين الشخصية الإسلامية المتميزة .. البعيدة عن التأثر بمناهج الاستشراق والتغريب وعوامل الغزو الفكري ؟!!

ــ السبب في كلمة واحدة هو أننا لّما نستطع بعد وضع منهج للتعليم الإسلامي بالمعنى الصحيح .. لأن التعليم الإسلامي لا يعني تعليم مسائل العبادة والفقه فقط .. **بل يعني تدريس كل المعارف من وجهة نظر إسلامية خالصة ، بحيث تدرس الكيمياء من منظور إسلامي .. ويدرس علم الاجتماع من منظور إسلامي .. وتدرس علوم القانون والاقتصاد من منظور إسلامي .. وهكذا .**

ولكن مع الأسف الشديد يلاحظ أن العلوم المدنية في ديار العالم الإسلامي تدرس بعيدة عن مفاهيم الإسلام ومعتقداتنا الدينية .. ومن ثم انفصلت العلوم الدينية عن العلوم المدنية .. وهذا الانفصال أوجد نوعاً من الانفصام في الشخصية الإسلامية .. لأن مدرس التربية الدينية يقول للطفل : **إن الله كرَّم الإنسان ، وإنه سبحانه خلق أول ما خلق آدم ثم خلق من آدم حواء ثم خلق منهما رجالاً كثيراً ونساء ...**

ثم يأتي مدرس الأحياء ويقول له : **إن الإنسان أصله قرد !!! وإن الذي قال بهذا هو اليهودي دارون !!**

إن مثل هذا التضارب بين المناهج الدينية والمناهج العلمية تقليد غربي موروث من أيام التبعية والاستعمار الغربي .. وينبغي محو هذا من مناهجنا التعليمية إذا كنا جادين حقاً في بناء أمة متطورة مستقلة بعيدة عن هذا وذاك !!

رجل الدين والدنيا

■■ **معنى هذا أن ازدواجية التعليم أفرزت آثارها السلبية على الشخصية الإسلامية بشكل مباشر ..**

ــ نعم .. لأن التعليم يعكس آثاره على المتعلمين .. ومن هنا وجدنا التعليم في ديار المسلمين يخرج لنا شخصاً متخصصاً في علوم الدين .. ويخرج لنا شخصاً آخر يقال له رجل دنيا !! وكأن الرجل الآخر ليس من المفروض أن يعرف شيئاً عن مبادىء الدين ..

وكان من نتيجة هذا أن وجدنا المتخصص في العلوم الدينية لا يعرف في أمور الدنيا وشؤون الحياة العامة والسياسية .. ووجدنا الذين يقومون بإدارة شؤون الدنيا وسياسة الحكم لا صلة لهم بأحكام الدين ..

وكل هذا **لأن رجل السياسة ورجل الاقتصاد ورجل الإعلام لم يتخرج أي منهم من مؤسسة تعليمية إسلامية تدرس العلوم من منظور إسلامي وتطبق منهج التعليم الإسلامي الشامل والصحيح .**

إن الذي يقول : إن التعليم الديني هو تعليم حصص القرآن والفقه فقط في الوقت الذي نترك فيه علوم الدنيا

[الدكتور حسين حامد]

●● من علماء القانون والفقه القلائل في العالم الإسلامي .. تعرفه المؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي والأوروبي بالحيدة والإنصاف والحماسة البالغة للحل الإسلامي ..

يشغل الآن منصب مدير جامعة باكستان الإسلامية ، ومنذ أن تولى إنشاءها بنفسه عام ١٩٧٨م .

حصل على ليسانس الحقوق من جامعة القاهرة ثم على ليسانس الشريعة من الأزهر الشريف .. وبعدها حصل على دكتوراه في القانون ثم دكتوراه في الشريعة من الجامعتين المذكورتين .

سافر لدراسة القانون المقارن في المعهد الدولي المقارن بأوروبا وعاد بعد ثلاث سنوات في عام ١٩٦٥م .. ومن يومها آمن بأنه ليس هناك على ظهر الأرض قانون أعطى للإنسان شخصيته مثل القانون الإسلامي .. وآمن أن القانون الوضعي مهما بلغ من الدقة لا يعدل القانون الإسلامي .

زار معظم دول العالم .. يدرس أحوال المسلمين ، يشخِّص الداء .. ويصف الدواء الذي يتلخص في الأخذ بالإسلام .. وقد وضع تصوراً كاملاً لكيفية النهوض بالمؤسسات التعليمية في ديار المسلمين .

يجيد الدكتور حسين حامد أكثر من لغة .. ويعمل جاهداً منذ أن تولى رئاسة جامعة باكستان الإسلامية على تدعيم العلاقات بين الجامعات الإسلامية .. له دور رائد داخل اتحاد الجامعات الإسلامية في دوراته المتتالية .

وخلال زيارته السريعة للقاهرة .. كان لنا هذا اللقاء مع رئيس أول جامعة إسلامية بباكستان .. أنشأها المسلمون كدليل واضح على الصحوة الإسلامية التي تعم العالم الإسلامي ●●

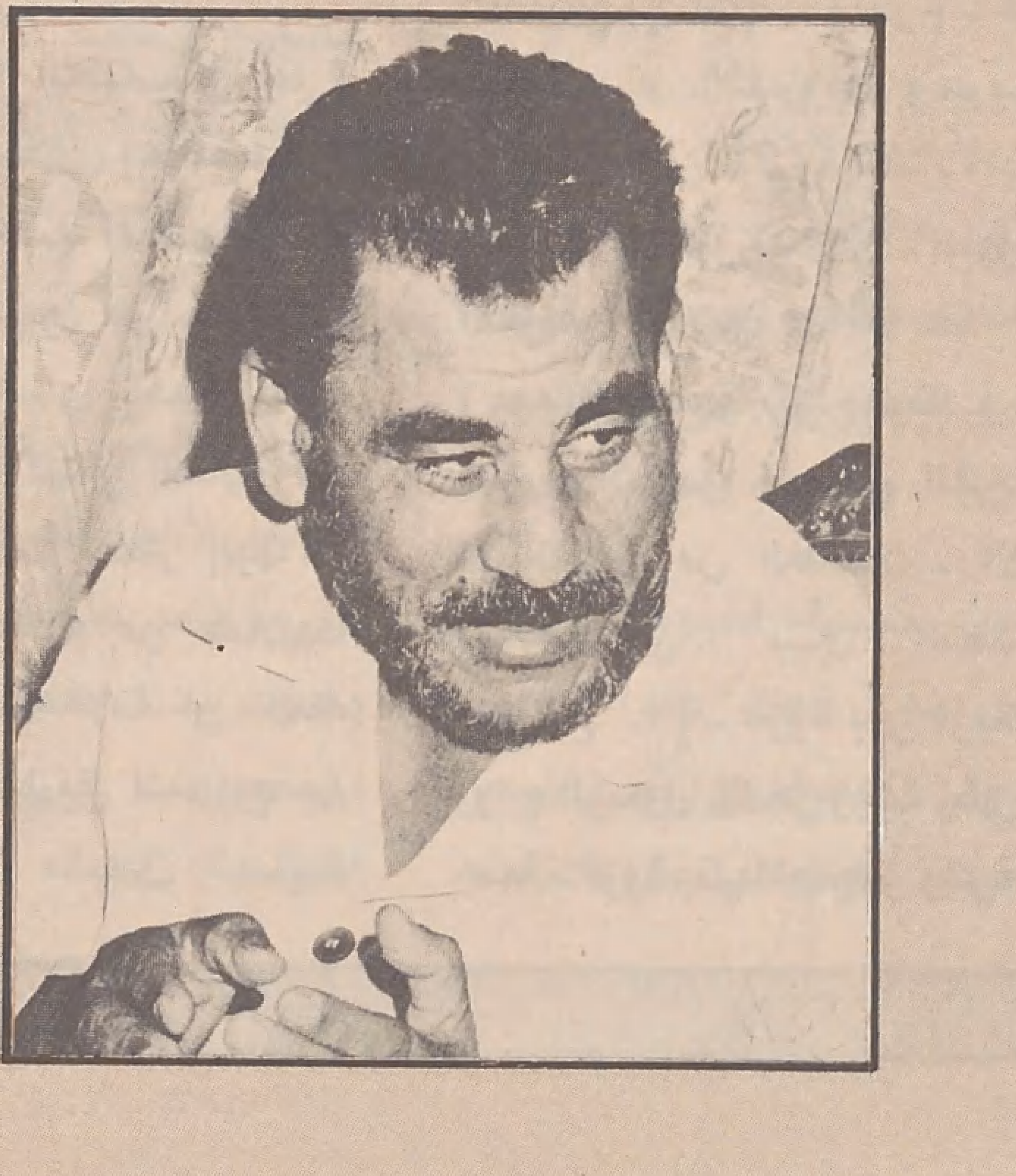

■ الدكتور حسن حامد ■ المشكلة في عدم وجود منهج للتعليم الإسلامي بالمعنى الصحيح ■

أجرى الحوار :
رضا عكاشة

في ديار المسلمين

في حوار مع: الدكتور حسين حامد

رئيس أول جامعة إسلامية في باكستان

حبيسة النظريات الغربية المادية ... مثل هذا لا يفهم طبيعة الإسلام ، ولا يفهم طبيعة المجتمعات التي يعيش فيها . وعبارة : « **دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله** » ، لا مجال لها في المجتمع الإسلامي على الإطلاق ، لأن كل شيء يجب أن يكون إسلامياً .. والإسلام يدعو إلى تأسيس كل العلوم الإنسانية على أسس دينية والأخذ بكل الأسباب المادية والعلمية والذهنية لإضافة الجديد إلى الحياة البشرية .. والقرآن يقول : ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ...** ﴾ (الأنفال : ٦٠) .

ومن هنا وجدنا أن تحصيل علوم الدين وعلوم الدنيا يصل في بعض الأحيان إلى أن يكون « **فرض عين** » فعلى كل فرد في المجتمع أن يعرف من علوم الدين ما تصح به عقيدته ، وما يفرق به بين الحلال والحرام ، وأن يعرف عظمة دينه وتفوقه على أية نظم أيديولوجية موجودة .. وهذا القدر من المعرفة هو الذي أسماه العلماء بأنه « **فرض عين** » ... وبعد « **فرض العين** » تأتي مرحلة « **الثقافة الإسلامية** » بحيث يأخذ الفرد في التخصص والمعرفة الإضافية ...

وفي مجال « **العلوم الدنيوية** » قال العُلماء : إن هذه العلوم تصل إلى حد أن يكون « **فرض عين** » في بعض الأحيان بحيث تتحقق أساسيات الدولة الإسلامية ، وحاجيات المجتمع الإسلامي الأساسية ، وبحيث لا يعيش المجتمع الإسلامي عالة على غيره من المجتمعات .. **أي أن تدريس الطب والهندسة والفيزياء والذرة قد يصل في أحيان كثيرة إلى حد أن يكون « فرض عين » الذي تقترب فيه هذه العلوم في وجوب دراستها من أداء العبادات كالصلاة والزكاة والصوم ...**

إن هذه المعايير تؤكد أن النظام الإسلامي مع العلوم التجريبية .. وتؤكد أن على مؤسساتنا التعليمية أن تعرف هذه الحقائق .. وأن تعي أن الانفصال بين العلوم الشرعية والعلوم التجريبية لا ينبغي أن يكون له وجود في أي دار من ديار الأمة الإسلامية ...

فالعلوم التجريبية مثل الكيمياء والأحياء والطب يجب أن تخدم الفكرة الإسلامية .. والعبرة ينبغي أن تؤخذ من الفيزياء والاقتصاد كما تؤخذ من العلوم الشرعية ، لأن معرفة الله ليست حكراً على فرع معين من المعرفة ..

ولذلك فإننا نؤكد بأن المؤسسات التعليمية الحالية فشلت بالفعل في **تكوين الشخصية الإسلامية** المستقلة .. **وسيدنا رسول الله ﷺ** هو الذي خرَّج هذه الشخصية المستقلة ، ووجدنا الصحابة والتابعين والأئمة كل واحد منهم يمثل أمة في نفسه ... **حيث كان الواحد منهم فيلسوفاً وطبيباً وعالماً وقائداً سياسياً وعسكرياً .. فضلاً عن كونه فقيهاً في أمور الدين ...**

قضيــــة الابتعـــــاث

■■ **ألا ترون أن استقلال المؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي يتطلب ضرورة وضع حد لابتعاث أبناء المسلمين إلى الدول الغربية أو الشرقية ، خاصة وأن كثيراً من الذين نالوا علومهم في الغرب أو الشرق عادوا وفي أنفسهم شائبة عن الإسلام وتراثنا الديني ؟!!**

ـــ هذه ظاهرة مؤسفة جداً ... ولا بد فعلاً من وضع حد لهذه البعثات ...

ولكن الذي حدث أنه عندما بدأنا نحن المسلمين في نهضتنا الحديثة بدأنا نتجه نحو الجامعات الغربية في أوروبا وأمريكا والجامعات الغربية الموجودة داخل الدول الإسلامية والتي نشأت على غرار الجامعات الأوروبية ...

وهكذا بدأت الجامعات العربية والإسلامية بمناهج تعليمية هي بالفعل مناهج منقولة عن الغرب ..

والذي زاد المأساة قسوة أن هذا النقل حدث في العلوم الاجتماعية والنفسية والقانونية ، وهذه العلوم بوجه خاص يجب أن تدرس من منظور إسلامي خالص ، لأن العلوم الإنسانية تعتمد بوجه خاص في مادتها على مبادىء وقيم المجتمعات ... وبما أن هذه المجتمعات تختلف في قيمها ومبادئها عن المجتمعات الإسلامية .. كان طبيعياً أن يأتي نقل النظريات الغربية في مجال العلوم الإنسانية إلى المجتمعات الإسلامية ليمثل درجة عالية من الخطورة ...

إن القائمين على مناهجنا التعليمية لم يراعوا مثل هذه الاختلافات بين المجتمعات الغربية والمجتمعات الإسلامية ومن ثم وجدنا نظريات غربية أوروبية تدرس في ديار الإسلام دون أن تكون لها أدنى صلة بالتراث الأخلاقي والثقافي والعلمي للأمة الإسلامية ...

خذ مثلاً علم الاجتماع .. هذا العلم بأصوله الحديثة ونظرياته المستخدمة نشأ في الغرب .. ولكن في مضمونه ومفاهيمه وأصوله العلمية القديمة نشأ في الشرق الإسلامي ... ومن ثم كان يجب على القائمين على مناهجنا أن يراعوا عند نقلهم هذا العلم الفرق بين ما هو إسلامي وما هو غربي لأن كثيراً من نظرياته الحديثة تحكمها المعتقدات الغربية .. **وما يعتبره الغرب حقيقة علمية تجريبية لا يعد بالضرورة حقيقة علمية تجريبية في بيئتنا الإسلامية ...**

والمعيار في هذا هو الإسلام ، الذي يوجه سلوك الشخص وسلوك الجماعة ، ويحدد قيمة الإنسان وتصرفاته ... والمقولة التي تقال في الغرب كتفسير لسلوك معين لا تَصْدُق بالضرورة في مناخنا الإسلامي ...

هذه خلفية سريعة يمكن أن نفسر على أساسها **وجود بعض المسلمين الذين يعيشون في المجتمع الإسلامي ومع ذلك تجد في نفوسهم شائبة نحو إسلامهم ... تجدهم يعيشون بيننا ومع ذلك هم غربيون في فكرهم أو شرقيون في تصوراتهم للأشياء .**

تجدهم يحملون أسماء « محمد » و « طه »

■ **إن تدريس الطب والهندسة والفيزياء والذرَّة قد يصل أحياناً كثيرة إلى حد أن يكون فرض عين بحيث تتحقق أساسيات الدولة الإسلامية . ■**

التعليم في ديار المسلمين

في حوار مع: الدكتور حسين حامد رئيس أول جامعة إسلامية في باكستان

و « يس » ومع ذلك يحكمون على الأشياء بأحكام غير إسلامية ، وبتصورات مبتورة ومقطوعة عن المفهوم الإسلامي الصحيح لحركة الحياة .

إننا نأسف لأن بعض الدارسين يذكرون أسماء « **ماركس** » و « **آدم سميث** » .. في الوقت الذي لا يعرفون فيه شيئاً عن النظرية الاقتصادية كما وضعها إسلامنا الحنيف ... ونحزن لأن بعضهم يذكر « **فرويد** » و « **إميل دوركايم** » في مجال الدراسات النفسية والاجتماعية في الوقت الذي لا يعرف فيه كثيراً عن **ابن خلدون وابن سينا وابن رشد** !!!

العلاقة بين الجامعات الإسلامية

■■ هناك ملاحظة حول العلاقات بين الجامعات الإسلامية التي تعاني من الانفصال ، في الوقت الذي نرى فيه العلاقات قائمة وقوية مع الجامعات الغربية ... فما هو تصوركم لطبيعة العلاقة التي يجب أن تكون قائمة بين المؤسسات العلمية والتعليمية في دول العالم العربي والإسلامي ؟

ـ ينبغي أن تكون الصلة بين الجامعات الإسلامية صلة علاقة بين أجزاء دار الإسلام الواحدة ، لأن كل ديار المسلمين هي مفردات للدار الإسلامية الكبرى ، ولا ينبغي أن نخضع للأمر الواقع وللتقسيمات السياسية التي رسمها لنا الاستعمار وأذياله ... ويجب أن تؤكد الجامعات في الدول العربية والإسلامية فكرة الأمة الواحدة التي عبَّر عنها القرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء : ٩٢) .

ومن الناحية الواقعية ، فإن توثيق العلاقات بين الجامعات سوف يغطي على نقص الكوادر البشرية التي قد توجد في بعض الجامعات ... ولأن العالم الإسلامي يشهد صحوة إسلامية كبرى في محاولة للعودة إلى الإسلام ، فإنه قد أنشأ الكثير من المؤسسات الأكاديمية التي تحتاج إلى خدمات المؤسسات الأقدم منها والأكثر إمكانات من الناحية العلمية والبشرية والمادية ... وأعتقد أن خطوة كبيرة قد اتخذت نحو الهدف بعد إنشاء « **اتحاد الجامعات الإسلامية** » .

■■ ولكن الملاحظ أن دور « اتحاد الجامعات الإسلامية » غير ملموس ، وربما يعوزه نوع من الحركة الواسعة لخدمة العمل الإسلامي ...

■ الدكتور حسين حامد :
لا بد أن يعلو الصوت الإسلامي وأن يظهر الحل الإسلامي على الساحة الفكرية والعلمية ■

ـ دور الاتحاد بالفعل غير ملموس ، ولكنه بدأ ينشط منذ العام الماضي بعد إعادة صياغة لائحته وإعادة انتخاب مجلس تنفيذي له من جامعة الأزهر والجامعة الإسلامية بباكستان ، وجامعة محمد بن سعود الإسلامية بالسعودية ...

وفي تصوري أنه يجب أن تتقارب الجامعات الإسلامية بشدة ، من حيث المناهج والخطط الدراسية وأساليب العمل والتعاون العلمي والبشري والمادي بحيث تخدم البيئة الإسلامية ، وتحقق أكبر معدلات كافية لتنمية المجتمعات الإسلامية التي هي بالفعل بحاجة لهذه الخطط التنموية ...

هذا من ناحية العلاقة بين المؤسسات التعليمية في دول العالم العربي والإسلامي .

أما ما يتعلق بالشق الثاني من السؤال وهو العلاقة مع الجامعات الأوروبية فإن هناك خططاً للتعاون بين الجامعات الإسلامية والأوروبية ، خاصة في مجال الدراسات التجريبية التي يعاني عالمنا الإسلامي من التخلف الشديد فيها بعد أن كان رائداً لها في الماضي القريب ... إذ كان المسلمون رواداً في مجالات الطب والفيزياء والفلك .. ونحاول أن نعود الآن إلى ريادتنا السابقة ، فنحن في حاجة إلى الجهود الأوروبية في مجال الدراسات المدنية التجريبية .

ولكن من ناحية أخرى لا تزال جامعة الأزهر وجامعات السعودية ودول الخليج والجامعات المغربية والتونسية ، رائدة في العلوم العربية والإسلامية .. فالعلم يؤخذ عن هذه الجامعات .. وليس هناك جامعة في العالم تسابقنا في هذا

ومع ذلك فإن ديار العالم الإسلامي فيها بعض المعاهد العلمية التي تفوق المعاهد الأوروبية .. ويجب تدعيم الصلات بين الجامعات الإسلامية في مجال الدراسات التجريبية حتى تتقدم الدول الإسلامية في هذه الدراسات ولا تعيش عالة على الدول الأجنبية ...

إن الأمة الإسلامية مطالبة بالعمل الجاد للنهوض من هذه « **الوعكة** » التي وقعت فيها ... **ينبغي أن نتقدم لكي نخلص انفسنا من هذا التخلف الذي يعمل العدو الصهيوني واتباعه ، وتعمل القوى الشيوعية واتباعها ، وتعمل الحركات التنصيرية الصليبية وأذيالها على تكريسه .**

ينبغي أن نتقدم لكي نحقق ذاتنا في وجه الإخطبوط الصهيوني وفي وجه اتباع ماركس وأبناء العم سام ...

ينبغي أن نتقدم ، لأنه طالما بقي هذا التخلف فسوف نظل عالة على غيرنا وعاراً على الإسلام الذي ننتسب إليه .. وطالما بقي هذا التخلف فسوف نعيش « مادة » للدراسات الاستشراقية الحاقدة والأقلام الصهيونية الماجنة !!!

الدراسات الاستشراقية

■■ في معرض الحديث عن الدراسات الاستشراقية ، والأقلام الصهيونية والشيوعية التي لا تريد للإسلام خيراً ... ما رأيكم حول الدعوة لإنشاء « جامعة إسلامية عالمية » تتولى مهمة الدفاع عن قضايا المسلمين العادلة في مواجهة الفكر الأجنبي الذي يملك كثيراً من الإمكانات العلمية والمادية ؟

ـ ينبغي أن نقرر أولاً أن معظم المستشرقين قد شوهوا بعض قضايانا الإسلامية ، ودسوا في كثير من الموضوعات سمومهم ... ولكن في الوقت نفسه لا ينبغي أن نبالغ في خطورة المستشرقين على تراثنا لأن تراثنا أنقى وأصح من أي تراث آخر في العالم ...

إن لدينا كتاباً ينطق بالحق ... ولدينا سنَّة عن رسول ما ينطق عن الهوى .. ولدينا تراث علمي وفقهي وعقلي لم تنله أية حضارة من حضارات العالم ...

وكل ما هنالك أننا بحاجة إلى نوع من اليقظة العلمية ، والشعور الإسلامي عندما يكتب أحدنا عن بعض الأحداث ، أو يقرأ بعض المؤلفات التي كتبها المستشرقون ...

وفيما يتعلق بالحقد الاستشراقي أو الصهيوني فإنه ليس بجديد .. والله سبحانه وتعالى يقول لرسوله ﷺ :

﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ

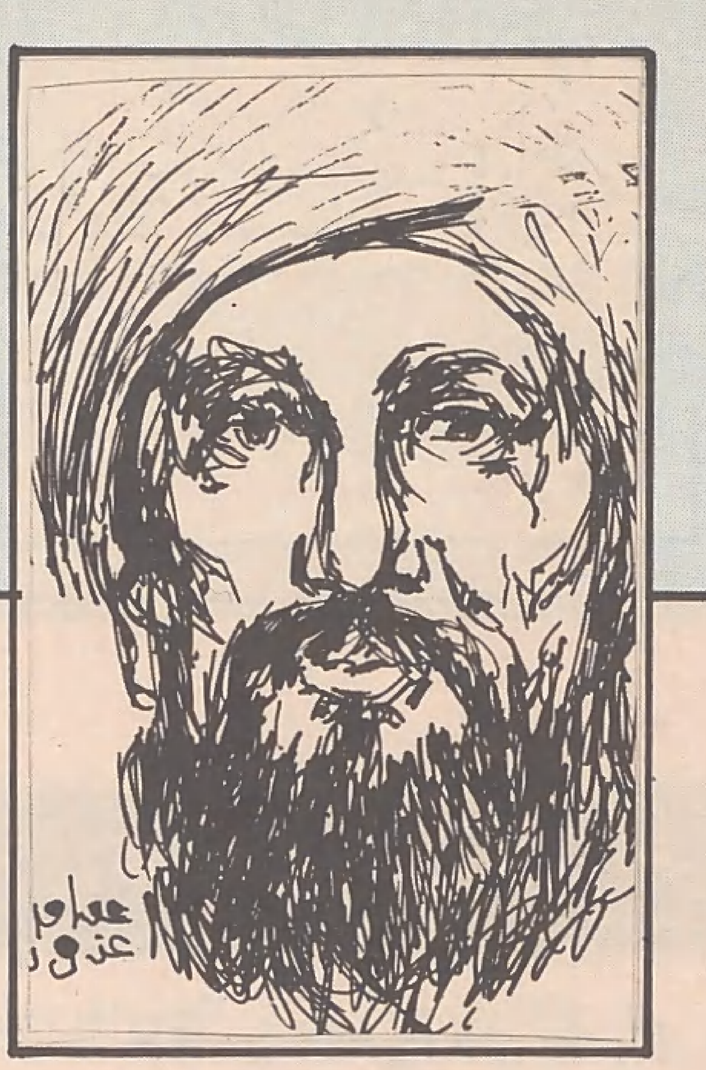

■ ابن رشد ■

■ ابن خلدون ■

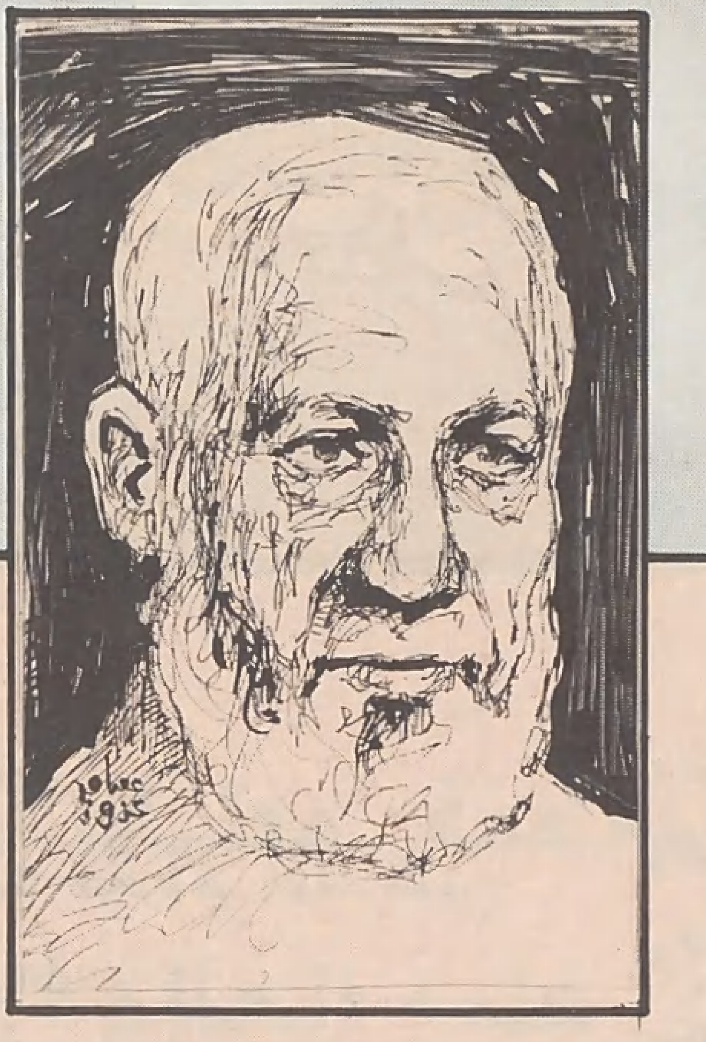

■ فرويـد ■

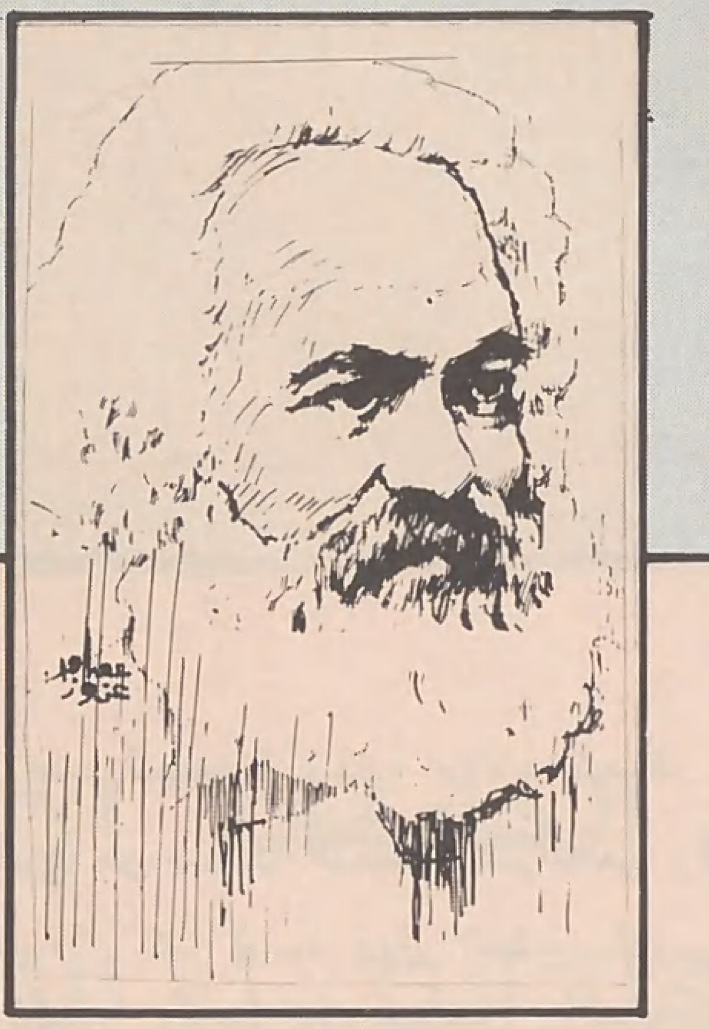

■ ماركس ■

■ المؤسف أن بعض الدارسين يذكر أسماء « ماركس » و « آدم سميث » و « فرويد » و « دركايم » ولا يعرف كثيراً عن ابن خلدون ، وابن سينا ، وابن رشد . ■

■ التعليم الإسـلامي لا يعني تعليم مسائل العبادة والفقه فقط بل يعني تدريس المعارف كلهـا من وجهة نظر إسلامية خالصة .

مِلَّتَهُمْ ... ﴾ (البقرة : ١٢٠) وما دام محمد ﷺ وأتباعه لن يتبعوا ملتهم ، فلن يرضوا عنّا وسيظل الصراع بين الحق والباطل قائماً ما بقي للحق أتباع وللباطل أتباع !!!

ولكن الصراع في العصور الحديثة أخذ أشكالاً علمية وفكرية على درجة عالية من الخطورة .. وتخفّى عشرات الحاقدين تحت ستار شعارات البحث العلمي والحرية الفكرية وما يسمى البحث عن الحقيقة ...

هذا واقع ملموس ـ مع الأسف الشديد ـ **ولا بد من مواجهته إسلامياً** .. لا بد أن **يعلو الصوت الإسلامي ، وأن يظهر الحل الإسلامي على الساحة الفكرية والعلمية** .. قد يكون هذا الصوت الإسلامي عن طريق أفراد ، وقد يكون عن طريق مؤسسات شعبية ، وقد يكون عن طريق مؤسسات حكومية ، وقد يكون عن طريق مؤسسات إسلامية عالمية على نحو ما يقترح السؤال ... المهم أن يكون هناك حلّ إسلامي للمتناقضات التي يحاول خصومنا أن يفرضوها على ساحة العمل الإسلامي الجاد !!!

ولا مانع من إنشاء « **جامعة إسلامية عالمية** » تتولى الدفاع عن قضايانا العلمية في شتى ساحات العمل العلمي .. ويجب أن يوضع لهذه الجامعة المقترحة **أولويات للعمل الجاد** ، بحيث يعرض القائمون عليها لقضايا المستشرقين في العالم الإسلامي ، وخطورة الهجمات التنصيرية على ديارنا وكيفية الوقوف مع التجمعات الإسلامية في أفريقيا وفي آسيا وفي أوروبا وفي أي مكان وجد فيه إنسان يقول : أشهد أن لا إلـه إلَّا الله وأنَّ محمداً ﷺ رسول الله ...

وينبغي أن تدرس هذه الجامعة المقترحة أوضاع المسلمين هنا وهناك .. ولماذا يتعثر الزحف الإسلامي في أفريقيا وآسيا ؟ وهل هناك أمل في أن تصبح آسيا كلها قارة إسلامية ؟ وما هي أهم الأخطار المذهبية والمادية التي تتعرض لها المنطقة ؟

جامعــة باكستــان وأخطــار المذهبيــة

■■ **بمناسبة الحديث عن أوضاع المسلمين في آسيا .. إلى أي مدىً قامت جامعة باكستان الإسلامية ـ التي تراسونها ـ بدور فعَّال في الدفاع عن قضايا المسلمين في هذه المنطقة من العالم ؟**

ـ الحقيقة أن جامعة باكستان الإسلامية كانت تعبيراً عن الصحوة الإسلامية التي تعم أرجاء العالم العربي والإسلامي ، فبعد فترة الثبات الطويل ، تحاول الأمة أن تعود إلى إسلامها ، ومن هنا بدأت الدعوة لإنشاء المؤسسات العلمية الإسلامية ...

وهذا ما حدث عند إنشاء جامعة باكستان .. فباكستان أصدرت قراراتها بالعمل على تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في كل مناحي الحياة ، في عام ١٩٧٨م ... وقد دعيت من قبل بعض رؤساء الجامعات وبعض العلماء في العالم الإسلامي ، وقررنا أنه لا بد من إنشاء مؤسسات علمية .. ولا يعقل أن تكون باكستان التي بها نحو (٨٠) مليون مسلم ، وقامت أساساً واستقلت عن الهند بهدف تطبيق الشريعة .. لا يعقل بعد هذا أن تخلو من المؤسسات العلمية الإسلامية التي تخرِّج المتخصصين الذين يضعون القوانين موضع التطبيق ...

ومن هنا بدأت مشورة العلماء توضع موضع التطبيق .. فأنشأت باكستان أولاً كلية للشريعة الإسلامية لتبين قوانين الحدود والقصاص وأحكام ومسائل التعازير ومقادير الزكاة ... **وبإنشاء كلية الشريعة تحققت أمنية مسلمي آسيا وباكستان خاصة ، ووجدت أول كلية إسلامية بباكستان منذ استقلالها عام ١٩٤٧م** .. وتوليت رئاستها .

وبعد سنة من إنشاء كلية الشريعة أنشأنا عدة كليات أخرى منها : **كلية للاقتصاد الإسلامي ، وكلية للإعلام والدعوة وكلية للقرآن وعلومه ، وكلية للغة العربية ، ومعهد لتدريب القضاة على تطبيق القانون الإسلامي** ...

ثم أنشأنا دراسات عليا للقضاة والمحامين .. وحصل أكثر من دارس على درجة الدبلوم في الدراسات العليا ودرجة الماجستير .. واستطاعت معاهد القضاء تدريب كل القضاة والمحامين على الحلول الإسلامية خلال فترات وجيزة .

يضاف إلى هذا أن الجامعة عملت على إنشاء أقسام متخصصة للفتاة المسلمة لكي تمارس دورها في خدمة المجتمع الإسلامي كما أراده الله لها ورسوله .

... وقد راعينا في هذه التخصصات طبيعة المرأة ، وحاجة المجتمع الباكستاني ، ومن ثم أنشأنا برامج خاصة في مجالات الدعوة والتدريس والشريعة واللغة العربية ، وكلية خاصة لدراسة العلوم الاجتماعية الإسلامية لخدمة البيئة .. وهناك إقبال شديد من الطالبات على هذه التخصصات التي تعتبر الأولى في شبه القارة الهندية ...

ومن هنا يتبين لنا الدور الفعَّال الذي قامت وتقوم به الجامعة الإسلامية بباكستان لتثقيف المسلمين وتعريفهم بأمور الدين .

التعليم في ديار المسلمين

في حوار مع: الدكتور حسين حامد رئيس أول جامعة إسلامية في باكستان

الاستعمار الثقافي

■■ من المعروف أن باكستان تقع في منطقة هامة ، لا يزال الاستعمار الغربي يمارس فيها حملاته التنصيرية الحاقدة .. ولا تزال تعتبر منطقة متناقضات فكرية ومذهبية ... فهل يمكن القول : إن الجامعة الإسلامية بباكستان أدّت دوراً إيجابياً في المحافظة على الشخصية الإسلامية والوقوف في وجه حملات الاستعمار الثقافي الحديث ...

ـــ هذا سؤال هام .. وأنا معك في أن الاستعمار الثقافي الجديد يريد مسخ هويتنا الإسلامية .. وتضييع ملامح الشخصية الإسلامية وسط صراع المذهبية وعويل الطائفية والأيديولوجيات المتطفلة ...

نعم .. لقد ركز المنصرون حملاتهم الحاقدة على منطقة شرقي آسيا وجنوبي شبه القارة الهندية لدرجة أن ما يقرب من (١٧) مليون مسلم تنصروا في منطقة جنوبي شرق آسيا وما جاور باكستان .. وأعداء الإسلام ينشطون لأنهم يريدون أن يعيش المسلمون بعيداً عن إسلامهم .. لأنه طالما أن المسلمين بعيدون عن العيش بهذا الدين فسوف يصبحون لقمة سهلة في أفواه أعداء الإسلام التي لا تشبع !!

فحملات الغزو الفكري قائمة .. وبعثات المبشرين مستمرة .. وأذيال المذهبية والأيديولوجية قائمون ..

ولكن ماذا نحن فاعلون ؟

هل نبكي على حضارتنا البائدة في الوقت الذي يهدم فيه خصومنا جذور عقيدتنا ؟

هل نضحك على كثرة عدديّة نسبية في الوقت الذي ضاع فيه كثير من معالم شخصيتنا الإسلامية ... لا شك أن البكاء على اللبن المسكوب فيه نوع من الهروب .. أو قل هو كل الهروب ..

لا بد من معرفة قوتنا العقيدية .. وأن ديننا هو خير الأديان ، وأن معنا جماعة بشرية حسنة النوايا ولكنها قليلة التنظيم ، ضعيفة الإمكانات ، متنوعة الاهتمامات والتوجهات الفكرية ...

ووسط هذا كله تبرز أهمية الجامعة الإسلامية بباكستان كمؤسسة علمية من المفروض أن تمارس دورها ـ على الأقل ـ في التعريف بالإسلام .. لأن المعرفة هي المقدمة الأولى للتضحية والدفاع عن العقيدة ..

ووسط هذا كله كان لا بد أن توجه الدول الإسلامية جهودها لإنشاء هذا الصرح العلمي لخدمة أكثر من ثلث سكان العالم الإسلامي .. كان لا بد أن يتدارك المسلمون خطأهم السابق حين تركوا هذه التجمعات الإسلامية دون عناية ورعاية في الوقت الذي نما فيه الإخطبوط التنصيري المدمر .

وبالفعل كان للسعودية دور السبق في تدعيم هذه الجامعة ـ انطلاقاً من هذا المفهوم ـ من الناحية المادية .. وكان لمصر والأزهر الشريف دور بارز في دعم هذه الجامعة الفتية بالاحتياجات العلمية والبشرية من مختلف التخصصات العلمية والشرعية واللغوية .. كما قدمت دول الخليج العربي دعماً مباشراً لهذه الجامعة من الناحية المادية وكذا البشرية ...

وهكذا فإن إنشاء الجامعة الإسلامية بباكستان ضرورة إسلامية وحضارية .. ومثال رائع على تعاون المسلمين وإدراكهم لطبيعة التحديات التي تعوق تقدم الأمة .. وتأكيد على أن الجماعة الإسلامية قادرة على تحقيق أي شيء طالما خلصت النوايا وتوحدت الأعمال .. كل يبغي مرضاة الله ...

وقد انعكس هذا الدور المنتظر من الجامعة الإسلامية على مناهجها .. بحيث اتصفت هذه المناهج بميزتين هامتين :

الأولى : أنها ليست جامعة نظرية تُعْنَى بالعلوم النظرية والفلسفية بل إنها جامعة أملتها واقتضتها ضرورات عملية ، فالذي حدث أن البلاد تسعى لتطبيق أحكام الشريعة ، ومن ثم فهي بحاجة إلى رجال يقومون على هذا العمل ... فأنشأت الجامعة لتخريج هؤلاء الرجال ... وهذا ما أكّد عليه مؤتمر رؤساء الجامعات الإسلامية الذي عقد في مكة المكرّمة عام ١٩٨١م . من أن الدراسة في الجامعة الإسلامية بباكستان لا بد أن تتصف بالسمت العملي والتطبيقي ...

الميزة الثانية : أن الجامعة تقع في منطقة يسكنها

■ الانفصال بين العلوم الدينية والعلوم المدنية هو المسؤول عن الانفصام الحادث في الشخصية الإسلامية .. ■

■ ينبغي أن تكون الصلة بين الجامعات الإسلامية صلة علاقة بين أجزاء دار الإسلام الواحدة لأن ديار المسلمين هي مفردات للدار الإسلامية الكبرى .

■ الجامعات الإسلامية مطالبة بتخطي مرحلة التشرذم الذي عليه العالم الإسلامي ، ومطالبة بتخطي مرحلة التركيز على الفروع الهامشية على حساب الأصول الكلية الجامعة .

نحو أربعمائة مليون مسلم ، تحف بهم المخاطر من كل جانب .. وحملات المنصرين توجد هنا وهناك وما يفعلونه في الفلبين خير دليل على ما أقول ...

ومن هنا كان هذا الدور الإسلامي الهام لهذه الجامعة التي تقدم خدماتها التعليمية في هذه المنطقة .

إن الجامعات الإسلامية مطالبة بتخطي مرحلة التشرذم الذي عليه العالم الإسلامي .. ومطالبة بتخطي مرحلة التركيز على الفروع الهامشية على حساب الأصول الكلية التي يجب أن يحملها كل مسلم على كتفيه ..

أخطر ما يتعرض له المسلمون

■■ إذا انتقلنا من الحديث عن التعليم والجامعات الإسلامية إلى الحديث عن واقع العالم الإسلامي خاصة في الوقت الذي يتعرض فيه لتيارات مذهبية مدمرة .. في رايكم ، وفي محاولة لإعادة ترتيب اوراق قضايا العالم الإسلامي ، ما هو اخطر ما يتعرض له المسلمون من خلال تجربتكم الطويلة في معالجة القضايا الإسلامية المعاصرة ؟

— في رأيي أن أخطر ما يتعرض له المسلمون في الوقت الحاضر هو الفرقة والانقسام .. وأخطر منه أن يكون على أساس عقيدي وفكري ومذهبي ... إن نداء القرآن الكريم لا يزال يجلجل في الآذان :

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ... ﴾ (آل عمران : ١٠٢) ولكن — مع الأسف الشديد — تردينا في حفرة الخلافات .

إن ثمة خلافات بين دول العالم الإسلامي .. وثمة خلافات بين الحكومات .. بل وهناك خلافات داخل الأسرة الواحدة .. والجسد الواحد الذي تحدث عنه الرسول ﷺ ليس له وجود !!

ولو التزمت الأمة بمنهج الله سبحانه وتعالى ، وطبقت منهجه لما استطاعت قوى الشر والطغيان في كل العالم أن تفعل شيئاً .. والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ ... وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ... ﴾ (آل عمران : ٤٦) .

إن أشد ما يحزن المفكرين المسلمين أن بعض الخلافات قد دبت في الجماعات الإسلامية نتيجة الاهتمام بالفروع أكثر من الأصول ، وكثرت الخلافات على بعض الجزئيات دون الاهتمام بكليات الأمور ...

ولكن ينبغي على أي جماعة إسلامية ان تتعاون على ما اتفقت عليه من أصول كلية ، وأن يقدر كل واحد أخاه فيما اتفقت عليه الآراء وما اختلفت فيه ، وأن يقدر الجميع التحديات الحضارية التي تقابل الأمة الإسلامية .. وأهم هذه التحديات التأخر المادي الذي يعانيه العالم الإسلامي ، لأنه ما بقي هذا التخلف المادي ، فسوف نظل عالة على المجتمعات الأجنبية ، وسنظل عاراً على الإسلام الذي ننتسب إليه ...

والذي يجب أن يعرفه الجميع أن الإسلام هو القوة الوحيدة التي تحقق ذاتنا إذا كنّا جادين حقاً في بناء أمة متطورة في وقت لا تزال الغلبة فيه للاقوى .. وبالإسلام كنا قادة العالم وسادته .. وقادة الأمم وأساتذتها ، واستطاع أتباع محمد ﷺ أن يكون لهم أعظم الإمبراطوريات وأعرقها على مر التاريخ ...

المستشرقون والمستغربون

■■ إن البعد عن الإسلام هو الذي اورثنا هذه الفرقة والتخلف الذي تعيشه ديار الإسلام .. ولكن بعض المفكرين المسلمين يقولون : إن ثمة قوىً خفية تعمل على تقسيم العالم الإسلامي سواء من اتباع المستعمرين أو المستشرقين او المستغربين ... ما هو المطلوب منا إسلامياً لمواجهة هذا ؟

— مثل هذه المحاولات ليست جديدة علينا .. ومنذ أن أرسل الله آدم عليه السلام إلى الأرض أرسل معه قوىً خفية ، ونبهه إلى أنه سوف يأتيه هدى :

﴿ ... فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ . وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾ (طه : ١٢٣ ـ ١٢٤) .

ومعروف أن قوى البغي موجودة في كل عصر .. وهذا هو الامتحان والاختبار الحقيقي لمعدن الأمة الإسلامية .. وليس معقولًا أن نترك الأعداء يعبثون بمقدساتنا ونقول إنهم خصومنا .. لأن وجود الخصوم أمر طبيعي .. ولا يتصور وجود « **التكليف** » **بدون اختبار ، لأن التكليف معناه إلزام ما فيه كلفة ، وحمل النفس على غير ما تهوى .**

إن ثمة آيات كثيرة تؤكد على هذه المعاني ، والله تعالى يقول :

﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ... ﴾ (البقرة : ٢١٧) ، ويقول :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ (آل عمران : ٩٩) ، ويقول :

﴿ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ (البقرة : ١٢٠) .

إن العداء بين الحق والباطل مستمر ، ولكن مهمة المسلمين في الحياة مجاهدة النفس والهوى والخصوم والحاقدين .

ومن ثم فإن الأمة مطالبة بعمل إسلامي جاد ، سواء من الأفراد أو المؤسسات أو الدول ، لمواجهة التحدي الذي تواجهه من الملحدين تارة أخرى ومن الماديين تارة ومن الصهاينة تارة ثالثة ومن الذين لا طعم لهم ولا رائحة في بعض الأحيان !!!

واعود فأؤكد على أن الطامة الكبرى هي من داخلنا ، وما تمكن منا أعداؤنا إلّا ببعدنا عن الإسلام ، ولو التزمنا بمنهج الله لتحققت لنا الوحدة ولحفظنا الله من خصوم الله .

وصدق الله حين يقول :

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ... ﴾ (العنكبوت : ٦٩) أي لا بد من المجاهدة ، ثم يأتي بعدها وعد الله بالنصر على خصومه .. ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ (الشورى : ٣٠) .

مناقشة مفتوحة حول:

الفتاة المسلمة والمجتمع الجامعي

■■ تتناول « الأسرة المسلمة » - في هذا العدد - الحوار الدائر بين عدد من الإخوة والأخوات - من خلال رسائلهم - التي ترد من أكثر من بلد ، حول قضية تعليم الفتاة المسلمة بين الالتزام الإسلامي وظروف المجتمع الجامعي المعاصر ، والتي كانت قد أثارتها رسالة إلى « بريد الأمة » في العدد الحادي والخمسين ، وهو حوار أقل ما يقال عنه إنه جاد وواقعي ..

ولسوف نترك الباب مفتوحا لاستكمال جوانب القضية ومناقشة ما يثار حولها من نقاط . ■■

تواجه الأسرة المسلمة في المجتمع المعاصر تحديات خطيرة ، تقف وراءها - بطريقة منظمة - قوى التغريب والصليبية والشيوعية والصهيونية ، من أجل تقويضها بنشر الإباحية والدعوة للاختلاط وفرض تعليم الفتاة في المؤسسات التعليمية المختلطة ، وترويج الأزياء وأساليب الزينة الغربية ، وتغليب تيارات الأدب المكشوف وفنون الإثارة ، وإخراج المرأة من بيتها إلى عمل لا يتفق مع طبيعتها وفطرتها .. الأمر الذي نشأت عنه ظاهرة الحيرة والتمزق التي تواجه الأسرة المسلمة بصفة عامة والفتاة الملتزمة بصفة خاصة ، وهي تحاول أن تلتمس المنهج الصحيح للتربية الإسلامية ، وتحرص على نقاء حياتها في ظل الشريعة الإسلامية ..

كلمة

هموم المرأة المسلمة ومشكلاتها

□□ في هذا العدد : نطرح في باب « الأسرة المسلمة » تجربة جديدة ، هي في الحقيقة ثمرة للتفاعل القائم بين « الأمة » وقرائها ، ومحاولة للاستجابة إلى الملاحظات العديدة التي عبروا من خلالها عن رغبتهم في الاهتمام بهذا الباب وإثرائه وتطويره ..

وقد كان الرأي عندنا دائماً أن المجلة بكاملها ، بما تتضمنه من أبواب ومقالات وموضوعات وصور ، موجهة للإنسان المسلم - الرجل والمرأة على السواء - كل حسب دوره المنوط به في المجتمع الإسلامي .. وأن نصيب الرجل من ركن الأسرة المسلمة يجب ألا يقل عن نصيب المرأة .

ولعلَّ الرغبة في توجيه مزيد من الاهتمام لقضايا الأسرة قد جاءت - من بعض الوجوه - من ملاحظة لتحليل نتائج « استطلاع الرأي » الذي أجرته « الأمة » ، وأوضح فيما أوضح أن مساهمة المرأة المسلمة دون المستوى الذي يتطلبه دورها ، ولا يتناسب مع حجم مسؤولياتها الإسلامية في المجتمع والأسرة ، هذا : بالإضافة إلى ما يشغل المسلمين اليوم من هموم المرأة المسلمة ومشكلاتها والتحديات التي تواجهها ، وما تتعرض له من ضغوط نفسية ومعنوية .. عبَّرت عنه المناقشة الواقعية المطروحة التي تتناول إحدى قضاياها . □□

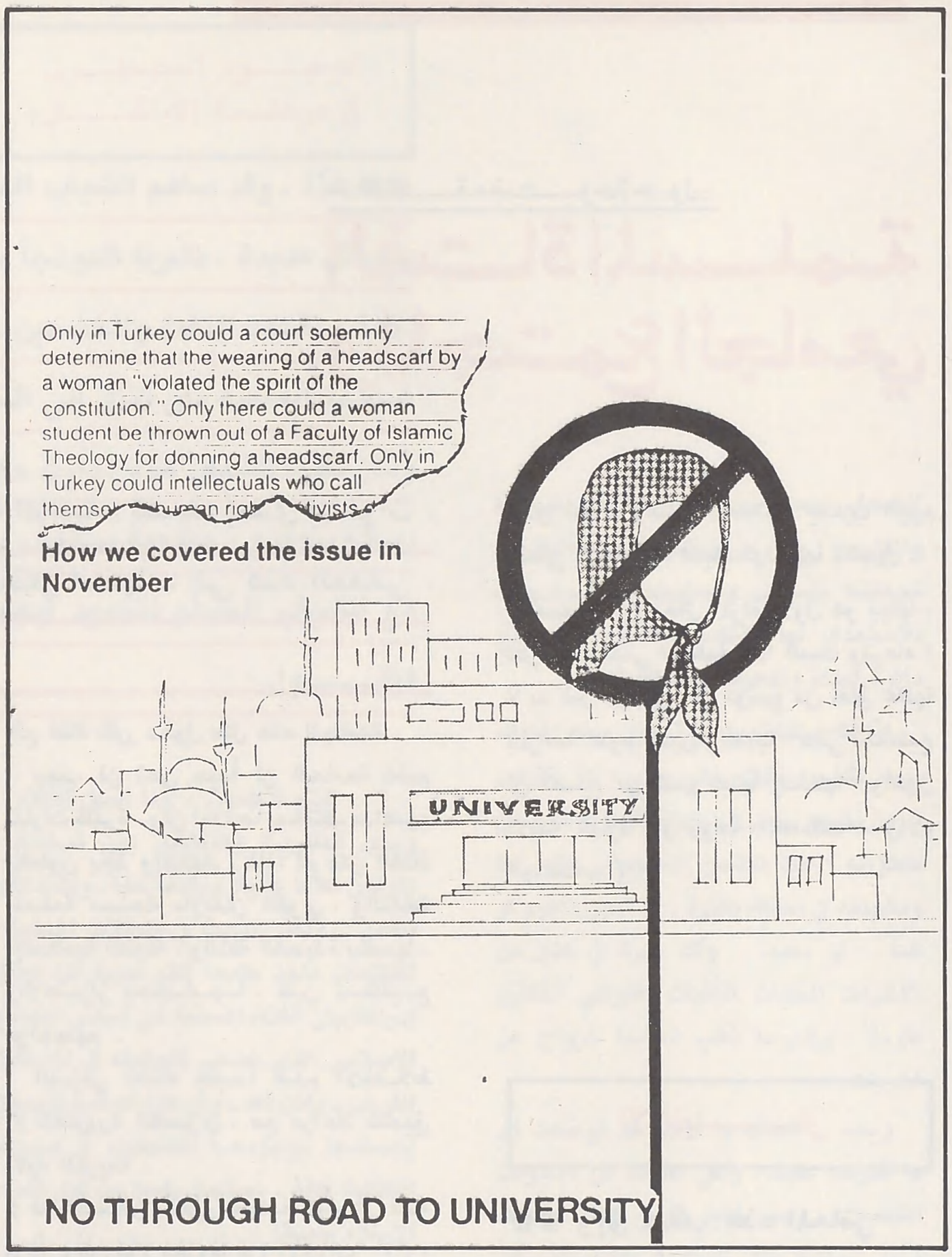

●● وقد كان هذا الموقف ـ باختصار ـ هو موضوع القضية التي عبّرت عنه الأخت رضا عيسى ، في رسالتها ، حين قــالت :

[... وبينما كنت استعد لـلالتحـاق بالجامعة ، جمعتني الأقدار ببعض المسلمات اللائي لمست كثيراً من صدقهن وغيرتهن على الإسلام ... ولكني وجدتهن يحملن أفكاراً غريبة ، حرت في أمرها ، إذ دعونني إلى التوقف عن الدراسة وعدم الالتحاق بالجامعة لأن ذلك يعرضني لكثير من المعاصي والآثام ، وأن الخير كله في القرار في البيوت حتى يأتي من أرضى خلقه ودينه ، فأتزوجـه .. وقد شغلتني هذه الأفكار طويلاً .. تارة أرى أنها تنطوي على شيء من الحق ، وأخرى أحس بأنها غريبة عن مفهوم الإسلام ونظرته للمرأة ودورها في الحياة ..] ..

وتتساءل : ماذا أفعل ؟ هل أواصل دراستي الجامعية أم أعود إلى البيت ؟ وكيف أخدم دعوتي في عصر مليء بالتحديات ؟ وهل خدمة المرأة المسلمة لدينها تنحصر في إطار بيتها وزوجها ؛ أم تمتد إلى ما وراء ذلك ؟

التجربــــة الذاتيــة

والملاحظة الجديرة بالتسجيل هنا أن نسبة كبيرة من الأخوات اللاتي ساهمن بمنـاقشة القضيـة ، نبعت مناقشتهن من تجاربهن الذاتية وقد اخترنا من بين رسائلهن ما يغطي أكبر قدر من المعاني ..

●● يدور تعقيب الأخت العابدة عبد العزيز ـ من المغرب ـ في معظمه حول أهمية التعليم بالنسبة للفتاة المسلمة بـاعتبارها ركيزة أساسية للمجتمع الإسلامي .. وتقول :

[... إنني أعيش الظروف نفسها التي عرضتها الأخت صاحبة « الرسالة » وكشابة مسلمة تدرس بإحدى الجامعات المغربية وتعايش التجربة ـ أكتب إليها ..

إن القضيـة التي تشغلك يـا أختاه ، لا تشغل بال كل مسلم غيور على دينه فحسب ، بل تشغل الأمة كلها ، التي لا تزال تعيش في ظل الأميـة والجهـل في عصر التحديات الكبيرة .. فكيف ترين يا أختاه الوسيلة لبناء أمة مسلمة ، صاحبة أكبر وأعظم رسالة ، ومكلفة بتبليغها للناس كافة ، إذا لم تعمل بجد وإصرار على تعليم أبنائها وتثقيفهم وحمـايتهم من الجهـل .. وأنت يا أختاه إذا كنت تطلبين العلم وفق شرع الله تعالى فإنك تساهمين في بناء هذه الأمة ، وتدعمين قدرتها على حمل الأمانة ، وتكونين ـ بإذن الله ـ العالمة العاملة الملتزمة بدينها ، التي تربي ـ مع أخواتها ـ جيلاً يعيد للأمة الإسلامية عزّها وكرامتها ..

إننا يا أختـاه نريـد المسلمة المتعلمة العاملة التي تطرق أبواب الحياة كلها .. نريد الطبيبـة المسلمـة ، والمهنـدسـة المسلمـة والأستـاذة الجامعيـة المسلمة ، والكـاتبة المسلمـة التي تقارع المتشككين بالحجـة وتدافع عن الإسلام في مواجهة حضارة المادة والإلحاد ..

وأخيراً أقول لك يا أختاه : إن وجودك في الجامعة باللباس الشرعي المتميز أصبح يهدد الحاقدين على الإسلام العـاملين لهدمه ، وعلينا ألَّا نترك لهم الساحة ليتحركوا فيها كيف شاؤوا ، ويصلوا إلى المناصب المؤثرة في المجتمع ، ويزدادوا عتواً وفساداً في الأرض ..

إن التصـور الذي يقـول بحصر مهمة المسلمة في البيت دون علم ومعرفة تصور خاطىء ناتج عن سوء فهم للإسلام ، وعلينا كشباب مسلم أن نقف في مواجهة التحديات الفكرية والثقافية من حولنا ، ونملأ أنحاء الساحة بفكر إسلامي صحيح ، منبعه القرآن الكريم والسنَّة النبوية الشريفة ، لنـرفع المعاناة عن أمتنا الإسلامية ونساهم بحل مشكلاتها ، وفي مقدمتها مشكلة التخلف والجهـل .. والإسـلام لا يقبـل بـالتخلف والجهل ... نسأل الله تعالى السداد في عملنا والتوفيق لأمتنا إنه سميع مجيب ...] .

مناقشة مفتوحة حول:

الفتاة المسلمة والمجتمع الجامعي

●● ومن الموقع نفسه ؛ موقع التجربة الذاتية ، تضيف إحدى الأخوات ، من الجمهورية العربية اليمنية ـ لم تذكر اسمها ـ إلى هذه المعاني ، فتقـــول :

[... ولأنني طالبة جامعية ، فانا شاهدة عيان في هذه القضية .. واود ان اطرح في بداية المناقشة هذا السؤال : هل مما يرضي الله تعالى ورسوله ان الفتيات المتبرجات ، الحاملات لكثير من الافكار المنافية للدين ؛ يخرجن للدراسة ويلتحقن بالجامعات ، ثم يتخرجن مدرسات وطبيبات أو مديرات في دوائر حكومية ـ خاصة في مدارس البنات ـ ثم ينشرن في مجال عملهن ما يحلو لهن من افكار وعادات خبيثة تتنافى مع قيم الإسلام ومبادئه شكلاً ومضموناً ؛ بينما الفتاة المسلمة الملتزمة تقبع في بيتها غير مبالية بالجيل المهدد بالانحراف ، الذي سوف ينشأ ويتربى على ايدي هؤلاء المدرسات أو المعيدات أو المديرات ؟!.

أيتها الأخت المسلمة ، مكانك بالجامعة شاغر ينتظر من تشغله ، فإمّا ان تسارعي وتشغلي مكانك على ثغرة من ثغور الإسلام ، جاهدة ان لا يؤتى من قبلك ، وإمّا ان تشغله المُنصِّرة أو الشيوعية أو الماجنة المستهترة .. نافثة سمومها في المجتمع الجامعي ..

ولكن ارجو ألّا يفهم من كلامي هذا انني اقلل من خطورة دخول الفتاة إلى الجامعة المختلطة ، لذلك ، وبحكم تجربتي ، اطرح بعض النقاط التي أرى ضرورة الالتزام بها لأي فتاة تقرر دخول مثل هذه الجامعة :

يجب ان تعي جيداً ان الجامعة تضم تيارات كثيرة ، وان أعداءنا بمختلف مذاهبهم يعملون بجد واجتهاد ، فإذا لم تكن الفتاة المسلمة مسلحة بالإيمان القوي ، والثقافة الإسلامية المتينة ، والثقة الشديدة بنفسها ، والاعتزاز بحجابها ، فلن تستطيع مواجهتهم ..

التزمي أختاه بمبدأ عدم الاختلاط إلّا للضرورة القصوى ، مع مراعاة تطبيق الآية الكريمة :

﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفاً ﴾ (الأحزاب : ٣٢) وغضّي بصرك عن كل ما حرّم الله ، وإلّا فإن سيئاتك باستحلال النظر إلى ما حرَّم الله سوف تأكل من حسناتك بالدعوة إلى الله ..

وقبل هذا وذاك ، لا بد ان تخلصي النية لله تعالى عند الالتحاق بالجامعة وتتذكري دائماً اثناء دراستك انّك ما فعلت ذلك إلّا ابتغاء مرضاة الله وطمعاً في الثواب الذي جاء في حديث رسول الله ﷺ : « لأن يهدي بك الله رجلاً خير لك من حمر النعم » .. وفي رواية : « من الدنيا وما فيها » .. حيث تقومين بواجب الدعوة بين زميلاتك من الفتيات المسلمات ، فتُجنِّبي إخوانك الملتزمين آثام الاختلاط بالفتيات بحجة دعوتهن إلى الإسلام !! وجزاك الله خيراً ...]

●● ورؤية أخرى تقدمها الأخت الجامعية خديجة مشيش العلمي ـ من طنجة بالمغرب .. فتقـــول :

[... لا يا أختي في الله .. لا انصحك بالقعود في البيت بانتظار المنقذ ، بل يجب أن تواصلي تعليمك لتكوني عامل خير لامتك ، وكلّما تعلّمنا ودرسنا ازداد إيماننا بديننا بإذن الله .. وعالمنا الإسلامي يحارب اليوم بشتّى الأسلحة ، فكيف نواجهها بالجهل ؟!

صحيح أن معقل المرأة الأول هو بيتها ، لكن كيف تبني المسلمة هذا البيت وترعاه ؟ لا بد قبل كل شيء أن توسع من آفاق عقلها بدراسة علوم الدين والدنيا ، حتى تستطيع ان تصلح من شان بيتها ونشئها ، وتكون الابنة البارة ، والزوجة الصالحة ، والأم الواعية ..] .

الاختيـــار

●● وإلى جانب هذه المعاني ، تأتي بعض الرسائل لتسهم في الحوار من خلال رؤية الأم المسلمة ، بعقليتها الواعية وبقلبها الحنون ، نختار من بينها رسالة الأخت أم حسّان الحلو ـ من المدينة المنورة ـ بالسعودية ـ التي تقـــول فيها :

[... وهل تعتقدين يا أُختي ان مناخ الفتن والآثام مقتصر على مجتمع الكلية أو الجامعة ؟ وهل انت ـ لا قدّر الله ـ من

الضعف بحيث تحتويك التيارات المنحرفة والفاسدة ؟ وهل مواجهتنا لمثل هذه التيارات تجعلنا ننسحب ونستسلم أم تدعونا للاستعداد لها بالتقدم والتطوّر وتوسيع دائرة العلم والمعرفة والثقافة ؟

أمّا أنك ستنتظرين من ترضين دينه : فكيف بربك تقضين وقتك حتى يأتي ؟ هل تتركين الزمن يضيع سدى ؟ وهل انتظارك له سيعجل خطواته ؟ أنت تعلمين أنه سيأتي بقدر الله ومشيئته في لحظة مقدّرة ، قد تكون اليوم أو غداً .. أو بعيداً .. ولك عبرة في كثير من الأخوات النقيّات التّقيات اللواتي انتظرن طويلاً ، ولأمر ما ذهب شبابنا للزواج من اخريات !!

وبعد .. فلعلّك يا أختي قد توصّلت إلى ما اقترحه عليك ، وعلى أمثالك من الأخوات الفاضلات ، وهو اختيار طريق العلم ، وهناك فرص ممتازة مثل الدراسة بالمراسلة - إن أمكن - فهي تحقق تحصيل العلم ولا تتعارض مع الزواج وهي بعيدة نسبياً عن الفتن ، وتجعلك تستفيدين بوقتك فائدة مضاعفة ، فقضية العمر حساسة بالنسبة للمرأة ، وخصوصاً التي تختار طريق العلم ، لأنها بلا شك ستضحّي بفترة ليست بالقصيرة من شبابها لكنّها في النهاية تضحية من أجل هدف يستحق التضحية ، وصدق رسول الله ﷺ : « خيركم من طال عمره وحسن عمله » ..

وهنا يأتي (حسن العمل) ، باختيار مجال الدراسة المناسب ، والكلية المناسبة ، مع مراعاة اليقظة والحذر من التيارات الجارفة في عصرنا هذا .. إننا يا أختي نعاني من المرأة المتعلمة المتخلية عن مبادئها ورسالتها بقدر ما نعاني من المرأة الجاهلة المستغرقة في نومها .. ولن يكون الحل - بعون الله - إلّا بالعلم وبالوعي معاً ..

نسأل الله تعالى أن يعلمنا ما ينفعنا .. وأن ينفعنا بما علّمنا .. إنه سميع مجيب ..] ..

الوجــود المضطـــرب في مرحلـــة الانتقـــال

●● هذا ، وقد ساهم الشباب المسلم في الحوار الدائر حول هذه القضية برسائل عديدة ، نشرنا أنموذجاً منها تحت فقرة « أصداء » في باب « بريد الأمة » بالعدد الثالث والخمسين .. وهي في مجموعها تتضمن دعوة للأخت صاحبة القضية بأن تنزل إلى الساحة وأن تتابع دراستها الجامعيـــة .. ولكن نظرة الشباب هذه ، دارت حولها مناقشات ، نتناول جانبا منها من خلال رسالة بتوقيع « جامعية مسلمة » وردت من السعودية .. تفتح باب المناقشة مع الشباب المسلم لتحديد أبعاد دعوتهم وحدود مسؤوليتهم بشأنها .. فتقـــول :

[... انتم تتكلمون .. وما أسهل الكلام .. وبين النظرية والتطبيق بون شاسع .. تقولون كلاماً جميلاً ومقنعاً حقاً ، ولكنه كلام ناقص .. ولعلّ البحث في مشكلات المسلمات الملتزمات يأخذ طابعاً أكثر جدية إذا عمقنا إدراكنا بأن الفتاة المسلمة هي أساس المجتمع الإسلامي الذي نسعى لتحقيقه في المستقبل القريب - بإذن الله - وأن هذا الوضع يزيد من إحساسها بوجودها المضطرب في مرحلة انتقالية قلقة ، تُستهدف فيها من قبل أعداء الإسلام جميعاً ..

نعم .. ستنزل المسلمة إلى الساحة .. ولكنها ساحة عدوها الذي يتخفى فيها بألف قناع وقناع ويتّبع ألف وسيلة : ابتداء من القهر النفسي والمعنوي لكل ما يحمل سمة الإسلام ، وانتهاء بإجبارها على ارتداء ما ينافي الحشمة أو على نزع غطاء رأسها بحجة « مخالفته لروح الدستور » !!

قضايا مشتركة .. ولكن ..!

والحقيقة أن هناك مشكلات وقضايا مشتركة بين الشباب المسلم من فتيان وفتيات ، لكنها لم تبحث باهتمام إلّا من جانب واحد هو جانب الفتيان ، مثل قضية الزواج التي ترتبط مباشرة بموضوع المناقشة ، فالزواج فطرة إنسانية وضرورة اجتماعية .. إلى غير ذلك مما لم يقصر المربون المسلمون في شرحه وإثباته من القرآن الكريم والسنّة المطهرة .. والطالبة الجامعية في الجامعات ذات التعليم المختلط خاصة في الكليات العملية - مثل الطب والهندسة والصيدلة - حيث يبلغ الاختلاط مداه في بعض الجامعات ويؤدي إلى أسوأ النتائج - وهي جامعات تنتشر في جميع دول العالم الإسلامي والعربي إلّا من رحم ربي .. هذه الطالبة معرضة هي الأخرى للضغوط والمخاطر والمنغصات نفسها التي يتعرض لها الشاب ، ويُنصح من أجلها - على ألسنة الكتّاب المسلمين - بالزواج المبكر أثناء الدراسة الجامعية .. والشباب المسلم لا يزال معْرضاً عن الارتباط بالجامعيات المسلمات ، وخاصة اللاتي سيعملن بعد التخرج إمّا استجابة لإصرار أهلهن أو المجتمع الذي ينظر إليهن شزراً إذا فكرن بالامتناع عن العمل خوفاً على نقاء دينهن ..

ومع ذلك ، فإن هذا الشاب المسلم ذاته يطلب إليهن أن يتابعن دراستهن في تلك الظروف ، ومن ثم يعملن - ربما في ظروف أكثر سوءاً ، لسد أحد ثغور المجتمع المسلم وتقديم الخدمات للنساء المسلمات والتي لا يصح أن يقدمها الرجل إذا وجدت امرأة عاملة بأدائها قادرة عليه ، ناسياً أنه الحصن الذي يمكن لها أن تعمل من خلاله دون أن تخشى ما يضير ولا ما يريب ..

إن فرض الكفاية هذا يجب أن يتحمل رزأه الرجال والنساء على حد سواء ..

مناقشــة مفتــوحة حــول:

الفتاة المسلمة والمجتمع الجامعي

وكما هو الحال دائماً في مجالات الحياة المختلفة، وكما هي سنن الله في خلقه، فإن المرأة ستفشل في أدائه فشلاً ذريعاً إذا تركت وحدها لتؤديه منفردة ..].

التجربة .. ما لها وما عليها

وتضيف الأخت الجامعية في ختام مناقشتها:

[... وتبقى الحاجة إلى إجراء دراسة تحدد ما للتجربة وما عليها .. ما هي الإيجابيات وما هي السلبيات؟ وهل مردود عمل الفتاة المسلمة لسد الثغر أعلى أم مردود صنع جيل المستقبل بيدها وعلى عينها أفضل؟ وهل يمكن الجمع بين الاثنين في حال الضرورة، وبتضحية من الشباب قبل الفتيات .. بتقديم الحصانة التي يمكن النزول بها إلى الساحة، والضمانة التي ستزيد - بلا شك - عدد الدارسات المسلمات في الجامعة، وتغلق باباً واسعاً من أبواب الفتنة، ومن ثم يقل حجم العمل الملقى على عاتق الأقلية الموجودة حالياً بزيادة عددهن بعد التخرج، فيسهل الجمع بين العمل كواجب إسلامي وبين رعاية الزوج والأطفال كفرض وعبادة ...

ولكن .. من لهذه التضحية؛ والكل يقول: أدعها لغيري وسيقوم بها؟!

وتبقى مشكلة الشباب المسلم الذي لا يزال يخشى فشل زواج كهذا، لكثرة ما يرى ويسمع في وسائل الإعلام وعلى ألسنة «المثقفات»، المتكلمات باسم المرأة، والمطالبات بحقها (!) في أن «تعمل» و«تستقل» حتى أصبحت المرأة عبئاً على المجتمع من خلال جيش الموظفات المتمسكات بالوظيفة على حساب أي شيء آخر ..

غير أننا بصدد الحديث عن فريق آخر من النساء .. متميز .. مصبوغ بصبغة الله، يستحق المشاركة في التضحية .. لتحقيق متطلبات بناء المجتمع المسلم].

هـذا، وقد حرصت إحدى الأخوات - من الإمارات العربية المتحدة - على أن تسهم في الحوار برسالة تعبِّر عن بعض التحديات التي تواجه الفتاة المسلمة - من خلال خبر وصورة .. الخبر نشرته جريدة «القبس» الكويتية في منتصف شهر يناير - تحت عنوان: «طردت من الجامعة بسبب الحجاب» ويقول:

[... قرر مجلس إدارة جامعة أزمير التركية إنهاء عقد الدكتورة نباهت قورو بسبب حجابها، وقد أعلن القرار عميد كلية الهندسة في الجامعة قائلاً: إن مجلس كلية الهندسة قرر الاستغناء عن خدمات الدكتورة نباهت لأنها أصرَّت على ارتداء الحجاب ...

وكانت الدكتورة قد أوفدت من قبل الجامعة إلى الولايات المتحدة لإجراء دراسات في الكيمياء التطبيقية .. وبعد أن أنهت أبحاثها وعادت إلى التدريس في كلية الهندسة منعتها عمادة الكلية من التدريس واشترطت أن تنزع الحجاب، إلَّا أنها رفضت الانصياع لشروط العمادة، وأقامت دعوى قضائية ضد مجلس الكلية، وقبل أن تنتهي المحكمة من نظرها قرر مجلس الكلية طردها ولم يجدد عقدها .. وعلى إثر ذلك أعلنت الدكتورة «نباهت» أنها ستقيم دعوى قضائية بحق مجلس الكلية من جديد ...

ويعتبر طرد الدكتورة «نباهت قورو» أول حادثة طرد أستاذة جامعية باحثة بسبب الحجاب ..

وقد قوبل قرار الطرد بالاستياء الشديد، خاصة وأن الجامعات التركية تعاني من نقص شديد في عناصر التعليم الجامعي ...].

كان هذا هو الخبر .. أمَّا الصورة، فقد نشرتها مجلة «أرابيا» التي تصدر في لندن بالانجليزية، تعبيراً عن الحادثة .. وأرفقتها الأخت صاحبة الرسالة، دون تعليق ...

■■ ولا يزال باب المناقشة مفتـــوحاً.

بريد الأمة

●● تعددت رسائل الإخوة القراء - خاصة في المدن الصغيرة أو النائية - يعبرون فيها عن الصعوبات الشديدة، التي يواجهونها في سبيل الحصول على أعداد « الأمة » بطريقة منتظمة شهرياً ، وقد يقطعون المسافات الطويلة إلى مراكز التوزيع في المدن الكبيرة ، ومع ذلك لا يحصلون عليها بسهولة وقد تفوتهم بعض الأعداد .. وهم يرون أن من حقهم علينا أن نساهم برفع المعاناة عنهم ، وأن نوفر لهم ما يطلبونه ..

والحقيقة أن المشكلة هذه لم تكن غائبة عنّا طوال سنوات عمر المجلة ، وظلّت محل دراسة وبحث مستفيض من جوانبها كافة ، خاصة وأن حجمها لا يتفق مع الحلول الجزئية ولا يجدي معه أن نحاول إجابة بعض الطلبات ، في حين أننا لا بد أن نعترف بأن مجال التصرف محكوم بالاستطاعة ، ولا نمتلك من جانبنا إمكانات الحل كلها ..

ونود أن نقول للإخوة القراء إن الأعداد المطبوعة ستزيد نسبتها بصورة واضحة ، الأمر الذي سيلاحظونه - بإذن الله - ويخفف من معاناتهم ، كما أنه يجري ترتيب إعادة طبع ما صدر من سلسلة « كتاب الأمة » .. هذا وبالله التوفيق .. ●●

رســالــة ..

■■ بعثت الأخت هبــة .. من الأردن - بهذه الرسالة :

[... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد :

أنا فتاة مسلمة - في الثالثة والعشرين من عمري - أعيش في بيت مسلم لكنه لا يطبق تعاليم الإسلام بكاملها ، وقد نشأت بينهم على النمط نفسه ، مثل غيري من الفتيات اللاتي يجرفهن تيار الأهواء الزائفة ، وكنت أخرج كاشفة الرأس غير مبالية في حين كانت أختي الصغرى أقوى مني إرادة ، حيث اقتنعت بارتداء اللباس الشرعي وقاومت أكبر التحديات بالرغم من معارضة جميع المحيطين بها ..

أما بالنسبة لي ، فأنا لا أمتلك قوة عزيمتها ، وقد وجدت نفسي في مواجهة شديدة تحاول منعي من لبس الحجاب ، مبررة ذلك بآراء باطلة لا يقتنع بها العقل الإنساني : فهناك من يقول : إن من ترتدي الحجاب إنما ترتديه من أجل أن تستر إثماً ارتكبته في حياتها .. ومن يقول : إنها فتاة قبيحة المنظر وترتدي الحجاب لتستر هذا القبح .. ومن يقول : إنها رقيقة الحال وعاجزة عن شراء الملابس الفاخرة « الموضــة » ، واقتصرت على لبس الحجاب .. ومن يقول : إن من ترتدي الحجاب فتاة رجعية متخلفة .. وبعضهم يقول : إن من ترتدي الحجاب لا تتمكن من الحصول على زوج لائق .. وآراء أخرى كثيرة ،

طعنوا بها فتاة الحجاب ..

وأصدقكم القول بأن هذه الأفكار والضغوط والآراء جعلت مني فتاة ضعيفة الإرادة ، وغرست في نفسي الخوف من كل ما يقال ، وسيطر الخوف على نفسي أكثر عندما أخذوا يضربون المثل بفتيات يعلم الله أنهن لبسن الحجاب ولم يلتزمن آدابه ، الأمر الذي ساهم في تشويه سمعة المسلمات ..

وأصبحت هذه المخاوف تعقد كل الأمور في حياتي ، وأخاف على نفسي من أن أرتكب معصية تحت وطأة ما ألاقيه من تحقير من أقرب الناس إلى نفسي ، وأقصد بها « الأم » التي كانت أوّل من طعنت في فتاة الحجاب ، وخصوصاً بناتها ، حيث اتهمت أية واحدة منهن تريد أن ترتدي الحجاب بأنها فعلت منكراً وتريد أن تستره ...

وأخيراً .. ظني أنني لم أخطىء عندما توجهت بهذه الرسالة إلى « الأمــة » لعلّها تطرح هذه القضية للمناقشة ، فتساعد كثيراً من الأخوات ، وأجد فيها حلّاً ..] ■■

أصـــداء

● الأخت ليلى بنت موسى ـ من السعودية ـ بعثت برسالة حول مقال تجديد القديم .. وتقويم الجديد في الشعر المعاصر ـ الذي نشر بالعدد الثالث والخمسين (جمادى الأولى ١٤٠٥هـ) بقلم صالح عبد الله العبيري ـ تقول :

[... والحقيقة أن المقال فيه جهد واضح وتتبع مدروس ، فجزاه الله عنّا كل خير .. ولكن وقفت عند هذا القول لأستاذنا الدكتور يوسف عز الدين الذي سبق أن درست عليه الشعر الحديث والنقل عندما كنت طالبة في كلية الآداب ، وقد جاء ضمن هذه العبارة : « ... أمّا الرافضون له فاطلقوا عليه اسم نثر مشعور وأطلق عليه الدكتور يوسف عز الدين نثر مسطور » .

وقد راجعت كتب أستاذي ـ على كثرتها ـ ولم أتمكن من أجد هذا النص الذي تفضل الكاتب وذكره ..

ثم إنني سألت أستاذنا يوماً عن « داود صليوة » الذي جاء ذكره في المقال ، فقال : إنه نصراني ، فأين وجدتم بأنه يهودي ؟!

أرجو أن نسمع من الكاتب الفاضل الرأي الفصل بعد أن اختلفنا في مصدره .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته] .

● وأرسل الأخ محمد هيثم الرفاعي ـ من شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية يقول :

[... قرأت ما جاء في صفحة « خواطر وأفكار » بالعدد الثاني والخمسين ـ (ربيع الآخر ١٤٠٥هـ) حول هجرة الأدمغة العربية بقلم الدكتور يحيىٰ عبد الرؤوف جبر .. ولي تعليق على الموضوع :

لا شك بأن هناك هجرة في الأدمغة العربية والإسلامية ، وكثيراً ما نرى في بلاد الغرب وجامعاتها المتخصصين والأطباء والباحثين وغيرهم من العرب الذين وصلوا لدرجات عالية من العلم والخبرة .. وهم يريدون العودة لأوطانهم أو لأوطان عربية إسلامية ، للحفاظ على دينهم وأبنائهم ، فهم مقتنعون بأنهم بإمكانهم ممارسة شعائر دينهم وتربية أبنائهم على الإسلام أكثر مما يمكنهم ذلك في بلدهم الأصلي المسلم ، لكن للأسف غالباً ما يجدون باب العودة مغلقاً بسبب ضغوط سياسية دينية ، وإذا فكروا بالعودة إلى بلد إسلامي عربي آخر ، عوملوا على أنهم منتفعون ولقبوا بذلك ، وإذا أعطوا مراكز أو مهام غالباً ما يكونون أدنى من أقرانهم الأمريكيين أو الغربيين بينما هم في بلاد الغرب التي تنظر إلى مردود العمل قبل جواز السفر بالدرجة الأولى .

أخي .. إن مشكلة هجرة الأدمغة العربية المسلمة ليست كلها ـ كما يقول الأخ الدكتور يحيىٰ « كل نفس وما تهوى » ، إنما هي مشكلة تسلط (اللاأدمغة) على مراكز القدرة في بلادنا ونظرتهم الخاطئة إلى الغرب ، النظرة التي فرضها علينا الغرب نفسه ..

إن قلبي يُعتصَر بالألم لحال شعوبنا ، شتتها كثرة ما تعرضت له من مؤامرات حتى أصبحت لا تعي ولا تفكر بأدمغتها ..

● وحول المعنى نفسه جاءت رسالة الأخ مصطفى مختار سيد ـ من الجيزة ـ بمصر

مقترحــات

● الأخ محمد عثمان عبد الجليل عثمان ـ بور سودان .. أرسل عدة مقترحات .. منها :

* زيادة الكميات المطبوعة من « الأمة » وكتاب الأمة .
* استحداث باب جديد باسم « ندوة الشهر » يتناول فيه العلماء والمختصون القضايا التي تهم المسلمين .
* تخصيص صفحات باللغة الإنجليزية أو الفرنسية لمخاطبة المسلمين غير الناطقين بالعربية .
* تخصيص صفحة للتعريف ببلد إسلامي جغرافياً وتاريخياً واجتماعياً واقتصادياً ..

●● بالنسبة للاقتراح الأخير فإن المعلومات تتوفر من خلال ما ينشر من استطلاعات مصورة .

● ويقترح الأخ محمد محجوب فخري قنديل ـ من مصر :

[نشر كتاب ضمن سلسلة « كتاب الأمة » باللغة الانجليزية أو الفرنسية للتعريف بالإسلام تعريفاً صحيحاً على أن يتضمن الفرائض والعبادات ، ليعرف الأوروبيون مبادىء الإسلام الرفيعة ، ويعين المسلمين غير الناطقين بالعربية ..

● ويرى الأخ فرحات حسن ـ من المغرب :

[أن تعالج « الأمة » قضية تقليد الغرب ـ حيث يلاحظ أن هناك نزعة بين بعض الفتيان والفتيات في مجتمعنا لتقليد الغربيين في الألبسة الشفافة والفاضحة ـ بل وفي السلوك بارتكاب كثير من الفواحش .

● والأخت المؤذن بهيجة ـ من المغرب أيضاً ـ تقترح :

* التوسع في باب « شؤون المسلمين في العالم » .
* فتح المجال للشباب ليشاركوا بالرأي حول قضايا العصر والمستقبل الذي ينتظرهم في مجتمعات ملئت بالأباطيل ، وحول قضية التعليم بالذات وكيف لا يتنافى نظام التعليم مع مبادىء الإسلام ..

●● وفيما يتعلق بالاقتراح الأخير نرى أن باب « بأقلام القراء » يستوعب آراء الإخوة الشباب حول القضايا المختلفة ، ويمكنهم الكتابة فيه ، أما قضية التعليم فقد بدأ الإخوة القراء مناقشتها بالنسبة للفتاة المسلمة في باب « الأسرة المسلمة » ، ويمكن متابعة المناقشة والإسهام فيها بالرأي .

● ويقترح الأخ أحمد محمد السمواتي ـ من أسيوط ـ مصر :

جمع باقة جيدة من القصائد الشعرية ـ ونشرها في أحد أعداد سلسلة « كتاب الأمة » يخصص للشعر الإسلامي ، وإصدار كتاب آخر عن الأدب الإسلامي ويقول : [... إذا كان قد صدر كتاب عن الاستشراق ، فنرجو أن يصدر كتاب عن حركة التنصير ، وآخر عن الاستعمار الحديث ، وثالث عن الغزو الفكري] .

● ويشاركه الرأي فيما يتعلق بكتاب الأدب الإسلامي ـ الأخ المقرىء الإدريسي أبو زيد ـ الأستاذ المساعد بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمغرب .

● ويطلب الأخ عادل محمد الصفدي ـ من الأردن ..

* بيان المزيد من المعلومات عن الخلافة الإسلامية في عهد الدولة العثمانية « حيث يجهل كثير من المسلمين تاريخها ويعتبرها بعضهم استعماراً » .
* تسليط الأضواء على تاريخ المسلمين خاصة في العصور القريبة ، وإضافة زاوية تتناول حياة رجال الدعوة والفكر والعلم من المسلمين من صحابة وتابعين وعلماء كان لهم الفضل في تأسيس المنهج التجريبي في الطب والهندسة والفلك والرياضيات ، « حيث لا نزال نضرب المثل بغيرهم من الصليبيين أو الإفرنج عامة في هذا المجال » .
* إصدار ملحق يتناول قضايا من الفقه الإسلامي تكون لها علاقة بواقع المسلمين ، وتسهم في حل مشكلاتهم .

تصـــــــويب ...

●● الأستاذ الدكتور عمر فروخ - بيروت - بعث برسالة تتضمن هذا التصويب

[... السلام عليكم ورحمة الله .. وبعد

فقد نشر في « الأمــة » (السنة الخامسة - العدد [٥٣] ، جمادى الأولى ١٤٠٥هـ شباط (فبراير ١٩٨٥م) على الصفحات ٢١ - ٢٥ ، مقال بعنوان « تجديد القديم وتقويم الجديد في الشعر المعاصر » روى عني ما ليس في كتابي « هذا الشعر الحديث » ..

الذي في كتابي : أن شكل القصيدة وتعدّد البحور (كما نجد في الموشحات) والتحرر من القافية والخيال ، أمور معروفة ، ولا اعتراض عليها ، إن اعتراضي على أصحاب الشعر الذي يسميه أصحابه حديثاً « غموض المعنى بالإغراق في الرمز (وقد كره النقاد ذلك) والإتيان بالمحالات والفساد الأخلاقي ومفارقة المثل العليا في الأمة وضآلة الثقافة ، ثمّ التخلّي عن الثقافة الصحيحة في سبيل خيال مريض (كما نرى عند ت . س . إليوت ، مثلاً) ...]

ويضيف الدكتور فـــروخ

[... كنت أتمنى لو كان لهيئة التحرير في مجلة « الأمــة » رقابة على ما ينشر على صفحاتها ، لأن الصحافة مدرسة شديدة الأثر في الجيل الناشيء ، وما كل قارىء قادراً على أن يميز الحقّ من الباطل والصواب من الخطأ ..

وفي الختام تقبلوا شكري وعذري وسلامي] .

●● ونحن إذ نشكر للدكتور فروخ هذا التصويب ، نعترف بأن أي جهاز للرقابة تبقي قدرته محدودة بدون دقة الكاتب في النقل والاقتباس ، ومتابعة الإخوة القراء من المختصين والمهتمين بالقضايا المنشورة ، وحرصــهم على تصــويب الخطأ .. ●●

واحة الإخــــاء

○ من المغرب بعث الأخ لخباب سعيد برسالة ، إلى « واحة الإخاء » يكشف فيها للإخوة القراء عن بعض أساليب الهيئات التنصيرية ، ويحذرهم أن يقعوا فريسة لها ، وقد أرفق برسالته « البطاقة » التي يتسلل بها المنصّرون إلى الشباب المسلم ، وكان الأخ لخباب قد تسلّمها ضمن هداياهم .. يقول :

[... ستجدون برفق رسالتي إليكم ورقة خضراء ، أرسلتها إليّ بعض الإذاعات التنصيرية التي تذيع برامجها باللغة العربية ، وهي ترسل كتباً وأشرطة وهدايا مجاناً ، في محاولة لتنصير المسلمين ..

ولغيرتي على الإسلام والمسلمين فإنني أعرض هذه الفكرة وأتمنى أن تؤخذ بعين الاعتبار ، وهي أن يتعاون المسلمون في إنشاء إذاعة مسموعة عالمياً للدعوة الإسلامية ...] .

○ وأرسلت الأخت عبابسة عبلة من قسنطينة - الجزائر - تقول :

[... إنني أعبّر عن إعجابي الشديد بمجلتكم الموقرة .. إنها حقاً تبعث في نفوس المسلمين صحوة جديدة ، بعد أن كادت قضاياهم أن تُنسى ، خاصة فيما يتعلق بالمرأة المسلمة .. ولهذا أرجو أن تفتحوا المجال في « الأمة » تنالون به رضا الله تبارك وتعالى ، لإصلاح حال المرأة ، وأنا على يقين - بإذن الله - من أن عدد المهتمين بهذه القضية لا يعد ولا يحصى .. وأرى أن يبعث كلّ من يعرض له أمر بمشكلته ، وأن يشارك كل من له رأي من الإخوة القرّاء بالحل ، لكن دون أن نستغني عن رأيكم وحلكم لمشاكلنا ولعلّ في نشر كلمتي هذه ما يحث القراء - خاصة المرأة المسلمة - على طرح القضايا ومناقشتها ..] .

○ وحول هذا المعنى ، جاءت - من غينيا - رسالة الأخ نوح سناسي كاني .

○ ومن كينيا - بعث الأخ أحمد حرص غودي - برسالة يقول فيها :

[... يا إخوة الإسلام .. إننا في هذا البلد - كينيا - نعاني كثيراً من عدم وجود مجلة إسلامية - خاصة باللغة العربية - فنحن نريد أن نتعلم العربية لغة القرآن الكريم ، فلا نجد مطبوعة لذلك ولا يتوفر أيضاً أي « شريط » تسجيل إسلامي بالصوت والصورة « فيديو » .. فكل ما يوجد هنا لا يوافق الشريعة السمحاء ونحن - لولا رعاية الله تعالى - ثم بعض الجهات العربية ، لأصبحنا في خطر محقق ..

إن مجلة « الأمة » هي أول مجلة إسلامية تصلني ، مع أنني أرسلت إلى مجلات عربية كثيرة - فما وجدت غير مجلتكم .. فجزاكم الله خيراً ..] .

ردود خاصة

■ الأخ الشدادي توفيق - المغرب ..

●● الشخص المذكور في المنشور الذي أرسلته إلينا وهمي لا وجود له ، وكذلك ما تضمنه ذلك المنشور ، ومنذ بدايات هذا القرن وهو يطبع ويوزع ولا ندري الجهة التي تقف وراءه ، ونذكر بقول الله تعالى في سورة الفرقان :

﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ﴾ (الفرقان : ٣٤) ، وكان رسول الله ﷺ يقرر هذه الحقيقة :

﴿ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ... ﴾ (الأنعام : ٥٠)

﴿ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ ﴾ (الأعراف : ١٨٨) .

والساعة من الغيب الذي اختص الله عزّ وجل بعلمه .

■ الأخ مختار سيد أحمد عبد السلام - طنطا والأخ محمد السعيد رضوان - دمياط - مصر

●● المواد التي يتقرر نشرها في « الأمة » ، ومنها ما ينشر في باب « بأقلام القراء » يشترط فيها ألّا يكون قد سبق نشرها في أي مجلة أو صحيفة أخرى .

■ الأخ محمد ذاكر حسن سقاف - جزر القمر ..

●● نــرحب بمساهمتكم بــالكتــابــة إلى « الأمة » - كما نرحب بمساهمة الإخوة جميعاً ، أما فيما يتعلق بصلاحية أي مادة للنشر ، فإن ذلك يتقرر بعد أن نتلقى هذه المادة أولاً ثم مراجعتها ، وإبلاغ صاحبها بذلك ، وندعوا الله لك بالتوفيق .

■ الأخ سعيد امباكي - الــريــاض - السعودية ..

●● يتم تحديد الفائزين في مسابقة « الأمة » عن طريق القرعة بين أصحاب الإجابات الصحيحة .

■ الأخ جوان بو علام - الجزائر ..

●● « الأمة » ليست الجهة المسؤولة عن الموضوع .

■ الأخ عبد المجيد كمي - الجزائر ..

●● عنوان الدكتور خليل حميض :
عمّـان - الأردن
ماركا الجنوبية - ص . ب ٢٥٠٧٨

●● وعنوان الشيخ مصطفى أحمد الزرقا :
عمّــان - الأردن
كلية الشريعة - الجامعة الأردنية

■ الأخ حمد خلفان سليمـان - سلطنة عمان ..

●● عنوان مجلة « المشكاة » :
المغــرب - وجدة ص . ب 238

بأقلام القراء

لا تغضـــــــب !

●● ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى ﴾ (النجم : ٣ ، ٤)

كفاك بالعلم في الأمِّيِّ معجـــزة
في الجاهليـــــة والتأديبُ في اليُتـــم

أتى رجل إلى النبي ﷺ فقال : أوصني : قال : « لا تغضب [فردد مراراً] لا تغضب » [رواه البخاري] .

في الماضي كان العلماء يعتقدون أن الغضب الصريح ليس له أي أضرار وأن الغضب المكبوت فقط هو المسؤول عن كثير من الأمراض ، لكن دراسة أمريكية حديثة قدمت تفسيراً جديداً لتأثير هذين النوعين من الغضب حيث يقول العلماء : إن الكبت أو التعبير الصريح للغضب يؤديان إلى الأضرار الصحية نفسها وإن اختلف نوعها .

في حالة الكبت قد يصل الأمر عند التكرار إلى الإصابة بارتفاع ضغط الدم وأحياناً بالسرطان ، وفي حالة تكرار الغضب الصريح يمكن أن يؤدي إلى الإضرار بشرايين القلب ، واحتمال الإصابة بأزمات قلبية قاتلة لأن انفجار موجات الغضب ، قد يزيده اشتعالاً ويصبح من الصعب التحكم في أي انفعال مهما كان ضئيلاً ، فالحالة الجسمانية للفرد ، لا تنفصل عن حالته النفسية ، و «ميكروب» التوتر والغضب والإحباط وغيرها من ميكروبات الأزمات النفسية تنتقل بسرعة إلى الأعضاء الحيوية في الجسم لتصيبها بأضرار جسيمة ، فمن التجارب العلمية تبين أن التوتر الشديد أو الانفعالات الغاضبة الحادة ، يؤديان إلى نتيجة مؤكدة ، هي إسراف الغدد الحيوية في إفراز عصاراتها ـ ووصول معدل إفراز إحدى هذه الغدد إلى حد سد الطريق أمام جهاز المناعة في الجسم ، وإعاقة حركة الأجسام المضادة المنطلقة من هذا الجهاز عن الوصول إلى أهدافها ، الأخطر من ذلك كله : أن بعض الأسلحة الفعَّالة التي يستخدمها الجسم للدفاع عن نفسه والمنطلقة من غدة حيوية تتعرض للضعف الشديد نتيجة لإصابة هذه الغدة (بالتقلص) عند حدوث أزمات نفسية خطيرة .. وذلك يفسر احتمالات تحول الخلايا السليمة إلى «سرطانية» في غيبة النشاط الطبيعي لجهاز المناعة ، والدراسة الأخيرة تنتهي بسؤال عام ، هو : إذا كان انفعال الغاضب مهما «كبت» أو «انطلق» يؤدي إلى هذه المشاكل الصحية فماذا نفعل ؟ والإجابة تقول : يجب عند حدوث انفعال الغضب الاعتراف أولاً بوجوده ثم تحليل أسبابه ، وهل تستحق هذا الغضب ثم محاولة اكتشاف جانب سار في هذه اللحظة « المأساوية » .

يقول الرسول ﷺ : « إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار وإنما تُطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ » ، ويقول ﷺ : « إذا غضب أحدكم فليسكت » قالها ثلاثاً ، ويقول ﷺ : « ليس الشديد بالصُّرَعة ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » أي أنه ﷺ يعطي مَن غضِب « روشتة » تدفع عنه الغضب وتساعده على استعادة السيطرة على تفكيره ، وصدق الله العظيم القائل : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (التوبة : ١٢٨) . ●●

هدى محمد إبراهيم خليفة

[مصـــر] شبرا الخيمة

●● كتب الأخ/ نجاح إبراهيم الشوسي من المغرب الأقصى ، قصيدة عن محنة بيت المقدس ، والحث على الجهاد من أجل تطهيره وتحريره .. نختار منها الأبيات التالية :

فريضـــة الله في الدنيـــا جهادكم

كيْفَ القُعودُ وَبَيْتُ القُدْسِ مَغْصوبُ ... كَيْفَ السُّرورُ وَعِزُّ العُرْبِ مَسْلوبُ ؟
كَيْفَ السَّلامُ .. وَقَدْ عاثَ العَدُوُّ بِنا ... كَيْفَ الرَّفاهُ .. وَعِرْضُ النَّاسِ مَثْلوبُ ؟
أَعْداؤنا مِلَّـةٌ في الكُفْرِ واحِـدَةٌ ... وَإِنْ بَـدا مِنْهُمُ في السِّلْمِ تَـرْغيبُ
وَإِنْ شَكَكْتَ .. فَـإِنَّ اللّـهَ ذاكِرُهُ ... وَلَيْسَ لِلّـهِ فيما قـالَ تَكْـذيـبُ
يا مَعْشَرَ العُرْبِ هُبُّوا مِنْ سُباتِكُمْ ... وَأَيِّدوا الدِّينَ .. إِنَّ الـدِّينَ مَنْكوبُ
هذي فِلَسْطينُ تَشْكو وَهْيَ صارِخَةٌ ... وَالقَلْبُ مُكْتَئِبُ .. وَالدَّمْعُ مَسْكوبُ
فَريضَةُ اللّـهِ في الدُّنْيـا جِهادُكُمو ... في تَـرْكِ مَيْدانِـهِ إِثْمٌ وَتَثْـريـبُ
إِنْ تَنْصُروا اللّهَ يَنْصُرْكُمْ بِلا كَذِبٍ ... وَالنَّصْـرُ لِلحَقِّ وَالإِيمانِ مَكْتوبُ
تَرْجونَ نَصْـراً مِنَ الرَّحْمنِ مُكْتَمِلاً ... وفي القُلوبِ سَعيرُ الخُلْفِ مَشْبوبُ ؟!
ما العِزُّ إِلَّا بِـدينِ اللّهِ لَـوْ عَلِموا ... وَإِنَّمـا الـذُّلُّ لِلْكُفَّـارِ مَنْسوبُ
لَقَدْ غَدَتْ أُمَّـةُ الإِسْلامِ قـاصِرَةً ... إِذْ لَمْ يَنَلْها مِنَ القُـرْآنِ تَهْذيبُ
يـا لَيْتَها طَبَّقَتْ شَـرْعَ الإِلـهِ على ... كُلِّ الجِهاتِ .. وَأَنْفُ الكُفْرِ مَتْروبُ
لكِنَّنـا فـي زَمـانٍ كُلُّـهُ فِتَـنٌ ... لِلشِّرْكِ في مَعْقِلِ الإِسْلامِ تَرْحيبُ
عارٌ على العُرْبِ أَنْ يَبْقى تُـراثُهُمو ... سَلْباً .. وَفي أَرْضِهِمْ يَسْتَأْسِدُ الذِّيبُ

صغيــــــيرة

طالَ الغِيابُ ..
وَأبي المسافِرُ لا يَعودُ
شَوْقي إليهِ بِلا حُدودْ
أمّاهُ .. ما الأمْرُ الّذي عَنّي انْطوىٰ ؟
ما كانَ مِنْ أمْرِ الوُعودِ ؟!
أمّاهُ .. هَلْ يَأْتي أبي ؟!
فَيَرىٰ بِأنّي قَدْ كبِرْتُ
وَأنّ ثَوْباً قَدْ شَراهُ لِبِنْتِهِ أمْسىٰ صَغيرا ..
أوَلا تَرَيْنَ غيابَهُ يُشْجي ..
ويُبْكيني كثيرا ؟!
أوَلَيْسَ في شَوْقٍ إليَّ ..
ألَيْسَ يَمْلأهُ الحَنينُ ؟
أرَأيْتِ يا زِنْزانَةَ الظُّلْمِ اضْطرابي ؟
وَعَرَفْتِ حُزْني وَاكْتِئابي ؟!
أنْتِ الجَوابُ على الصَّغيره ..
في لَيْلِكِ الوَحْشِيِّ أسْرارُ اغْتِرابي ..
وَحَياتُنا باتَتْ مَريره ..

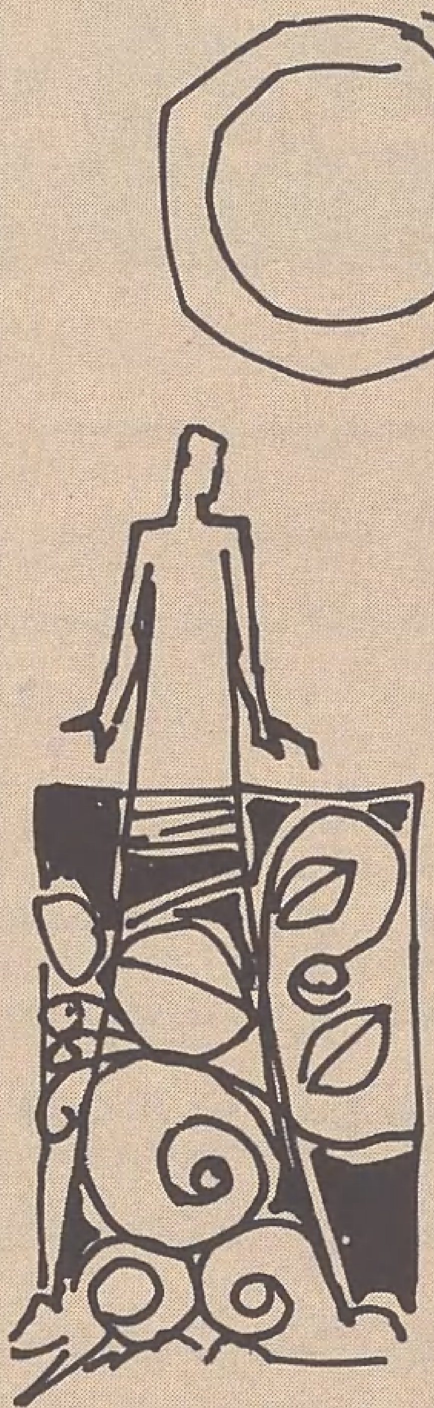

[فاطمــة الصالح]

●● [أود أن أؤكد لكم أن مسلمي الهند مع ضعفهم في كثير من المجالات الدنيوية ، قد قاموا بدور كبير في نشر الإسلام ، والحفاظ على هويتهم الإسلامية وعلى عقيدتهم الدينية الصافية .. إن مدارسهم قد نشرت النور ، ورجالها قدموا خدمات جليلة في الفكر والعلم ، ومن الضروري أن يطلع المسلمون في العالم على تلك المدارس الإسلامية ، التي تشكل الحصون الإسلامية في القارة ..] .

بهذه المقدمة يمهد الأخ محمد أرشد الأعظمي لانطباعاته التي كتبها حول كتاب جديد لسماحة الشيخ أبى الحسن الندوي ـ بعنوان : « رسائل الأعلام » . ●●

انطباعات حول كتاب « رسائل الأعلام »

صدر أخيراً كتاب « رسائل الأعلام » لسماحة شيخنا الندوي حفظه الله ، الذي هو عبارة عن سبعين خطاباً ، كتبت ووجّهت إليه من الأساتذة الكبار والدعاة الأبرار والمؤلفين الأدباء والملوك والوزراء ، في فترة ما بين ١٣٦٧هـ إلى ١٤٠٤هـ ، هذا الكتاب كما هو مصدر التعرّف على خواطر الكاتبين وعلى أحاسيسهم الذاتية النفسية ، وكما يعرّف أساليب الكتابة المتنوعة ، يعتبر إضافة جديدة في مكتبة الأدب الإسلامي (الذي كثر عنه الحديث) ودليل واضح ، وشهادة ناطقة على آفاقية المكتوب إليه ، وعلى توجّهه الديني الذي بلغ إلى أقصى البلاد ، وأصبح سبب التعريف لكل من يعنى بنشر الإسلام وإبلاغ رسالته أو النصيحة له أينما كان ، ومهما كان البعد الجغرافي حائلاً ، والعادات والتقاليد متغيرة ، لأن الآصرة الدينية هي أقوى من كلّ آصرة سواها ، هذا الخطاب من رجال يختلفون غاية الاختلاف في الذوق والعمل ، فهذا داعية وذلك عالم وهذا قائد وذاك مؤلّف وأديب ، وأولئك ملوك ووزراء ... ولكن المكتوب إليه واحد ، فهذا التنوع والاختلاف في الكاتبين مع وحدة المكتوب إليه دليل على سعة أفقه وعلى رحابة صدره وعلى بعد نظره ، وشهادة على الأمر المهم لديه الذي هو العناية بجوهر الدين مع التوسّع في الأمور الفرعية الأخرى .

ويزيد قيمة الكتاب التراجم الوجيزة للكاتبين ، التي هي مصداق « ما قلّ ودلّ » لأنها تعرّف القارىء بدورهم الفعال الذي قاموا به في المجتمع الذي عاشوه ، وبصفاتهم التي امتازوا بها على أقرانهم ، وبالمهام التي قاموا بها ، إنّ هذه التراجم الهامشية تصوير بارع بقلم فياض للشخصيات الممتازة ، وأنموذج للكتابة المختصرة حول الأفراد والأشخاص .

إن الكتاب ـ كما أعتقد ـ تسجيل للتاريخ الدعوي والفكري إلى جانب ما يقدمه من رؤية صحيحة سليمة للفكر الإسلامي والقضايا المعاصرة ، زد على هذا أنه معلّم أخلاق وداعٍ إلى المكارم ، فإن الكتّاب والمراسلين قد خاطبوا المكتوب إليه بأحسن الألقاب وأروع الألفاظ .

إن صدور هذه الكتاب في الهند (التي يتعلم فيها كثير من الأبناء اللغة العربية ويتمرنون على الكتابة فيها والتكلم بها) لحافز كبير وداعٍ قوي وأنموذج صادق للنشء الذي يتدرج في اللغة العربية ، علاوة على نصحه لا للناشئين فحسب ، بل للكبار أيضاً أن يتبادلوا الأفكار والآراء العلمية والدعوية فيما بينهم ، فإنه يأتي بنفع ويقرب المسافات ويدعو إلى التعاون والتناصر في عمل الخير والرشاد بإذن الله .

ومن المعلوم أن الخطابات أقرب ما تكون إلى الصراحة والبساطة ، وأبعد من التكلف والتصنع ، فإنّ الكاتب يركز على إرسال أفكاره وأخيلته بل خواطر قلبه إلى المكتوب إليه ويفضي عن ذات صدره إلى أخيه أو محبّيه ليخفف شيئاً من آلامه وأحزانه ، ففي موقف المراسلة يكون الإنسان أكثر صدقاً ونزاهة ، فالرسائل والخطابات قطعة من نفس الكاتب وطبيعته ، وأسلوبها طبيعي مرسل ، فهذا الكتاب أنموذج من هذه الناحية للكتابة التلقائية التي هي حاجة كل أدب .

فالكتابات حديقة ذات ألوان وروائح ، وجنينة ذات أزاهير وأنوار ، ومدرسة ذات أساتذة كبار وطلّاب نجباء .

بارك الله في حياة المكتوب إليه وفي حياة الكاتبين الذين لا يزالون على قيد الحياة ، ونفع بهم الإسلام والمسلمين .

محمد أرشد الأعظمي الندوي ـ جامعة فلاح الدارين
تركيسر مديرية سورت [غجرات ـ الهند]

يوم العلم الرابع والعشرون

■■ الاهتمام بالعلم والعلماء من أبرز سمات المجتمع المسلم .. ويوم أن كانت الدولة الإسلامية تكرِّم العلماء وتعلي من قدرهم ، كانت الأمة الإسلامية أكثر الأمم عطاءً وكانت مركز إشعاع حضاري ..

ولقد حرصت دولة قطر منذ نشأة التعليم فيها ان تكرِّم القائمين والمهتمين بالعلم وطلابه .. ففي العشرين من شباط (فبراير) الماضي ، احتفل بيوم العلم الرابع والعشرين حيث كرمت وزارة التربية والتعليم قدامى موظفيها والخريجين الحاصلين على درجات الدكتوراه والماجستير وخريجي الجامعات في الخارج والخريجين العسكريين من الجيش والشرطة وأوائل معهد الإدارة ومدارس التفوق العلمي ..

وفي ذلك اليوم احتفلت قطر بتخريج (٥١٥) خريجاً جامعياً وخريجة جامعية و (٣٨) خريجاً وخريجة من الدراسات العليا من حملة الدكتوراه والماجستير في عدد من التخصصات العلمية والأدبية .. كما تخرج (١١٥٢) طالباً وطالبة من المرحلة الثانوية العامة والتخصصية ..

وتشير إحصاءات وزارة التربية للعام الدراسي ١٤٠٣ - ١٤٠٤هـ (١٩٨٣ - ١٩٨٤م) إلى أن عدد الطلاب والطالبات المسجلين بالمدارس النهارية بلغ (٤٧٢٨٥) طالباً بزيادة قدرها (١٨٦٩) طالباً أي بنسبة (٤,١٢٪) عن العام (٨٢/١٩٨٣م) .. وبلغ عدد الطالبات من ذلك (٢٢٨٩٨) طالبة بنسبة ٤٨,٤٣٪ من مجموع المسجلين والمسجلات ..

وفي المدارس المسائية كان عدد الدارسين والدارسات في العام (١٤٠٣ - ١٤٠٤هـ) (٩٤١٠) ، بينهم (٥٢٠٣) في المرحلة الابتدائية ومحو الأمية ، (٢٥٥٦) في المرحلة الإعدادية ، (١٦٥١) في المرحلة الثانوية ..

ويستمر التوسع ، رأسياً وأفقياً ، في التعليم العام والتخصصي والجامعي وفي الابتعاث للدراسة في الخارج ، للبنين والبنات ، وفي فتح مراكز محو الأمية وتعليم الكبار للرجال والنساء .. وفي الوقت نفسه تستمر الدولة باتجاه تقطير الوظائف القيادية وتدريب الكفاءات وتأهيلها بالتعاون بين وزارة التربية والجامعة ..

وإلى جانب هذا التوسع ، تحرص دولة قطر أن تقدم لأبنائها تربية أصولية متوازنة تنبع من عقيدة الأمة وتنهل من تراثها وتؤكد على قيمها ومثلها . وفي الوقت نفسه تستفيد من التقدم العلمي والنمو المعرفي والتطور التقني الذي يمتاز به العصر الذي نعيش فيه .. وعلى هذه الأسس تنمو التربية في قطر وتتطور وتعرف طريقها وتدرك أهدافها كتربية عربية إسلامية حديثة معاصرة .. ■■

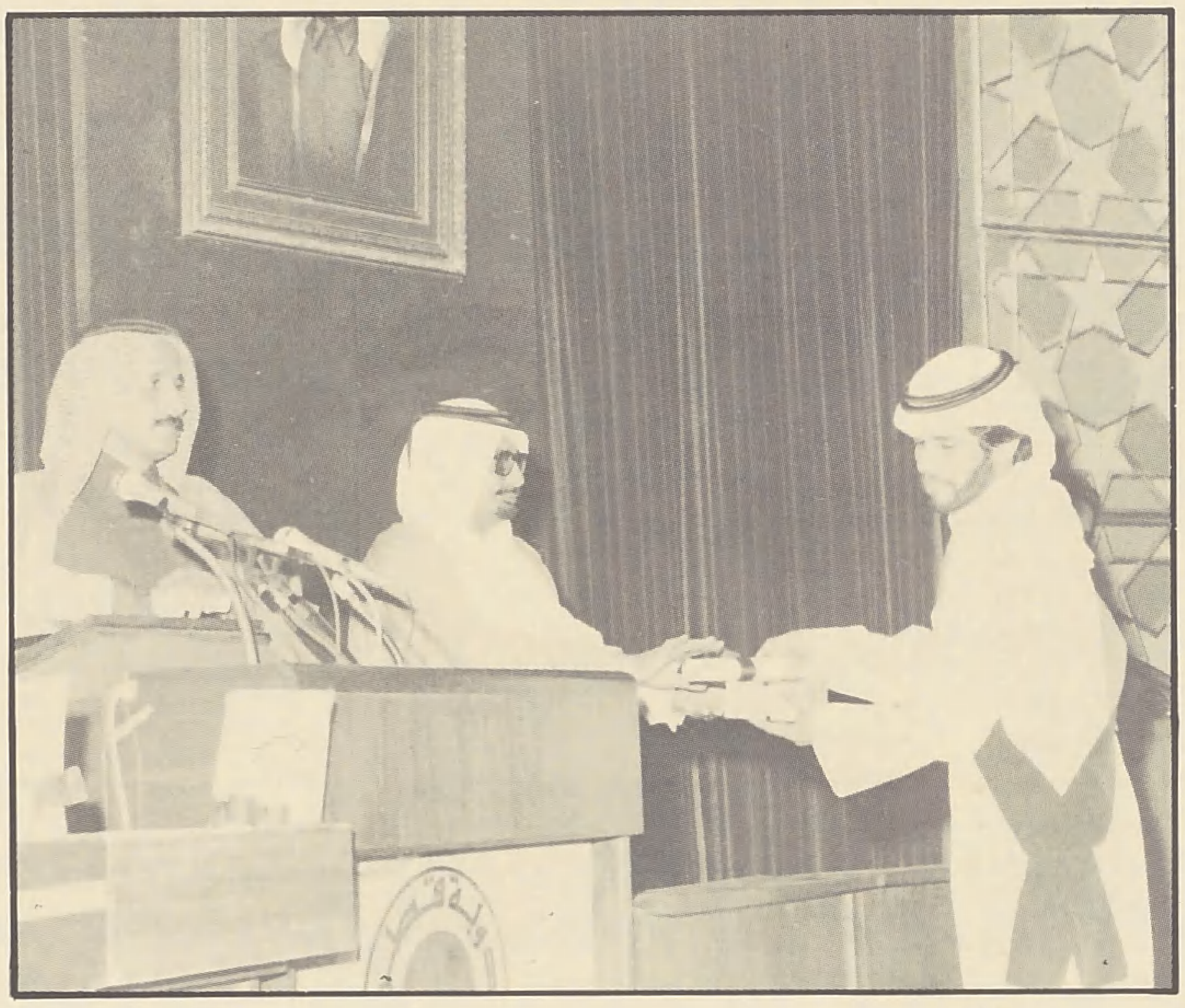

● سعادة وزير التربية والتعليم يكرم الخريجين في يوم العلم ●

من هو ؟ ..

● جورباتشيف ●

● ميخائيل سيرجي فيتش جورباتشيف - قوقازي - من مواليد مارس [آذار] ١٩٣٢م .

● عمره (٥٤) عاماً - من جيل ما بعد الحرب العالمية الثانية - وأصغر عضو قيادي في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي - وسكرتير اللجنة المركزية للحزب بعد وفاة « قسطنطين شرينكو » .

● ياتي اختياره في هذا المنصب ، في وقت تشهد فيه الأيديولوجية الشيوعية الماركسية وتطبيقاتها تراجعاً وانحساراً ، وتخضع مبادئها الأساسية لكثير من النقد في مواقع كثيرة على مستوى العالم ، وأخطرها التغييرات الجذرية التي تحدث في الصين والتي أطلقت عليها بعض الدوائر السياسية العالمية صفة « الانقلاب الأبيض » .. هل قررت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي - ومعظم أعضائها من العجائز - أن تدفع بعناصر شابة إلى موقع القيادة

المنظمات البديلة

■■ كل الدلائل تشير إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية ماضية في تنفيذ مخططها الرامي إلى إيجاد منظمات موالية لها وبديلة للمنظمات الدولية القائمة والتي خرج كثير منها عن سيطرتها ونفوذها .. فبعد انسحابها الأخير من « اليونسكو » ، تلوّح واشنطن باحتمال انسحابها من الصندوق الدولي للتنمية الزراعية أو على الأقل تجميد عضويتها .. ومن جانب آخر بدأت الأزمة المالية تعصف بـ «الأونروا» وتهدد بخفض الخدمات التي تقدمها للاجئين الفلسطينيين ، والسبب أيضاً هو تباطؤ الولايات المتحدة في تقديم مساهمتها التي تزيد عن ثلث دخل هذه الوكالة الدولية ..

وتقف الدول الأوروبية ، بشكل أو بآخر ، إلى جانب الولايات المتحدة في كل مخططاتها .. وقد برزت مشكلة صندوق التنمية الزراعية خلال اجتماعه الأخير [باريس ، تشرين الأول - أكتوبر - ١٩٨٤م] لمناقشة التجديد الثاني لموارده التي يحصل عليها من مجموعتين من البلدان الأعضاء (١٣٩ بلداً) . إذ لم يتم التوصل إلى صيغة مرضية لتوزيع كل مجموعة في ميزانية السنوات الثلاث المقبلة والتي تقدر بمليار دولار .. فبينما تصر المجموعة الأولى التي تضم (٢٠) بلداً صناعياً أعضاء في منظمة التنمية والتعاون الاقتصادي ، على خفض مساهمتها التي التزمت بها سابقاً (٥٨٪) ، تسعى المجموعة الثانية التي تتكون من (١٢) بلداً نامياً في منظمة الدول المصدرة للنفط ، لإقناع المجموعة الأولى بتفهم الظروف الاقتصادية الصعبة التي تمر بها إثر التدهور الذي أصاب أسواق النفط ..

الشيء المؤسف أنّ الضحية لهذه المشكلة هم الجوعى والمرضى في (٨٠) بلداً نامياً كانت تستفيد من خدمات الصندوق الذي يتبع الأمم المتحدة وأنشىء من أجل مساعدة فقراء تلك البلاد لزيادة إنتاج الأغذية والزراعة .. وقد اضطر الصندوق الذي لا يملك الآن سوى أقل من (٩٠) مليون دولار ، لتخفيض مشروعاته خلال عام ١٩٨٤م بنسبة ٢٣٪ عما كانت عليه في ١٩٨٣م .

بعض المراقبين يعتقد أن إصرار المجموعة على خفض مساهمتها نابع من إدراك دول هذه المجموعة لخطورة النجاح الذي حققته المشروعات التي موّلها الصندوق منذ تأسيسه (١٩٧٧م) - ومنها (٢٧) مشروعاً في (١١) بلداً عربياً - وما يتوقع من زيادة في الإنتاج الزراعي تقدر بـ (٢٠) مليون طن من الحبوب تسد حوالي ٢٠٪ من الفجوة الغذائية في البلدان النامية التي كانت مفروضة عليها من العالم الصناعي .

بعض المتفائلين يقول بأن انسحاب الولايات المتحدة أو تجميد مساهمتها التي لا تتجاوز (٩٠) مليون دولار لن يؤثر على مستقبل الصندوق ، هذا إن التزمت الدول الأخرى بحصصها .. ولكن الخطورة أن تحذو الدول الأوروبية حذو أمريكا فتنسحب أو تجمد مساهمتها ، وذلك يعني مزيداً من الجوعى ومزيداً من الموتى ومزيداً من الدوران في فلك الكبار .

أما وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين «الأونروا» فإنها تمر بأسوأ أزمة مالية منذ عام ١٩٧٥م .. فبينما تحتاج إلى أكثر من (٢٢٥) مليون دولار لتحسين أوضاعها ، لا تتجاوز ميزانيتها (١٦٥) مليون دولار .. مما يهدد بإلغاء كثير من الوظائف وتخفيض بعضها وتأجيل دفع زيادات رواتب حوالي (١٢) ألف مدرس وعامل وموظف فلسطيني في الأجهزة التابعة للوكالة .. وإذا لم تحل الأزمة ، فإن بعض المدارس والعيادات الطبية التابعة للوكالة في الأردن ولبنان والضفة والقطاع ستكون مهددة بالإغلاق ..

لقد بدأت الولايات المتحدة الأمريكية وحليفاتها الأوروبيات بهدم منظمة الأمم المتحدة والهيئات التابعة لها تمهيداً لإحلال منظمات بديلة تابعة لها ، فهل يخطط الاتحاد السوفييتي بدوره للأمر نفسه ؟ .. ربما .. إنّ المجتمع الدولي ، وفقاً لمعطيات اليوم ، سيصبح غداً مجتمعين : مجتمع أمريكي ومجتمع سوفييتي .. ولا أحد يدري : أين سيكون المجتمع الإسلامي .. ■■

واتخاذ القرار لتكسر حالة الجمود الذي يصيب مجالات التطبيق هناك منذ زمن بعيد ، ولا تدع الصين تحقق سبقاً في مجال التغيير الذي تكون لنتائجه أبعاد على مستقبل الكيانات الشيوعية في العالم .

● وكان « جورباتشيف » قد بدأ عمله السياسي بالانضمام إلى صفوف الحزب الشيوعي سنة ١٩٥٢م - قبيل وفاة ستالين - في منطقة القوقاز حتى سنة ١٩٧٨م ، وشغل خلالها جميع المناصب الحزبية على المستوى المحلي .

● في عام ١٩٧٨م - انتقل إلى مستوى اللجنة المركزية للمرة الأولى ، حيث كُلّف بالإشراف على شؤون الزراعة - وبعد عام واحد عُين عضواً مناوباً في المكتب السياسي - أما حق التصويت فقد اكتسبه في عام ١٩٨٠م .

● برزت صورته للمرة الأولى - خلال عهد « أندروبوف » القصير - من نوفمبر [تشرين الثاني] ١٩٨٢م حتى فبراير [شباط] ١٩٨٤م - بسبب مباشرته للقطاع الزراعي السوفييتي الذي ظل يعاني فشلاً واضحاً منذ الستينات ، وسلطت الأضواء عليه لخلافة « أندروبوف » في منصب السكرتير العام للحزب الشيوعي السوفييتي في أبريل [نيسان] ١٩٨٤م ، ولكن الاتفاق على ذلك لم يكن كاملاً بين مختلف القوى داخل اللجنة المركزية ، فاستقر الرأي على تأجيل ذلك باختيار « تشرينكو » - المريض - بالإجماع .

● استمر « جورباتشيف » في تعزيز مركزه في اللجنة المركزية للحزب ، عن طريق الإشراف على الجانب الأيديولوجي وتكوين الكوادر .

● قام بزيارتين للدول الغربية - الزيارة الأولى كانت في عهد « أندروبوف » في مايو [أيار] ١٩٨٣م لكندا ، والثانية - وهي الأهم - في ديسمبر [كانون الأول] ١٩٨٤م - في عهد «تشرينكو» لبريطانيا - حيث ترك انطباعاً بأنه « زعيم معتدل » وصرّحت رئيسة وزراء بريطانيا « تاتشر » بأنه « رجل يمكن التعامل معه » ..

والمعروف أن هذه الزيارة كانت الأهم منذ زيارة رئيس الوزراء «كوسيجين» عام ١٩٦٧م - ثم زيارة وزير الخارجية «جروميكو» عام ١٩٧٧م - وقد لاحظت الدوائر البريطانية - بعيدة النظر - كما جاء في مجلة « تايم » ، أن « جورباتشيف » كان يتحدث من موضع سلطة وبثقة لا يتمتع بها سوى أصحاب القرار .

● أما بالنسبة لقضية أفغانستان ، فإن سياسة الاتحاد السوفييتي تعتبر من الثوابت بشأنها ، فلن تشهد تغييراً يذكر في ظل القيادة الحزبية الجديدة ، وهذه الحقيقة يدركها جيداً المجاهدون الأفغان أصحاب القضية ، ويتعاملون معها بوعي في ظروف التغييرات السابقة في المناصب ، التي ربما يكون قد نشأ عنها بعض التحركات التكتيكية المرحلية .

قراءة ثقافية

الإسلام هو المنطلق

■■ في إطار الموسم الثقافي السابع الذي تنظمه إدارة الشؤون الإسلامية برئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر، ألقى فضيلة الشيخ عبد الحميد السائح رئيس المجلس الوطني الفلسطيني في ١٥ جمادى الآخرة ١٤٠٥هـ ٦ مارس [آذار] ١٩٨٥م محاضرة بعنوان: [الإسلام هو المنطلق]، عرض خلالها لأبرز المعاني الإسلامية في القضية الفلسطينية.. ودعا المسلمين إلى الجهاد في سبيل الله والدفاع عن الأعراض التي تُنتهك والمقدسات والحرمات التي تُداس في القدس وفلسطين... وقال:

[... إنَّ حماية المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، طريق من طرق الجهاد في سبيل الله.. والسكوت والتقصير في ذلك جريمة يتحملها المجموع، كلٌ قدر طاقته واستطاعته. ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴾ (النساء: ٧٥).

وأشار إلى موقف أمريكا والدول الغربية بشكل عام إزاء قضايا العرب والمسلمين الذين يذهبون إليها يريدون شرح قضيتهم، حيث لا يجدون من يهتم بأمرهم.. ويُعزي ذلك إلى أنَّ [مصالح هذه الدول مؤمَّنة].. ويتساءل: [هل علمتم أن مصلحة لأيِّ دولة أوروبية قد خُدشت أو مُسَّت بسوء]..

ثم يقول: [لا.. وما ذلك إلَّا لأنهم يهيمنون علينا.. لقد هيمنوا على أرواحنا وقلوبنا وتصرفاتنا.. غرسوا الفتن بيننا.. ثبتوا التجزئة بين صفوفنا.. أشعرونا بأنهم هم الذين يحموننا من شعوبنا، وأنهم لولا وقوفهم مع الحكام، لقام الشعب على حكامه ليتخلص منهم.. وكل ذلك فتن كقطع الليل المظلم.]

ونحن العرب والمسلمين نساعد أولئك على ما يخططون له حتى نكون أحرص منهم على تحقيق ما يريدون. وهذه هي البلية العظمى.. إن الوضع بيننا وبين الآخرين خطير جداً لأنهم يخططون بقصد القضاء علينا. والتخلص منا بالسبل والطرق كلها..

إننا في وضع تآمرت فيه علينا الأمم.. وما ذلك إلَّا لأننا مسلمون.. إن أمريكا الآن تفتح مستودعاتها لتمد ربيبتها إسرائيل السِّلاح كله.. تقف في الأمم المتحدة ومجلس الأمن لتستخدم حق النقض «الفيتو» إذا أريد أن يتعرض لإسرائيل بالإدانة..

ويتساءل الشيخ السائح: [وماذا نعمل؟ هل نترك أولئك يتصرفون بنا دون أن نتحرك؟].. ثم يجيب:

■ الشيخ عبد الحميد السائح ■

[اقول بصراحة نحن جميعاً مقصرون. لأننا إذا انطلقنا من الإسلام فذلك يعني أن نطبق الإسلام.. وذروة سنام الإسلام: الجهاد في سبيل الله.. وإذا لم نجاهد في سبيل الله نكون قد قصرنا]..

[إن أنواع الجهاد كلها إذا لم تدعمها القوة تكون ضعيفة الأثر وتكون غير مجدية..

ولذلك، يجب على المسلمين أن ينطلقوا من أحكام دينهم وشريعتهم ليقفوا صفاً واحداً في سبيل الدفاع عن قضاياهم وخاصة قدسهم ومسرى رسولهم ﷺ وموطن معراجه].. ■■

متابعة ثقافية

■ صدر بالسعودية ـ عن دار الأصالة ـ كتاب «شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين» أعده وحققه الدكتور عبد الله الحامد، ويحاول الكتاب بحث قضية تأصيل الأدب الإسلامي، وبث الدعوة إلى الله على مدار القرون... وقد زُوِّد الكتاب بفهارس للشعراء، والأعلام والجماعات والقبائل والأمكنة التي جاء ذكرها في الكتاب من خلال القصائد، وغير ذلك من عناصر التحقيق الجيد.

■ أصدرت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت الجزء الخامس من الموسوعة الفقهية ـ ويضم تسعين مصطلحاً ذات موضوعات فقهية حول العبادات والمعاملات والأحكام العامة مرتبة حسب الحروف الأبجدية.. ومن بين الموضوعات التي عالجها هذا الجزء: الأطعمة والأشربة وما يحل منها، والأضحية، وموضوعات عن العبادات كالاعتكاف، وعن الإعارة والإفلاس والإقالة.

■ أقيم في باريس مؤخراً معرض (اللغة والثقافة العربية) وذلك بالتعاون بين المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والمجلس الدولي للغة الفرنسية ومعهد العالم العربي هناك، وذلك بهدف تعريف العامة في باريس والسلطات المسؤولة بأهمية تعلم اللغة العربية.

سنة إسلامية

■■ تخطط السويد لتنظيم ما يسمى بسنة إسلامية في السويد ، على أن تبدأ في مايو [أيار] ١٩٨٥م وتنتهي في نهاية العام الميلادي .. وتعنى هذه الفكرة الرائدة بتعريف الفرد السويدي بالإسلام حضارياً وتاريخياً وجغرافياً .

يرجع التخطيط لهذا الحدث الإسلامي السويدي إلى تاريخ انعقاد « ندوة العلاقات العربية مع دول الشمال » في استوكهولم عام ١٩٨٣م التي دعت إليها جامعة الدول العربية ، والتقى فيها معظم المستشرقين الاسكندنافيين المهتمين بشؤون العالم العربي والإسلامي على المستوى السياسي والثقافي والفني والديني .. حيث طرح الحاضرون فكرة كانت تراودهم عن مدى إمكانية تنظيم سنة إسلامية في السويد .. وكان لتجاوب السلطات السويدية المسؤولة دور كبير في بدء التخطيط لهذه الفكرة التي تحولت إلى مشروع شامل تشارك فيه المعاهد والمؤسسات المعنية في أنحاء السويد .

وفي حديث أجرته مجلة (صوت اسكندنافيا) - العدد الخامس من السنة العاشرة - مع السيد (أولوف ايزاكسون) رئيس المتحف التاريخي في استوكهولم قال : [إن الأهداف المتوخاة من هذه التظاهرة على مستويين : الأول أن الفرد السويدي بشكل عام يعاني من ضحالة معلوماته عن الدين والعالم الإسلامي ، والثاني أن الجالية الإسلامية في السويد تزايدت بسرعة كبيرة خلال سنوات قليلة ، مما يستدعي تعريف العامة في السويد بالخلفية الدينية والحضارية لهذه الجالية] .

وتتركز النشاطات في هذا المشروع في قيام أكثر من عشرة متاحف ومعاهد ومؤسسات معنية بعرض مجموعات قيِّمة من الآثار الإسلامية الموجودة في السويد مثل الملابس والسجاد والخزف والمخطوطات والزجاجيات ، كما تستعار من الجهات المسؤولة في بعض الدول الإسلامية بعض المعروضات - وقد وصل بعضها فعلاً من المتحف الإسلامي في تونس - التي تحاول أن تحكي قصة الإسلام في صور وسطور .

ومع ما تملكه السويد من مخطوطات وآثار تعود لأيام التجارة بين العرب و «الفايكنج» ، فإن إثارة الفكر لدى الفرد السويدي نحو الإسلام وتعريفه به ، لا يمكن أن تقتصر على عرض تاريخي ، فرغم أهميته ، فإن المناقشة والحوار والاهتمام بالجوانب الفكرية والثراء الروحي من خلال محاضرات وندوات قد يساعد الفرد السويدي بصورة أكثر خصوبة على إثارة القضية الإسلامية لديه بعمق وبدقة أكثر من الاكتفاء بالمعروضات التاريخية التي أشار إليها مدير المتحف التاريخي في استوكهولم .

والحوار المفتوح مع الغربيين - في أية مناسبة يمكن استغلالها - فرصة لتعريف هؤلاء الغربيين بالإسلام من مصادره الصحيحة .. فالفرد الأوروبي بصفة عامة لا يعرف عن الإسلام إلَّا ما أتاحته له مصادره الغربية التي تأتي إليه من خلال الكتب المدرسية ، أو المقالات الصحفية وهي لا تزال تعيش في جو الحروب الصليبية الخانق الذي لا يتيح للفرد حرية التنفس الفكري أو الحوار الصحيح .

وفي ظل الصحوة الإسلامية المعاصرة ، وبانتشار المراكز الإسلامية في أوروبا ، يجب أن تتوجه الأنظار لهذا الفرد الأوروبي العادي الذي نشأ في ظل هذه الأجواء ..

وفي نهاية حديث مدير المتحف التاريخي السويدي قال :

(إننا على علم ويقين بأن مجهوداتنا لن تغطي الموضوع كاملاً ، نظراً لسعته وتعدد جوانبه ولأنها تجربة جديدة على السويد .. لكننا فضلنا أن نخطو الخطوة الأولى في هذا الاتجاه) . ■■

التعبير بالصورة

عيون الاحتلال اليهودي ترصد كل حركة في القدس

[الحقبة الإسرائيلية .. هل تطول ؟]

في عالم الاقتصاد

حكمة التشريع الإسلامي في تحريم الربا

● حكمة التشريع الإسلامي في تحريم الربا ومنهج القرآن الكريم في القضاء على ظاهرة الربا في المجتمع الجاهلي الأول بحث موجز صدر في كتاب للدكتور يوسف حامد العالم تناول فيه حكمة مشروعية تحريم الربا، وأبان بأنه من أخطر المفاسد التي تدمر حياة الأفراد، وحياة الجماعة، وحياة الأمة، وحياة الدول، ويقضي على نوازع الخير في الإنسان المرابي، كما أنه يفسد العلاقات بينه وبين أفراد مجتمعه الذي يعيش فيه، ويعرّض بناء المجتمع للانهيار أو الدمار، ويوقد نار الحرب بين الشعوب والدول.

وقد تدرك العقول البشرية الغاية من تشريع الحكم، وقد لا تدرك ذلك، وعدم إدراك الإنسان للمصلحة أو المفسدة التي شرع الحكم من أجلها لا ينفي وجود المصلحة أو المفسدة التي اعتبرها الشارع في تشريع الأحكام.

ورغم أن جمهور علماء الشريعة متفق على أن الله سبحانه وتعالى ما شرع حكما إلا لمصلحة عباده، وأن هذه المصلحة إما لجلب نفع أو دفع ضرر عنهم.. فإن القرآن الكريم قد سلك منهجا فريدا في القضاء على ظاهرة الربا، وتدرج تدرجا مناسباً لانتزاع المسلمين منه.

ولقد بين الدكتور يوسف العالم بالأدلة الشرعية والعقلية وشواهد الواقع أن الربا من أخطر الأمراض الاجتماعية، والمفاسد الاقتصادية التي تزيد من ضعف الضعيف وقوة القوي، حتى يصير المال دُولة بين الأغنياء المنحصرين في فئة قليلة، وبه تسيطر على حياة المجتمع الاقتصادية والسياسية والإعلامية، وتستثمر تلك القوى مجتمعة لتحقيق مصالحها الشخصية ونمو ثرواتها الاقتصادية، على حساب الفقراء والضعفاء، فتحريم الربا جاء درءا لمفاسده في حياة الإنسانية وحسما لشروره المدمرة، فحذر المسلمين من فعله وتوعدهم بالحرب منه ومن رسوله ﷺ إن لم يتركوه.

وعلى المسلمين الذين مكنوا للنظام الربوي أن ينتشر في بلادهم بسبب السيطرة الأجنبية والغزو الفكري والتفوق الاقتصادي.. أن يطهروا ديارهم وأموالهم من هذه الرذيلة المنكرة، ويسارعوا بالتوبة إلى الله من تلك الأفعال الجالبة لمقته وغضبه.

صدر الكتاب عن دار جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان.

ومن ناحية أخرى أخيراً، اقتنع الاقتصاديون الغربيون بأنّ الاستثمار الأمثل والأضمن هو الذي يتم بعيداً عن دائرة الربا «الفائدة» فقد أكدت صحيفة «إنترناشونال بيزنس ويك» في تقرير

إسبانيا والسوق الأوروبية

■■ لا تزال محاولات إسبانيا والبرتغال الانضمام إلى السوق الأوروبية المشتركة تصطدم بكثير من العقبات والعراقيل.. وترى مصادر أوروبية أن «إسرائيل» تقف وراء هذه العراقيل عن طريق بعض حلفائها من الدول الغربية.. فدخول إسبانيا السوق الأوروبية يضر بالصادرات الإسرائيلية، المنتجة من الأراضي الفلسطينية المحتلة، للدول الأوروبية وخاصة الخضروات والحمضيات..

ومن جهة أخرى تستخدم إسرائيل هذه القضية كأداة ضغط أوروبية على إسبانيا لإقامة علاقات دبلوماسية بينها وبين «إسرائيل» كشرط أساسي لقبول عضويتها في السوق.. وقد تردد في الفترة الأخيرة أن هذه العلاقات ستقام في مطلع العام القادم ١٩٨٦م.. ■■

أسباب المجاعة

■■ الحكومات الأفريقية هي المسؤولة بالدرجة الأولى عن الجفاف وبالتالي عن المجاعة التي تتهدد الملايين من شعوبها.. تلك حقيقة أكدها كثير من المحللين لأسباب المجاعة الأفريقية وإن كان لكل معطياته التي بنى عليها هذه النتيجة..

ويرى «توماس غاك» - وهو باحث وخبير زراعي ألماني - أن الأمر يرجع إلى سوء التخطيط «فانحباس الأمطار ليس مشكلة لو توافر لتلك البلدان تخطيط سليم».. ويفسر ذلك بأن الحكومات تصرّ على تخفيض أسعار الحبوب. وفي الوقت نفسه تشجع على زراعة البن وغيره مما يصدر للخارج. ونتيجة لذلك انصرف المزارعون عن زراعة القمح والحبوب.. والمؤسف أن عائدات البن تصرف في الغالب في استيراد الكماليات غير الضرورية. ■■

نشرته في شباط [فبراير] الماضي « أن المستثمرين السعداء هم فقط الذين يملكون حفنة من المشروعات التي لا تتأثر كثيراً بمعدلات الفائدة » .. وتأتي هذه القناعة إثر الاضطراب الذي تشهده سوق الأوراق المالية بسبب قوة الدولار أمام العملات العالمية الأخرى وهو ما يُعزى بشكل رئيس إلى رفع سعر الفائدة في الولايات المتحدة ..

ويقول اقتصاديون غربيون : « إن وضع الأوراق المالية ـ وهي المؤشر على حدوث كساد ـ قد بدأ يبعث على القلق والخوف من حدوث كساد في عام ١٩٨٥م » .. والمشكلة التي تواجه الاقتصاديين هي أنَّ سوق الأوراق المالية رهينة بتأرجح الفائدة ، وما لم يوجد بديل فسيظل الاقتصاد العالمي ـ دائماً ـ تحت رحمة الربا « الفائدة » .. ■■

بنك البحرين الإسلامي
يحقق أرباحاً بنسبة ٢٥٪

■■ حقق بنك البحرين الإسلامي في السنة المنتهية في أيلول [سبتمبر] ١٩٨٤م ، عائداً بلغت نسبته ٦٪ على حسابات الادخارات الصغيرة والتي تمثل نسبة ٣٠٪ من الإيداعات الإجمالية والتي تبلغ (٢٩) مليون دينار بحريني أي ما يعادل (٧٨) مليون دولار ..

وذكرت صحيفة « الفاينانشيال تايمز » اللندنية ، أنَّ هذه النسبة تقارن مع معدل للفائدة بلغ ٣,٥٪ على حسابات الادخارات لدى البنوك المحلية الأخرى غير الإسلامية .

وبلغ صافي الربح (٢,٧٦) مليون دينار بحريني ، أي تحسن بنسبة ٢٥٪ .. وتم توزيع (٦٩٠) ألف دينار كربح بواقع ١٢٪ للسهم الواحد ؛ وذلك إلى جانب (١,٨٧٧) مليون دينار خصصت لمشاركة الأرباح .. ■■

أخبار قصيرة

●● فشلت المحادثات التي جرت في مطلع آذار [مارس] الجاري بالمنامة بين مجلس التعاون لدول الخليج العربية ودول السوق الأوروبية المشتركة في الوصول إلى إيجاد حل للعقبات التي وضعتها الدول الأوروبية أمام البتروكيميائيات العربية المصدرة إلى أسواقها . ويقول الأمين لمجلس التعاون : إن الجانب الأوروبي قد أوضح بأن من الصعب تلبية مطالب دول المجلس بتخفيض الرسوم الجمركية على صادراتها البتروكيميائية لأن الأمر بالغ الصعوبة .. تجدر الإشارة إلى أن هذه الرسوم تصل إلى ١٣,٥٪ .

●● في إطار التعاون الاستراتيجي والعسكري بين الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل . يدعي الإسرائيليون بأنهم وفروا للولايات المتحدة في السنوات الأخيرة معلومات عن التسلح السوفييتي تقدر قيمتها بـ (٥٠) مليار دولار .. ونسب السفير الإسرائيلي في واشنطن إلى جنرالين أمريكيين يعملان في البنتاغون القول بأنَّ الجيش الأمريكي استطاع توفير (٥٠) مليار دولار كانت ستخصص للأبحاث المتعلقة بأسرار التكنولوجيا السوفييتية . وذلك بفضل تزويد واشنطن بدبابات وطائرات وصواريخ ومعدات أخرى سوفييتية غنمت خلال معارك مع الجيوش العربية ..

●● تواجه مؤلفة تركية حكما بالسجن لمدة (١٥) عاما وذلك بتهمة انتهاك مبدأ علمانية الدولة التركية .. وكانت « إيمين ستليكوجلو » (٣٥سنة) قد نشرت كتابا بعنوان : « لقد قضوا على إيمان الشباب » ركزت فيه بشكل رئيس على المطالبة بتوقيع حدّ الرجم على الزانيات ..

●● جاء في الأبحاث التي نوقشت في مؤتمر البيئة والتنمية الدولي الذي انعقد في شباط [فبراير] الماضي في « نيروبي » ، أنَّ حوالي (١٠) آلاف شخص يلقون مصرعهم سنويا في البلدان النامية بسبب نشاط الاحتكارات متعددة الجنسيات التي تبيع هذه البلاد مستحضرات خطرة على الحياة .. وتسجل سنويا (٣٧٠) ألف حالة تسمم بالمبيدات والمستحضرات الكيميائية في آسيا وأفريقيا .. وبناءً على معلومات منظمة التغذية الدولية فإنه يتم سنويا القضاء على (١١) مليون هكتار من الغابات في المناطق الاستوائية للدول النامية .

من أخبار القضية الأفغانية

■■ بدأ ضباط الجيش السوفييتي المحتل لأفغانستان يتجهون نحو تعلم اللغة البلوشية .. وقد أقيم لهذا الغرض ثلاثة مراكز رئيسة في المناطق التي توجد فيها أغلبية من البلوش .. حيث أنشىء مركز بمدينة « زرنج » عاصمة محافظة « نيروز » التي تقطنها أغلبية بلوشية ، ومركزان في « شين دند » ذات الأهمية الاستراتيجية بمحافظة « هلمند » .. ويشرف على التدريس في هذه المراكز التي يبلغ عدد المتعلمين فيها (٨٠) ضابطاً سوفييتياً ، شيوعيون بلوش من محافظة هلمند وآخرون من محافظة بلوشستان في باكستان ..

■■ نقلت وكالة الأنباء الأفغانية عن عدد من الطلاب الأفغان القادمين من الاتحاد السوفييتي قولهم : إن التوتر والقلق يسودان قطاعات كبيرة من الشعب السوفييتي بسبب الدور العسكري للقوات السوفييتية في أفغانستان . ويزداد هذا التوتر كلما وصلت جثث لعسكريين قُتلوا على أرض أفغانستان ..

وينعكس هذا القلق ، أحياناً ، على شكل تظاهرات محدودة في بعض المدن السوفييتية .. ويشير هؤلاء الطلاب إلى اضطرابات وقعت قبل عامين إلَّا أن المخابرات السوفييتية سيطرت عليها ولا يعرف إلى الآن مصير المعتقلين خلالها ..

وتبرر السلطات السوفييتية غزوها لأفغانستان بأنه لولا تدخل قواتها لاقتحم المجاهدون الاتحاد السوفييتي !

■■ بعد تزايد عمليات فرار الجنود الأفغان من الخدمة العسكرية وانضمامهم إلى صفوف المجاهدين ، اتخذت قوات الاحتلال السوفييتي عدة إجراءات تراقب بموجبها الكتائبُ السوفييتية معسكرات الجيش الأفغاني .. وصدرت التعليمات إلى الجنود الأفغان في «هراة» ، و «كابول» ، و «قندهار» ، و «فرح» ألَّا يخرجوا بعد غروب الشمس من معسكراتهم ، كما لا يسمح بالخروج نهارا إلَّا للجنود الذين يُكلفون بعمليات عسكرية ضد المجاهدين .. إضافة إلى ذلك ، فقد زرعت الألغام حول الثكنات حتى لا يفكر جندي أفغاني بالهرب للانضمام إلى المجاهدين ..

متابعات إعلامية

●● الاهتمام الذي حظي به الصحفي الأمريكي « ليفين » ، الذي أطلق سراحه مؤخراً من لبنان ، سواء على الصعيد الأمريكي أو الخارجي ، شاهد من جملة شواهد على المكانة التي يحتلها الصحفي الغربي في بلاده ، والتي انعكست على مكانته في الخارج ، وهي مكانة لا يتمتع بها بل لا يحلم بها أي صحفي في العالم الثالث .

وقد شهدنا حادثة مماثلة قبل أسابيع عندما قامت فرنسا ولم تقعد حتى أطلق سراح الصحفي الفرنسي « جاك أبو شار » الذي اعتقلته سلطات « كابول » عندما كان يرافق مجموعة من المجاهدين الأفغان .

تدرك الحكومات الدكتاتورية ذلك الاحترام الذي يتمتع به الصحفيون الغربيون في بلادهم ، ولذلك فهي تحسب ألف حساب قبل أن تقدم على اتخاذ أي إجراء بحقهم من نمط تلك الإجراءات التي تتخذها بحق الصحفيين من أبنائها ، والتي تتراوح بين التصفية الجسدية والتصفية الصحفية . بل إن الحكومات الدكتاتورية تتملق أحياناً الرأي العام الغربي ، وذلك بإظهار حرصها على الصحفيين الغربيين . وليتها تفعل ذلك فتتملق الرأي العام في بلادها على النحو نفسه .

إن ما تحتاج إليه الدول النامية ليس تكنولوجيا الاتصال المتطورة وحسب ، ولا زيادة حجم التدفق الإخباري المتعلق بها - وكفى - وإنما هي بحاجة إلى تقاليد صحفية في مقدمتها احترام مهنة الصحافة والعاملين بها ، في إطار احترام الإنسان بشكل عام . وهذا الاحترام ليس مسؤولية المسؤولين فقط ، بل هو مسؤولية الصحفيين أنفسهم أيضاً ، فالاحترام مثل الإساءة ، ليس من الأمور الفوقية دائماً . ●●

The Economist

الصين تطلِّق ماركس

■■ قال زعيم الحزب الشيوعي الصيني الراحل « ماوتسي تونغ » ذات مرة : « أية عقيدة ، حتى أفضل العقائد ، حتى الماركسية اللينينية نفسها ، عديمة الفعالية ما لم ترتبط بالواقع الموضوعي ، وتلبي الاحتياجات القائمة » .

اليوم يبدو أن قادة الصين يتبعون هذه المقولة حرفياً . إنهم يدركون أنه بالنسبة للناس العاديين ، والشباب بشكل خاص ، فإن الماركسية اللينينية عقيدة غريبة ، ذات مفاهيم تجريدية مرتبطة بأحداث غير مألوفة ، حدثت في زمن بعيد في أراض بعيدة . لذلك فإن الحزب الشيوعي الصيني ، يقوم ببطء ومثابرة في آن واحد بإعادة النظر في تراثه العقيدي .

كانت الخطوة الأولى إعادة النظر في تراث « ماو » نفسه في ضوء الانتقاد الرسمي لما عرف بـ « القفزة الكبرى » عام ١٩٥٨م و « الثورة الثقافية » عام ١٩٦٦م .

ويبدو أن الحزب يسعى نحو صياغة « عقيدة جديدة » للاهتداء بها في مسيرة التنمية الاقتصادية والسياسية حتى نهاية هذا القرن .

في أحد أيام ديسمبر [كانون الأول] الماضي بدت الصين وكأنها طلَّقت العقيدة الشيوعية نهائياً عندما كتبت صحيفة الشعب اليومية ، - وهي صحيفة الحزب - : « لا نتوقع أن تقدم كتابات ماركس ولينين حلولاً لمشكلاتنا الحالية » ، ولكنها في اليوم التالي قالت للقراء إن هناك كلمة قد سقطت قبل كلمة مشكلاتنا ، وهي كلمة (كل) . ولكن

سلاح الغذاء بين الحقيقة والوهم

International Herald Tribune

■■ أثارت المجاعة التي ضربت بعض أقطار القارة الافريقية مؤخراً ، مسألة استخدام الغذاء كسلاح سياسي ، لا سيما وأن الولايات المتحدة وحدها تسيطر على ٤٠٪ من صادرات الحبوب في العالم . وكما قال أحد الدبلوماسيين الأمريكيين : « إذا كان لدى العرب النفط الخام فلدينا الطعام » . ويعود الجدل حول هذا الموضوع إلى زمن بعيد ، وقد احتدم بشكل خاص منذ عشر سنوات إثر التطور الذي حدث في أسعار النفط ، وقد رسخ في أذهان معظم الناس أن الغذاء سلاح بالفعل في يد الولايات المتحدة . ولكن هل هو كذلك بالفعل ؟

ربما كان كذلك قبل عشر سنوات عندما كان عدد مصدري الطعام قليلاً ومحدوداً ، فيما كان عدد المستوردين يزداد حدَّة . قبل الحرب العالمية الثانية كانت معظم المناطق الجغرافية في العالم باستثناء أوروبا الغربية ، مصدرة رئيسة للحبوب . كانت اوروبا الشرقية تصدر ما تصدره أمريكا الشمالية اليوم . ولكن منذ عام ١٩٧٤م أصبحت الأقطار الآسيوية في حالة عجز غذائي ، فيما زادت دول الكتلة الشرقية من وارداتها الغذائية . وفي النصف الأول من السبعينيات تضاعفت صادرات أمريكا الشمالية من الحبوب ، بشكل لم يسبق له مثيل .

وفي عام ١٩٧٥م صدر تقرير عن المخابرات المركزية الأمريكية يتوقع مواسم جيدة في دول المعسكر الغربي ، ومواسم سيئة في أقطار العالم الأخرى مما يمنح الولايات المتحدة قوة ، لم تتمتع بها من قبل ، لبسط نفوذها السياسي والاقتصادي .

ولكن السنوات العشر التي تلت نشر ذلك التقرير أثبتت أن تلك التوقعات لم تكن صائبة ، فكثير من الأقطار الآسيوية والأمريكية اللاتينية إما أنها أصبحت مكتفية ذاتياً ، أو تعتمد اعتماداً هامشياً على واردات الطعام . أما أقطار الشرق الأوسط فقد أصبحت مستوردة رئيسة للطعام . ولكن القدرة المالية لدى معظم هذه الأقطار تجعلها قادرة على استيراد الطعام ، من أكثر من مكان .

وعندما استخدمت الولايات المتحدة سلاح الطعام ضد الاتحاد السوفييتي إثر غزوه لأفغانستان ، لم يؤثر ذلك عليه قدر تأثيره على الولايات المتحدة نفسها ، إذ أن هناك « لوبي مزارعين » قوي في الولايات المتحدة ، يحول دون استمرار أي رئيس أمريكي في استخدام هذا السلاح بشكل يؤذي المصالح الحيوية للمزارعين . والمبدأ الذي يحكم العلاقة بين الطرفين هو : أنه ما دام المزارعون ينتجون فما على الإدارة الأمريكية إلّا أن تبحث عن الأسواق . وليس من صالح المزارعين الأمريكيين إيذاء سمعة الحبوب الأمريكية باستخدامها كسلاح سياسي .

إن عدم إمكانية استخدام سلاح الطعام على نطاق عالمي ، لا ينفي استخدامه على نطاق محلي ، فالحكومة الإثيوبية مثلاً تحول دون وصول مساعدات الطعام إلى إريتريا ، والفيتناميون يستخدمون السلاح نفسه في كمبوديا . وقد اخفقت المنظمات الإنسانية العالمية مثل « اليونسيف » والصليب الأحمر الدولي في منع حدوث ذلك .

فيما عدا هذه الحالات ، فإنه أصبح بالإمكان الحصول على الطعام من أكثر من مصدر وبشكل يستحيل معه وقف تدفقه ، لقد كان ممكناً استخدام سلاح الطعام في العصور الماضية عندما كانت الجيوش الغازية تضرب حصاراً حول مدينة من المدن وتقطع طرق الاتصال كافة . أما عالم اليوم فهو عالم معقد ، ومصادر الطعام متعددة مما لا يجعله سلاحاً حاسماً كما كان من قبل . ■■

الرسالة التي أرادت الصحيفة إبلاغها للناس ظلت كما هي . وبعد أيام قالت الصحيفة : « أول الأمور الملحة هو أن نصلح عقولنا ومفاهيمنا التقليدية التي لا تناسب أوضاعنا الحالية » .

إن أكثر ما يقلق قادة الصين اليوم هو إخفاقهم في جذب الشباب إلى الحزب . في الماضي كان التركيز على الإمبريالية اليابانية ومقاومة الشيوعيين لها ... يثير الحماس ولكن ذلك أصبح اليوم مجرد ذكريات باهتة ، لمن هم دون سن الأربعين . أما الماركسية اللينينية فتبدو كزراعة جسم غريب في الثقافة الصينية . ولا يشعر كبار المسؤولين في الحزب بحرج من الاعتراف بذلك . وهم يدعون منظري الحزب إلى « تحديث » هذه العقيدة .

ويؤكد الخبراء في الشؤون الصينية أن الماركسية ما كان لها أن تعيش في الصين لولا أن « ماو » قدمها بقالب صيني . أي أن الصينيين لم يتلقوها بقوالبها السوفييتية مباشرة . ولذلك فبعد رحيل « ماو » من الطبيعي أن يظهر الاضطراب والتشويش .

القيادة الصينية اليوم في مأزق : إن هي استمرت متمسكة بالماركسية فإنها ستفقد جيل الشباب الذي لا يبدي أدنى اهتمام بهذه العقيدة « القديمة » ، وإن تخلّت عن الماركسية فإنها تخشى أن تفقد الحزب الذي يسيطر على الحكومة والجيش والإدارة .

الجدير بالذكر أن الصين قد عادت لنظام الحوافز المادية وسمحت بالملكية الزراعية الخاصة ، كما أنها خفضت من سيطرة الحزب على إدارة المصانع والمشاريع . ويزداد الاتجاه نحو الاعتماد على الكفاءة لا على الولاء الحزبي . ■■

[العدد ٥٢]

بلغاريا تجبر المسلمين على تغيير أسمائهم

TIME

■■ لم تقتصر الأنظمة الشيوعية في محاربتها للإسلام على محاربة العقيدة والشعائر الإسلامية ، واضطهاد من يتمسك بها ، بل وصل الأمر بنظام مثل النظام البلغاري أن يجبر المسلمين على تغيير أسمائهم الإسلامية ، أو التركية ، كما تقول وسائل الإعلام العالمية ، إلى أسماء بلغارية . هذه هي حرية الفرد والعقيدة والفكر التي يزعم الشيوعيون توفرها في أنظمتهم ، وحرصهم عليها . وقد تناقلت وسائل الإعلام هذا الخبر في الفترة الأخيرة ، ممّا يهدد بإثارة أزمة ديبلوماسية بين تركيا وبلغاريا ، لأن معظم المسلمين البلغار من أصل تركي . وقد نقلت « تايم » الأمريكية ، تحقيقاً حول الموضوع ، من العاصمة البلغارية ، صوفيا :

في الساعة الثالثة قبل الفجر سمع سكان بلدة « يابلونوفو » التي يقطنها مسلمون بلغار من أصل تركي ، أصوات عربات عسكرية . ومع بزوغ الفجر أغلقت كل الطرق المؤدية إلى البلدة . واندفع رجال « الميليشيا » الحزبية ، داخل المنازل ، وأمروا كل رب أسرة بتغيير اسمه وأسماء أفراد أسرته من أسماء « تركية » إلى بلغارية ، وكتابة ذلك على ورقة مخصصة . وقد صفع على الفور من رفض الأوامر ، بينما أجبر من استمر على الرفض على مشاهدة رجال الميليشيا وهم يغتصبون بناته أو زوجته ، أو تعريتهن على الأقل . ووضعت المسدسات فوق رؤوس آخرين لإجبارهم على التغيير .

يبلغ عدد الأقلية التركية في بلغاريا (٩٠٠) ألف نسمة يشكلون ١٠٪ من السكان . وقد بدأت الحملة الحكومية ضد أسمائهم منذ نهاية العام الماضي ، ويعتقد بأن ٢٠٠ - ٣٠٠ شخص منهم قد لقوْا حتفهم بسبب ذلك . كما يعتقد بأنَّ (١٢) فرداً من الميليشيا الحكومية قد قتلوا بسبب مقاومة « الأتراك » للحملة .

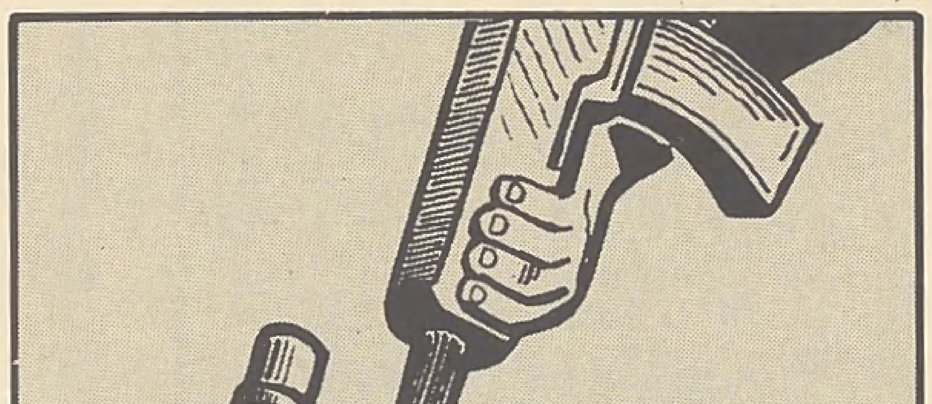

تسربت الأنباء حول الحملة مؤخراً واستدعت الحكومة التركية السفير البلغاري للاحتجاج . ولكن السلطات البلغارية تنفي تلك الأنباء . إلّا أن ما يؤكدها هو منع الصحفيين الغربيين منذ ديسمبر [كانون الأول] الماضي ، من زيارة المناطق الشمالية والجنوبية الشرقية من البلاد ، حيث تعيش الأقلية التركية . كذلك فقد منع الزائرون من تركيا نفسها من زيارة تلك المناطق .

يقال إن وراء الحملة ، خوف السلطات البلغارية الحاكمة من زيادة عدد الأتراك بمعدل ٢٪ مقابل تكاثر البلغار الذي يبلغ معدله صفراً . ولهذا تخشى الحكومة من التفوق السكاني للأتراك ، خاصة وأنها مقدمة على إجراء إحصاء للسكان في وقت لاحق من هذا العام ، كما أنها تستعد للاحتفال بالعيد المئوي لتوحيد بلغاريا في العام القادم .

ويقول بعض الخبراء ، إن القسوة البلغارية ضد الأتراك مردها إلى أن هؤلاء يذكّرون البلغار بأن بلادهم كانت جزءاً من الخلافة العثمانية مدة خمسة قرون ، وقد بدأ اضطهاد الأتراك منذ عام ١٩٤٧م عندما أغلقت مدارسهم ، وفي عام ١٩٧٤م ألغيت اللغة التركية من المناهج كمادة دراسية .

ولا يجنَّد الأتراك في الجيش البلغاري ، وبدلاً من ذلك يقضون مدة الخدمة الإجبارية في مهام مدنية ، والسبب أن الضباط البلغار لا يثقون بالأتراك .

ووصل الاضطهاد إلى درجة إلغاء الاسم التركي من صحيفة « الضوء الجديد » التي كانت تصدر باللغتين البلغارية والتركية ، حتى نهاية يناير [كانون الثاني] الماضي .

وتقول مصادر دبلوماسية في « صوفيا » ، إن المدارس في القرى التركية قد أغلقت مؤخراً ، وأخذ التلاميذ إلى مدارس بلغارية بعيدة وداخلية لتسهل تنشئتهم بعيداً عن تراثهم الإسلامي . كذلك فقد هدم عدد من المساجد ، وحظر على الأطباء في المناطق التركية إجراء عمليات الختان .

الشعب البلغاري نفسه لا يبدي اكتراثاً . قال بلغاري من « صوفيا » : « ما داموا يريدون العيش في بلغاريا ، يجب أن تكون أسماؤهم بلغارية » . ■■

حل مسابقة العدد ٥٣

١ ـ المعنى الصحيح ونص الآيـــة :

○ كَلاَلَة : أن يموت الرجل ولا ولد له ولا والد .

﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ... ﴾ (النساء : ١٧٦)

○ وِفاقا : موافقاً لسوء أعمالهم .

﴿ جَزَاءً وِفَاقاً ﴾ (النبأ : ٢٦)

○ الجُودي : اسم جبـل .

﴿ قِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (هود : ٤٤)

○ هشيم المُحْتظِر : ما يبس من النبت .

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴾ (القمر : ٣١)

○ نَسْرا : اسم صنم .

﴿ وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدّاً وَلاَ سُوَاعاً وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً ﴾ (نوح : ٢٣)

٢ ـ اسم القبيلة : قبيلة إراش .. ذهب رسول الله ﷺ مع الرجل إلى أبي جهل وأخذ له بحقه .

٣ ـ أبو عاليـة الريـاحي .

٤ ـ الشاعر محمود غنيم في قصيدته التي يحيي فيها كتائب الفدائيين في حرب القناة .

٥ ـ [المؤلف] : أبو حفص عمر بن محمد أبو علي الفاسي الرجراجي .

[الكتـاب] : هداية من تولى غير الربّ المولى .

٦ ـ الشمس أكثر جاذبية من القمر .

أسماء الفائزين في مسابقة العدد ٥٣

الفـــائز الأول :
● بو كـــراع حسن ______ (بلجيكا)

الفـــائز الثاني :
● باشن نصر الدين بن بلقاسم ______ (الجزائر)

الفـــائز الثالث :
● إيمان إبراهيم عبد الواحد ______ (لبنـان)

الفـــائز الرابع :
● محمد عبد الغني محمود ______ (الأردن)

الفـــائز الخامس :
● محمود عبد المنعم مصطفى طـه ______ (مصـــر)

الفـــائز السادس :
● عمر محمد با داود ______ (السعودية)

الفـــائز السابع :
● أحمد بشـــار بركـــات ______ (الإمارات العربية المتحدة)

الفـــائز الثامن :
● محمد البشير بن علي ______ (تونس)

الفـــائز التاسع :
● أبو هـري محمد ______ (المغرب)

الفـــائز العاشر :
● نصر الدين حســاس ______ (الجزائر)

مسابقة الأمـة

الجوائـز

• الفـائز الأول
خمسمائة ريَال قطَري

• الفـــائز الثاني
ثلاثمائـة ريَال قطري

• الفـــائز الثالث
مــائتــا ريَـال قطَري

• الفائز الرابع حتى العاشر
اشتراك مجاني بالمجلة لمـدة سـنة

■ ترسل الإجابات إلى ■
مجلـة الأمَّـة
ص . ب ٨٩٣ ـ الدوحة ـ قطر

ويكتب على الغلاف :
مسـابقـة الأمـة
ورقـم العـدد

اقرأ في الأعداد القادمة

- لمحات من عصر القرطبي في تفسيره
  الدكتور محمد الدسوقي
- نحو فعالية إسلامية في مستوى التحديات
  عبد القادر عبار
- حاجة العصر ومسؤولية الأمة
  الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي
- النظرة السياسية وأبعاد الضغوط الخفية
  أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري
- أزمة الكتاب في الوطن العربي
  محمد الصالح عزيز
- السيرة النبوية بين الرؤية العاطفية والرؤية التاريخية .
  رمضان الحسنين
- تحديات تواجه العربية في حوار مع الأستاذ محمد الفاسي
- كليات الإلهيات في تركيا ... الدور المطلوب لمؤسسات التعليم في مجال التربية الإسلامية
  استطلاع مصور

مسابقة العدد ٥٥ السنة الخامسة

١ ـ قاموس المسابقة :

كلمات من القرآن الكريم ، هل تعرف المعنى الصحيح لها من بين المعاني الواردة أمام كل كلمة ؟ .. اذكر المعنى الصحيح ، ونص الآية التي وردت فيها :

● الأكمه	: القصير	المولود أعمى	الذي لا ينطق
● مواخر	: جمع ماخرة وهي التي تشق الماء بصدرها	مسرعة	السفن المتهالكة
● لُجِّي	: منسوب إلى اللج وهو معظم البحر	البحر الصغير	البحر الهائج
● فخّار	: طين مسّته النار	طين مبلل	رماد
● النجدين	: طريقا الخير والشر	اسم مكان	الأرض المنبسطة

٢ ـ كانت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها مع نسوة مسلمات في حصن بني حارثة ـ وذلك قبل أن يُضرب عليهن الحجاب ، ومرّ ... وعليه درع قصيرة قد خرجت منها ذراعه كلها ، وهو يرتجز ، فقالت له أمه « الحق بني فقد والله أخرت » ، قالت عائشة : يا أم ... والله لوددت أن درع ... كانت أسبغ مما هي ، وكان ما تخوفته عائشة رضي الله عنها ، فرُمي ... بسهم فقطع منه الأكحل (عرق في الذراع) ومات شهيداً في غزوة بني قريظة .. ما اسم هذا الشهيد الذي حرضته أمه على القتال والشهادة ؟

٣ ـ من هو ؟ :

- شهد فتح مكة وغزوة حنين .
- بعثه رسول الله ﷺ يوم حنين في آثار من توجّه إلى أوطاس من المشركين من هوازن .
- عقد له رسول الله ﷺ أيضاً اللواء ، وبارز منهم تسعة قتلهم جميعاً .
- حين بارز العاشر ضُرب هذا الصحابي فاستخلف أبا موسى الأشعري مكانه ودلّه على هذا المبارز ، وقاتل أبو موسى حتى قتله .
- أوصى قبل استشهاده بأن يدفع قوسه وسلاحه للنبي ﷺ .
- حين تسلم الرسول ﷺ تركته قال : « اللهم اغفر لـ ... واجعله من أعلى أمتي في الجنة .

٤ ـ من القائل ؟ :

قولوا بربّي كيف يهدأ بالنا   والقُدْس خلّفنا عليها العارا
والقدس تصرخ أنقذوني فالعدى   رامُوا بإسْراء النّبي دمارا
ها هُم بنو صهيون داسوا حرمتي   جعلوا الغواية .. والفساد شعارا
لم يبق إلاّ ديننا .. إسلامنا   يمحو الفساد وينسف الأوكارا
وإذا اتّخذنا ديننا منهاجنا   فبه نُربّي صفوة أبرارا
يشْرون دُنياهم بأكْرم ميتة   حتّى ينالوا الخلد والأنهارا

٥ ـ مؤلف وكتاب :

[المؤلف]

- أحد إخوة أربعة اشتهروا بالعلم والتأليف في الفقه والحديث وكان أحدهم ـ ويسمى محمداً ـ رأس المالكية في مصر .
- ولد عام ١٨٧هـ .
- عاصر البلاذري والطبري .
- يعد من الروّاد الذين جمعوا التواريخ الإسلامية الجامعة ودوّنوها .
- تُوفي في الفسطاط عام ٢٥٧هـ .

[الكتاب]

- يجمع تاريخ مصر وأخبارها .
- قسمه المؤلف إلى سبعة أجزاء خصص أولها لفضائل مصر وتاريخها قبل الفتح الإسلامي
- جعل الجزء الأخير لمن « روى عنه أهل مصر من الصحابة الذين دخلوا مصر » .
- يعد أقدم كتاب في موضوعه .. وأخذ عنه السيوطي والمقريزي وياقوت الحموي فيما كتبوه .

٦ ـ تشير المصادر التاريخية للقرن التاسع عشر إلى دور خطير قام به الفرنسي « اكزافية كوبولاني » في تاريخ موريتانيا .. فقد تعلم الرجل اللغة العربية وحفظ بعض سور القرآن الكريم في الجزائر طوال ثماني سنوات قبل قيامه بمهمته في موريتانيا إذ استطاع بخبث وذكاء استغلال الخلافات بين العرب والبربر حتى اقنع الكثير من القبائل بطلب الحماية الفرنسية لهم .. وفي سنة ١٩٠٣م أعلنت فرنسا الحماية على إقليم « ترازار » .. وفي عام ١٩٢٠م أقامت وحدة إدارية لها في موريتانيا ، أصبحت من بعدها واحدة من ثماني مستعمرات أخرى تشكل اتحاد غرب أفريقيا الفرنسي .

في ديسمبر [كانون الأول] ١٩٦٠م ، استخدمت دولة عضو في مجلس الأمن ، حق النقض « الفيتو » ضد قبول موريتانيا عضواً في الأمم المتحدة .. ما هي هذه الدولة ؟

خواطر وأفكار

رسالة من الأندلس

غُرَبَاء

□□ حقيقة نعيشها ونحياها ... تنبض بها عروقنا والدماء التي تجري فيها ، مرارة تستشعرها قلوبنا فضلاً عن أرواحنا ، وتتفجر في أعماقنا كلما استيقظنا ولو لحظات من سباتنا العميق !

نحن غربــاء في هذه البلاد حتى لو مضى على وجودنا فيها سنوات ، حتى لو اشترينا بيتاً ووضعنا في البيت أثاثاً .

غربــاء ولو تعلمنا لغة القوم ، وعلَّمتنا الأيام كيف نضحك في وجوههم ! ونتقبل الحياة معهم ، وربما شعرنا ببعض الأنس مع بعضهم ، وربطتنا ببعضهم الآخر أواصر صداقة عميقة حيناً وسطحية أحياناً !!

غربــاء حتى لو حفظنا خارطة أوروبا ، وخارطة البلد الذي كتب الله علينا الإقامة فيه رغم أنوفنا وأنوف أهله الذين ما فتئوا يبدون غيظهم وضيق صدورهم منَّا ، ويعربون عن رغبتهم في خروجنا من بين أظهرهم .. ولا يستنكفون عن إبداء عواطفهم المستفيضة تجاهنا .

غربــاء حتى لو استطاع بعضنا الحصول على الجنسية الأجنبية .. وألصقوا صورته على جواز سفر ييسر الكثير من أمور الدنيا التي ما فتئت مستعصية عليه ما دام محسوباً من مواطني دول العالم الثالث ، أو الرابع ، أو الخامس !!!.

غربــاء مهما حاولنا أن نستسيغ الغربة ، وأن نخضعها لآمالنا ، لأنها تنبت من آلامنا المغروسة جذورها في أرضنا والممتدة شجرة من شوك تمزق صدورنا حيث تنبض هذه القلوب !

غربــاء بكل ما تحمله حروف هذه الكلمات من حنظل ومرارة وقسوة وقهر .

غربــاء ... هذا قدرنا ... حتى لو أردنا ألَّا نكون غرباء !!!.

نستشعر هذه الغربة في كل حركة وسكون ، وفي كل محنة ومنحة ، وفي كل لحظة نحتك فيها مع مواطني البلدان التي استضافتنا ... صورة غربتنا مطبوعة في قزحيات عيونهم وهي تستنكر لباسنا ، مرسومة في قسمات وجوههم وهي تتمعر لرؤيتنا ، محفورة في أذهانهم ، توارثوها أباً عن جد ، عن كل جندي حمله حقد الصليبية عبر البحار لقتال المسلمين !! لا يزال القوم يذكرون ، وحملنا مفكرونا !! على نسيانها رغماً عنّا !! فجئنا القوم ببسمات الغباء ، وقابلونا بطعنات ، وطعنات ، وطعنات !!! كيف لا ونحن قوم لا نقرأ التاريخ ، ولا نعرف التاريخ ، ولا نفهم التاريخ !؟ .

انت هنا غريب .. متطفل .. سواء جئت للسياحة أم للعمل ، وسيان عندهم أَقَدِمت هارباً من واقعك السياسي - أو الاجتماعي على الأغلب !!! - أو طالباً للعلم ، مقيماً بإرادتك أم مضطراً للإقامة بينهم .. مطلعاً على ثقافتهم أم ملتجئاً إلى تقدمهم العلمي في ميادين الطب وسواه ...

إنما الذي يحز في النفس .. أنَّك لا تستطيع التفكير في العودة !! العودة إلى أين ؟ إلى غربة أشد وأنكىٰ ؟!.. فيا حبَّذا الغربة في بلاد لا أهل فيها ولا هي بالأوطان إذا ما فكر المرء بوطن يُعتصر فيه بين الظلم السياسي والواقع الاجتماعي : بين أهل يحاربونه في أخص خصوصياته ، ويغلقون بينهم وبينه ألف بوابة من الجهل ، وسوء الفهم ، وقلة العلم - حتى لو حملوا أعلى الشهادات الجامعية - والعادات والتقاليد العفنة ، والتعصب المرير أو التفلت المهلك ، فضلاً عن قتلهم البطيء له بعواطفهم الجياشة دائماً بسبب ودون سبب ! ودموعهم الفياضة دائماً يشهرونها أسلحة في وجوه أبنائهم يثنونهم بها عن عمل أي شيء إيجابي يسمح للنور أن يتسرب في هذا الليل الدامس الذي أعمىٰ العيون ...

نحن غربــاء ، وغربتنا عن أوطاننا تعتبر أيسر غربة نعانيها ... غرباء اللسان والقلب والروح .. غرباء الفكر والعزيمة والألم .. غرباء الطريق .. غرباء الآمال .. غرباء السعادة والسرور ...

وأشد من الغربة ، تفرّق الغرباء وتشتتهم واختلافهم على الرغم مما هم فيه من نأي ومحن !!.

إلَّا أننا بهذه الغربة كلها التي تكتسح وجودنا ، وتثقل كواهل الجبال ، نستطيع أن نفعل شيئاً ما دامت غربتنا لله ، وما دامت هجرتنا إلى الله ، وما دمنا نعرف الله ، فهو الأمن إذا ما اشتدت الغربة ونأىٰ بنا السفر ، وهو الأمل إذا ما احلولك الظلام وكدَّنا الألم ، وهو الله وحده القادر على انتشالنا من بؤسنا وغربتنا ، هو الله وحده الرفيق الكريم ، الحليم .. العليم ، ربّ السموات السبع ورب الأرض ، رب العرش العظيم .

بهذا الجـلال كله وهذه القدرة هو معنا ، لنشد به أزرنا ، ونقوي به سواعدنا فتنبثق من هذه الغربة جيوش النور ، بإرادة قوية تحثنا على الثبات والتشبث بالعروة الوثقى ، التي غلقت في وجوهنا أبوابها بظلم ساستها ، وحمق قادتها ، وجهل مواطنيها !!

غربتنا محنة تستحثنا أن نفعل شيئاً لأنفسنا ولهؤلاء الناس من حولنا ما دمنا مسلمين نعلم أن الله معنا !

وصدق رسول الله ﷺ « ... طوبىٰ للغربــاء » الذين لمسوا مما أَلِفه الناس انحرافاً ففروا بدينهم من الناس فراراً مادياً حيناً ، ومعنوياً في أكثر الأحيان ، يتحرقون وهم قابضون على جمار الصبر ، يهبّ عليهم من لهيبها نسيم الجنان الذي يستنشقون أريجه من كل نفحة قدسية في لحظات السحر ، مع كل سجدة في كل فجر جديد ... فطوبى للغرباء . □□

أم عبد الرحمن

يصدر قريباً :

كتاب الأمة
Al Ummah

١٠

التراث و المعاصرة

الدكتور أكرم ضياء العمري

□□ قضية التراث نفسها لم تنج من آثار الغزو الفكري فقد طرحت احياناً بمنظار غربي بحيث احتل الفلكلور الشعبي مساحة واسعة مما حوَّله إلى نمط من المتعة والثقافة التي أضافها الغربيون أنفسهم إلى أنواع الترف الفكري الذي يعيشونه بعد ان حققوا أحلامهم بالثروة والسيطرة على عالم اليوم .

□□ النهضة العلمية الذاتية يمكن ان ترتكز على روح التراث وحوافزه الروحية والفكرية أكثر من منجزاته العلمية والصناعية ، هذه الروح التي توجد محاضن صالحة للتكنولوجيا المنقولة عن الغرب تجعلها مغروسة في بيئتنا وملائمة لحضارتنا ومتفقة مع اهدافنا .. هذه الروح تدفعنا إلى تجاوز الحضارة الغربية في مرحلة تاريخية لاحقة .

□□ لقد اعتبرت الدراسات الاستشراقية وتابعها كثير من مؤرخي العرب قيام الدويلات في العصر العباسي الثاني سبباً لانتعاش الحركة الفكرية والحضارية في العالم الإسلامي ، فكيف يكون ضياع وحدة العالم الإسلامي السياسية عاملاً في تقدمه الحضاري حتى كأننا نرسِّب في عقول الأجيال أنَّ التمزق السياسي له مزاياه من حيث ندري أو لا ندري .

□□ إن عدم وجود خطة للبحث في العلوم الإسلامية اضاع جهوداً ضخمة اسهمت في تراكم الكتب التي تكرر الأفكار نفسها وقد ولَّد ذلك استنزافاً لأموال وأوقات القراء المساكين الذين سوف يصابون بخيبة امل عندما يكتشفون ان هذه الكتب لا تضيف إلى معلوماتهم جديداً .

يطلب من وكلاء توزيع الأمة في العالم

مجلة الأمة – Al Ummah

العدد ٥٥ السنة الخامسة رجب ١٤٠٦هـ